



New York University
 Bobst Library
 70 Washington Square South
 New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:
 212-998-2482
 Web Renewal:
 www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL		
PHONE/WEB RENEWAL DATE		



C
I
R
C

1891

1892

1893

1894

C
I
R
C

1891



1515

5

Samhūdī, 'Alī ibn 'Abd Allāh
'Wafā' al-wafā' bi-akhbār Dār al-Mustafā'

وَفَاءُ الْوَفَاءِ

بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين علي بن أحمد السهمودي

المتوفى في عام ٩١١ من الهجرة

حَقَّقَهُ ، وَفَصَّلَهُ ، وَعَلَقَ حَوَاشِيَهُ

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !

الجزء الثالث

لِقَوْمٍ أَلْفَم

الطبعة الأولى

في سنة ١٣٧٤ من الهجرة - ١٩٥٥ من الميلاد

تطلب من الشيخ محمد التمنكاني ، المدني
الكتبي بالمدينة المنورة

DS

248

'M5

52

1955

v. 3

C. 1

MAY 16 1985

مطبعة السعادة بمصر

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الخامس

في مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم في الأعياد ، وغير ذلك من المساجد التي صَلَّى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، مما عَلِمْتُ عَيْنَهُ أَوْ جِهَتَهُ ، بالمدينة وما حولها ، وما جاء في مَقْبُرَتِهَا وَمَنْ دُفِنَ بِهَا ، والمشاهد المعروفة ، وفضل أَحَدٍ والشُّهَدَاءِ بِهِ . وفيه سبعة فُصولٍ :

الفصل الأول

في المُصَلَّى في الأعياد ، وفيه أطراف

الأول : في الأماكن التي صَلَّى فيها النبي صلى الله عليه وسلم العيد .

قال الْوَأَقِدِيُّ : أولُ عيدِ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُصَلَّى سنةَ أول عيدِ صلاه ثنتين من مَقْدَمِهِ المدينة من مكة ، ومَحَلَّتْ لَهُ الْعَنْزَةَ وهو يومئذ يصلى إليها في الفضاء ، وكانت الْعَنْزَةَ لَزِيْرِ بْنِ الْعَوَامِ ، أعطاه إياها النَّجَاشِيُّ فَوَهَبَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَكَانَ يَخْرُجُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْعِيدِ ، وهى اليوم بالمدينة عند الْمُؤَذِّنِينَ ، يعنى يخرجون بها بين يدي الأئمة في زَمَانِهِمْ :

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : لما رجعنا من بنى قَيْنُقَاعِ ضَحِينَا أولَ أَضْحَى في ذى الحجة صبيحة عشر ، فسكان أول أضْحَى رآه المسلمون ، وذبح أهل اليُسْرِ من بنى سامة ، فعددت في بنى سامة سبع عشرة أضحية .

وروى ابن زبالة وابن شبة عن أبي هريرة قال : أول فطر وأضحى صلى

مكان مصلى العيد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بالمدينة بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب الحامل .

وروى الثاني عن ابن أبي فروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ذلك المكان .
وروى الأول عنه ما يقتضيه ؛ فإنه روى عن إبراهيم بن أبي أمية قال :
أدركتُ مسجداً في زمان عثمان عند حرف زاوية أبي يسار عند أصحاب الحامل ،
وليس ثم مسجد غيره ، وذلك المسجد هو الذي صَلَّى فيه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أضحى ، وَصَحَّى هناك هو وأصحابه حتى احتملت ضحاياهم من عنده .
قال : وأخبرني من رأى الأنصار يحملون ضحاياهم من هناك ، ثم روى عن
ابن أبي فروة قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في ذلك المسجد وهو خلف
المَجْرَزَةَ التي بفناء دار العداء بن خالد ، ويقال لها : دار أبي يسار .

قلت : فالروايات المذكورة مُتَّفَقَةٌ على الصلاة بالحلِّ المذكور ، ودارُ حكيم
ابن العداء هي دار أبيه العداء بن خالد بن هوذة بن بكر بن هوازن ؛ فلا مخالفة
في ذلك ، ولم أعلم محل داره ، غير أن الظاهر من قوله « عند أصحاب الحامل »
أنه موضع بأعلى السوق مما يلي المصلى ، وفي أول الروايات المذكورة بيان أن الصلاة
فيه كانت في أول الأمر .

وروى ابن زبالة أيضاً ما يخالفه بالنسبة إلى الأولوية عن إبراهيم بن أبي أمية عن
شيخ من أهل السنن والثقة قال : أول عيد صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى في حارة الدوس عند بيت ابن أبي الجنوب ، ثم صلى العيد الثاني بفناء دار
حكيم عند دار حفرة داخلا في البيت الذي بفناء المسجد ، ثم صلى العيد الثالث
عند دار عبد الله بن درة المزني داخلا بين الدارين دار معاوية ودار كثير بن
الصلت ، ثم صلى العيد الرابع عند أحجار كانت عند الحنطين بالمصلى ، ثم صلى
داخلا في منزل محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت ، ثم صلى حيث يصلى
الناس اليوم .

تعدد موضع
صلاة العيد

وروى ابن شبة من طريق إبراهيم بن أبي أمية مولى بنى عامر بن لؤي قال :
سمعت ابن باكية يقول : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدَ عند دار
الشفاء ، ثم صلى في حارة الدوس ، ثم صلى في المصلى ؛ فثبت يصلى فيه حتى
توفاه الله تعالى .

وروى أيضاً عن ابن شهاب قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم العيدَ في
موضع آل درة ، وهم حى من مزينة ، ثم صلى دون ذلك في مكان أطم بنى
زريق عند أذنه اليسرى .

قلت : قوله « ثم صلى في المصلى فثبت يصلى فيه حتى توفاه الله تعالى » هو
بمعنى قوله في الرواية التي قبلها « ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم » يعنى بالمسجد
المعروف بمسجد المصلى .

وقد نقل ابن شبة عن شيخه أبي غسان وهو الكنانى من أصحاب مالك بين مصلى العيد
وباب السلام ألف ذراع
أنه قال : ذرع ما بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عنده دار مروان
ابن الحكم وبين المسجد الذى يصلى فيه العيد بالمصلى ألف ذراع .

قلت : وقد اختبرته فكان كذلك ، وهذا المسجد هو المراد بقوله في حديث
ابن عباس فى الصحيح « إن النبي صلى الله عليه وسلم أتى فى يوم عيد إلى العَلَم الذى
عند دار كثير بن الصلت - الحديث » وكأنهم كانوا قبل اتخاذ المسجد بذلك
الحل جعلوا صلاة الشريف شيئاً يعرف به ، وهو المراد بالعلم بفتححتين .

وقال ابن سعد : كانت دار كثير بن الصلت قبلة المصلى فى العيد ، وهى
تطل على بطحان الوادى فى وسط المدينة ، انتهى . وليس المراد أنها متصلة بوادى
بطحان ، بل بينهما بعد . ودار كثير هذه كانت قبله للوليد بن عقبة ، ثم اشتهرت
بكثير بن الصلت ، وهو من التابعين ، ولد فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم فوق
التعريف بداره ليقرب إلى ذهن السامع فهم ذلك ، وليس كثير بن الصلت هو

الذي اختطها ، خلافا لما وقع في كلام الحافظ ابن حجر حيث قال : وإنما بنى كثير بن الصلت داره بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ، لكنها لما كانت شهيرة في تلك البقعة وصف المصلى بمجاورتها ، انتهى . وما أخذنا فيما قدمناه قول ابن شبة في دور بنى عبد شمس ونوفل : واتخذ الوليد بن عقبة بن أبي معيط الدار التي في مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التي صلى إليها العيد ، وهي يصلى إليها اليوم لآل كثير ابن الصلت الكندي ، فجاء عثمان الوليد في الشراب ، فحلف لا يساكنه إلا وبينهما بطن واد ، فعارض كثير بن الصلت بداره هذه إلى دار كثير ببطحان التي يقال لها دار الوليد بن عقبة في شفير الوادي ، أي من العُدوة الغربية كما بينه في موضع آخر .

وأما الموضع المذكور لصلاة العيد أولا عند أصحاب الحامل - وهم الذين يبيعون الحامل ويصنعونها - فيظهر أنه المسجد المعروف اليوم بمسجد على رضى الله تعالى عنه الآتى ذكره .

تحديد الموضع
التي صلى فيها
العيد

وأما الموضع المذكور في الرواية الأخرى عند دار بن أبي الجنوب فلم أعلم محله ، غير أن دار ابن أبي الجنوب كانت بالحرّة الغربية التي غربي وادى بطحان كما يؤخذ مما سيأتى في الخندق ومسجد الشجرة والمغرس .

وأما الموضع المذكور في قوله « عند دار عبد الله بن درة المزني إلى آخره » فقد تقدم أن منازل مُزَيَّنة كانت في غربي المصلى وفي قبلتها . وتقدم أن دار كثير بن الصلت كانت قبلة المصلى ، ودار معاوية رضى الله تعالى عنه كانت في مقابلتها ، وسيأتى في بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء أنه كان يمر على المصلى ثم يسلك في موضع الزقاق بين الدارين المذكورتين ؛ فيكون ذلك الحل في قبلة المصلى اليوم : إما من المغرب ، وإما من المشرق ، والأول هو الأقرب .

وأما بقية الموضع المذكورة فلم أعرف جهاتها ، غير أن الذي يظهر أنها حول المصلى ، وبعضها بسوق المدينة ، لذكر الحنّاطين فيها ، وسيأتى في مشهد مالك

أبن سنان أنه بطرف الحنطين ، والظاهر أن من هذه المواضع المسجد المعروف اليوم بمسجد أبي بكر رضى الله تعالى عنه بالحديقة المعروفة بالعريضية ، كما سيأتى عن المطرى .

وأما ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم أضحى إلى البقيع فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وخطب وقال : إن أول ما نبأ به فى يومنا هذا أن نصلى ، ثم نرجع فنحرق - الحديث ؛ فظاهره أن المراد ببيع الغرقد ، لكنى أستبعده ؛ لأن المتقدمين من مؤرخى المدينة لم يذكروا ذلك مع اشتهاى هذا الحديث ، وكذلك المطرى ومن تبعه . وأغرب الحافظ ابن حجر فقال فى الكلام على ترجمة البخارى للرحم بالمصلى : المراد المكان الذى كان يصلى عنده العيد والجنائز ، وهو من ناحية ببيع الغرقد ، اه .

ومأخذه فى ذلك ظاهر هذا الحديث ، مع ما ورد من رواية أخرى من الرجم عند موضع الجنائز ، وقد تقدم أن موضع الجنائز فى شرقى المسجد عند باب جبريل ، وليس هو من البقيع ، وأما المصلى حيث أطلقت فيما يراد بها الموضع المعروف الذى قدمناه فى غربى المدينة ، وبيع الغرقد فى شرقها ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى موضع آخر على الصواب كما سيأتى عنه فى الطرف الثانى ، وعلى تقدير أن يكون المراد من حديث البراء المتقدم ببيع الغرقد فهو من المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض السنين ، وليس هو المراد إذا أطلق المصلى جزما . والذى يترجح عندى أن المراد بالبقيع فى حديث البراء سوق المدينة ؛ لما قدمناه فيه من أنه كان يسمى ببيع الجبل ، وهو أحد الأماكن المتقدم ذكرها لصلاة العيد ، وكذلك هو المراد من حديث ابن عمر « أنى أبيع الإبل بالبقيع بالدرهم وأخذ مكانها الدنانير » كما قدمناه .

وقال الجمال المطرى عقب نقله لما قدمناه عن ابن زبالة : ولا يعرف من

المساجد التي ذكر لصلاة العيد إلا هذا المسجد الذي يصلى فيه اليوم ، ومسجد شماليه وسط الحديقة المعروفة بالعريضي المتصلة بقبة عين الأزرق ، ويعرف اليوم بمسجد أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، ولعله صلى فيه في خلافته ، ومسجد كبير شمالي الحديقة متصل بها يسمى مسجد علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، ولم يرد أنه رضى الله عنه صلى بالمدينة عيدا في خلافته ؛ فتكون هذه المساجد الموجودة اليوم من الأماكن التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد سنة بعد سنة وعيدا بعد عيد ؛ إذ لا يختص أبو بكر وعلى رضى الله عنهما بمسجدين لأنفسهما ويتركان المسجد الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قلت : ما ذكره من أنه لم يرد أن عليا رضى الله تعالى عنه صلى بالمدينة عيدا في خلافته ، أى فلا تظهر نسبة المسجد المذكور إليه ، وكأنه لم يقف على ما رواه ابن شبة عن سعد بن عبيد مولى ابن أزهر قال : صليت العيد مع علي رضى الله عنه وعثمان رضى الله عنه محضوراً ؛ فصلى ثم خطب بعد الصلاة .

وروى أيضا عن الزهري قال : صلى سهل بن حنيف وعثمان محصور الجمعة ، وصلى يوم العيد على بن أبي طالب ؛ فالظاهر أنه صلى حيثئذ بذلك المكان لكونه أحد المصليات التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه ابتكر الصلاة فيه ، والله أعلم . ولم يكن المصلى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مسجداً ، بل كانت صحراء لا بناء بها ، ونهى صلى الله عليه وسلم عن البناء بها كما سيأتى ، ولهذا وقع الرجم بها . وذهب بعض العلماء إلى أن المصلى يثبت لها حكم المسجد ، وإن لم يُوقف ، وهو مردود ؛ فإن من شاهد مصلاه صلى الله عليه وسلم وما ذكر من امتدادها إلى سوق المدينة كما قدمناه فيه وما بها من الدور والشوارع علم عدم صحة ذلك ، وحمل الرجم المذكور في الحديث على أنه وقع بالقرب منها خلاف مقتضى اللفظ . والمسجد المتخذ بها اليوم إنما هو في بعضها ، وهو المحل الذي قام به النبي صلى الله

مصلى العيد
بالصحراء

عليه وسلم ، وكذلك المسجدان الآخران ، والظاهر أن بناء الثلاثة كان في زمن عمر بن عبد العزيز :

وقد قدمنا ذكر الأول منها ، وهو المعروف اليوم بمسجد المصلى فيما نقله ابن شبة عن أبي غسان من الذَّرْع ؛ لما بينه وبين المسجد النبوى .

والثانى المنسوب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالحديقة المذكورة عن يساره مخزن لدواب الحديقة المذكورة ، ومدخل الدواب من باب المسجد الذى فى شاميه ، فيمتنه أهل الحديقة بمرور البهائم منه ، وربما حبسوها فيه ، فدخلته مرة فوجدته كالمزبلة ، وهو فى غاية الامتهان قد امتلأ بروث الدواب وبولها ، ولم أجد موضعاً للصلاة فيه فتكلمت مع شيخ الخدام الأمير إينال الناظر على الحديقة المذكورة فى أن يغير باب المخزن المذكور ، ويجعله من خارج المسجد ، فأمر فقيهه الفقيه الشهاب أحمد النوسى بالنظر فى ذلك ، فجعل على الموضع المسقف من المسجد المذكور الذى فيه الحراب جدارا فى شاميه يمنع من وصول البهائم إليه ، وكان فى جدار المسجد الغربى مما يلي القبلة هيئة باب مشبك ، فجعله بابا لذلك المحل ، وبقيت رحبة المسجد التى فى شاميه دهليزا للدواب ، فكلمته فى ذلك فذكر أنه قيل له : إن المسجد هو ذلك المسقف فقط ، وجدران المسجد شاهدة بخلاف ذلك ، فليتنبه له .

والمسجد الثالث المنسوب لعلى رضى الله تعالى عنه كان قد تهدم ودثر حتى صار بعض الحجاج يدفن فيه من يموت فى زمن الموسم ، فإنه إلى جانب منزلة الحجاج ، فجدد بناءه الأمير زين الدين ضعيم المنصورى أمير المدينة الشريفة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة^(١) .

وأما المسجد الأول المعروف اليوم بمسجد المصلى فلم يزل مَصُونًا ، وكان بابه لا يزال مفتوحا فر بما يقع له انتهاك ، فأمر شيخ الخدام بعلقه ، وعمارته الموجودة اليوم لا أدرى لمن تنسب ، إلا أنى رأيت على بابه حجرا قد انمحي بعض الكتابة

(١) جدده السلطان عبد الحميد العثمانى فى سنة ١٢٦٨ (حسب الله)

منه ، وفيه « أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد خرابه
وذهب عز الدين شيخ الحرم الشريف النبوى ، وذلك فى أيام السلطان الملك
الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاون الصالحى » وما بعد ذلك قد أتمحى .
وابتداء ولاية السلطان حسن المذكور فى سنة ثمان وأربعين ، واستمر إلى أثناء
سنة اثنتين وستين وسبعائة ، وهذا المسجد بابُهُ فى حائطه الشامى قريبا
من محاذة محرابه ، ومن خارج بابه على يمين الداخل منه درج يصعد إلى موضع
لطيف على ميمنة الباب المذكور ، وقد أصلح ما تشعثت من هذا المسجد الأمير
بردك المعمار سنة إحدى وستين وثمانائة فى دولة الأشرف إينال ، وأحدث لذلك
الموضع المتقدم وصفه فى ميمنة الباب المذكور درجة أخرى يتوصل بها إليه من
داخل المسجد ، وذلك الموضع هو الذى يقوم عليه الخطيب فى يوم العيد ، وأحدث
الأمير بردك أيضا أمام ذلك الموضع من خارج المسجد مسقفا ليجلس عليه المبلغون
أمام الخطيب ، وفى يوم العيد يجتمع أهل السنة من أهل المدينة وأعيانهم بالمصلى
المذكور ، بحيث لا يبقى خارجه من أهل السنة إلا اليسير مع شيخ الخدام وجماعته ،
لأن العادة جرت بأن يكون صفهم أمام الخطيب فى الجمعة والعيد؛ لما ذكره البدر
ابن فرحون من أن أول قاض ولى لأهل السنة القاضى الإمام العلامة السراج
عمر بن أحمد الخضر سنة اثنتين وثمانين وستائة فى دولة المنصور قلاوون الصالحى ،
وكان القضاة قبل ذلك من الشيعة آل سنان ، وكانت الخطابة بأيديهم ، فانزع
السلطان المشار إليه ذلك منهم للسراج ، فكانوا يؤذونه أذى شديدا .

قال ابن فرحون : أدركت من أذاهم له أنهم كانوا يرمونه بالحصباء وهو
يخطب على المنبر ، فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام وجلسوا بين أيديهم أمام
المنبر ، فذلك هو السبب فى إقامة صف الخدام قبالة الخطيب ، وخلفهم غلمانهم
وعبيدهم ، اه .

وقد استمر ذلك إلى اليوم ، فإذا صلى الإمام بأهل المسجد المذكور صلاة
العيد انصرف ، وخرج من بابه المذكور مخترقا للصفوف متخطيا للرقاب إلى أن

يصعد في أعلى تلك الدرج ، فيستدبر القبلة ويستقبل جهة الشام على عادة الخطباء ، ثم يخطب هناك ، فيصير جميع من في المسجد خلف ظهره ، ثم إن أهل المسجد يستدبرون القبلة ويستقبلون ظهره وغالب من يصلي خارج المسجد لا يشاهده أيضاً لحيلولة المسقف المحدث أمام ذلك الموضع ، وهذا كله مخالف للسنة ، ولما ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم في هذا المحل من قيامه في مُصَلَّاه مستقبلاً للناس وهم على صفوفهم كما سنوضحه ، ومن زعم أن هذا الوضع في محل قيام النبي صلى الله عليه وسلم وأنه صلى بذلك المحل على هذه الصفة الموجودة اليوم فقد أخطأ خطأ عظيماً وأساء الأدب ، فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم أنه ينصرف عن أصحابه حتى يستدبرهم أو الكثير منهم ثم يخطب لهم ؟ وتترك الصحابة رضى الله تعالى عنهم طلعتة البهية و يرضون باستدباره صلى الله عليه وسلم مع قيامه لمخاطبتهم ، وهم أعظم الناس أدباً وحرصاً على رؤيته الشريفة ، وكيف يتفق علماء الإسلام على أن السنة خلاف ذلك كما سيأتى ؟ فالمتعین تغيير هذه الهيئة ، والله أعلم .

الطرف الثانى : فيما جاء من أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بالمصلى على غير منبر مستقبلاً للناس .

كيف صلى
الرسول العيد؟

قال البخارى في صحيحه ، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، ثم روى فيه حديث أبى سعيد الخدرى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شيء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوسٌ على صفوفهم ، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم ، فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه ، أو يأمر بشيء أمر به ، ثم ينصرف ، فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر ، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت ، وإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى ، فجذته بثوبه ، فجذبني ، فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم ،

فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتها قبل الصلاة ، هذا لفظ رواية البخارى .

قال الحافظ ابن حجر : المراد بقوله إلى المصلى المصلى المعروف بالمدينة بينه وبين باب المسجد ألف ذراع ، قاله عمر بن شبة عن أبي غسان صاحب مالك ، وفي رواية ابن حبان من طريق داود : فينصرف إلى الناس قائماً في مُصَلَّاه .

قلت : وهذا معنى قوله في رواية البخارى «ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس» يعنى أنه يستدبر القبلة ويقف في مصلاه ، وقد ترجم البخارى لاستقبال الإمام الناس في خطبة العيد ، وأورد فيه طرفاً من حديث أبي سعيد المذكور ، وقد صرح الأئمة بأن ذلك هو السنة .

قال الزين ابن المنير : وإنما أعاد البخارى هذه الترجمة مع أنه قدم نظيرها في الجمعة لدفع احتمال توهم أن العيد يخالف الجمعة في ذلك ، وأن استقبال الإمام في الجمعة يكون ضرورياً لكونه يخاطب على منبر ، بخلاف العيد فإنه يخاطب فيه على رجليه لحديث أبي سعيد المذكور ، فأراد أن يبين أن الاستقبال سنة على كل حال .

قال الحافظ ابن حجر : وهذا يقتضى أنه لم يكن في المصلى في زمان النبي صلى الله عليه وسلم منبر إلى أن اتخذ مروان ، ويدل عليه قول أبي سعيد «فلم يزل الناس إلى آخره» . ووقع في المدونة لمالك ، ورواه ابن شبة عنه قال : أول مَنْ خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان ، كلهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت ، وهذا مُعْضَل ، وما في الصحيحين أصح ؛ فقد رواه مسلم بنحو رواية البخارى ، ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى أعاده مروان ، ولم يطلع على ذلك أبو سعيد ، انتهى .

قلت : لكن روى أبو داود وغيره في حديثٍ ذكر أنه غريب وأن سنده جيد عن عائشة رضی الله تعالى عنها قالت : شككنا الناس إلى رسول الله صلى الله

من أحدث
منبر المصلى العيد

عليه وسلم فُجُوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى . وفي رواية للترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الاستسقاء حتى أتى المصلى فرقى على المنبر ؛ فهذا يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم خَطَبَ في الاستسقاء بالمصلى على منبر ، وكان ذلك هو المستند لمن أحدث المنبر في خطبة العيد قياساً على الاستسقاء ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم خَصَّ الاستسقاء بذلك لتيسر رؤيته لعامة الناس فيها ، فيقتدون به في تحويل الرداء عند تحويله ، وفي كيفية رفع اليدين في الدعاء ، ونحو ذلك مما يختص بخطبة الاستسقاء .

قال الحافظ ابن حجر : وقول أبي سعيد « غيرتم والله » صريحٌ في أنه هو المنكر ، ووقع في رواية مسلم « فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، قال : قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه » فيحتمل أن يكون المنكرُ أبا مسعود الذى وقع في رواية عبد الرزاق أنه كان معهما ، ويحتمل أن يكون القصة تعددت ، ويدل على ذلك المغايرة بين روايتي عياض ورجاء ، ففي رواية عياض أن المنبر بُنِيَ له بالمصلى ، وفي رواية رجاء أن مروان أخرج المنبر معه ، ولأن إنكار أبي سعيد كان بينه وبينه ، وإنكار الآخر وقع على رؤوس الناس .

وقوله « إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة » يشعر بأن ذلك باجتهاد من مروان .

وقد اختلف في أول من خطب قبل الصلاة ، فرواية الصحيحين عن أبي سعيد أول من خطب قبل صلاة العيد مصرحة بأنه مروان .

وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن الحسن البصرى قال : أول من خطب قبل الصلاة عثمان ، صلى بالناس ثم خطبهم ، يعنى على العادة ، فأرى ناساً لم يدركوا الصلاة ، ففعل ذلك ، أى صار يخطب قبل الصلاة . وهذه العلة غير التي اعتلَّ بها مروان ؛ لأن عثمان رضى الله تعالى عنه راعى مصلحة الجماعة في

إدراكهم للصلاة ، وأما مروان فراعى مصلحتهم في استماعهم الخطبة ، لكن قيل :
إنهم كانوا في زمن مروان يتعمدون ترك سماع خطبته لما فيها من سبٍّ مَنْ
لا يستحق السب ، والإفراط في مدح بعض الناس ، فعلى هذا إنما راعى مصلحة
نفسه . ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحيانا ، بخلاف مروان فواظب عليه
فذلك نسب إليه .

وقد أوردنا بقية كلام الحافظ ابن حجر وغيره من الفوائد المتعلقة بذلك في
كتابنا الموسوم « بالوفا » بما يجب لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم « وبيننا فيه
أن الدرج الموجودة التي يقوم عليها الخطيب اليوم ليست في الموضع الذي بنى
لمروان ؛ لأن مروان وإن قدّم الخطبة على الصلاة فلما له في ذلك من المقصد .
وأما جعله المنبر على خلاف السنة وجعله القوم أو بعضهم خلف ظهره فلا ثمرة
له ، وأيضاً فيبعد إقرار من جاء بعده على ذلك ، وأيضاً لو كان ذلك من فعله
لأنكر عليه كما أنكر عليه ما تقدم ، ولو سلم أن تلك الدرج في موضع منبر
مروان فالسنة تغيير ذلك واتباع ما صح من فعله صلى الله عليه وسلم ، كما خولف
في أمر الخطبة واتباع بها فعله صلى الله عليه وسلم حيث جعلت بعد الصلاة ،
والتشبث باستمرار أفعال الناس إنما يكون في شيء لم يعلم حكمه من جهة الشرع ،
أما ما علم حكمه فالواجب اتباع الشرع فيه ، واعتقاد حدوث ما عليه الناس ،
وتقديره بأقرب زمان ، وقد ذم الله تعالى قوما تمسكوا في جحد الحق بفعل
سلفهم حيث قال حكاية عنهم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم
مقتدون) فمن الواجب تطهير هذا المحل الشريف المنسوب للمصطفى صلى الله
عليه وسلم عن هذه البدعة الشنعاء ، ولذلك بينا بعض الدرج عن يمين القائم في
محراب المسجد المذكور كما ذكر العلماء أنه السنة ، وتكون مرتفعة بحيث يرى
القائم عليها من خارج المسجد ، والذي يظهر أن تلك الدرج إنما جعلت للمبلغ ،
وأن الخطيب إنما كان يقوم فيه على الأرض ؛ لأنه الثابت من فعله صلى الله

عليه وسلم ، فكان بعض الخطباء قام عليها بعد ذلك فاستمر الأمر على ذلك ،
والله أعلم .

الطرف الثالث : فيما جاء في فضل المصلي الشريف ، والدعاء به ، ونهيه
صلى الله عليه وسلم عن تضييقه والبناء به .

أورد ابن شبة في ترجمة المصلي عن جناح النجار قال : خرجت مع عائشة
بنت سعد بن أبي وقاص إلى مكة ، فقالت لي : أين منزلك ؟ فقلت لها : بالبلاط ،
فقالت لي : تمسك به فإنني سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « ما بين مسجدي هذا المسجد ومصلاي روضة من رياض الجنة » .

وقوله في هذه الرواية « ما بين مسجدي هذا المسجد - إلى آخره » يدفع
تأويلَ مَنْ أَوَّلَ حديث الأوسط للطبراني بلفظ « ما بين حجرتي ومصلاي »
والحديث الذي رواه ابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها بلفظ
« ما بين منبري والمصلي » بأن المراد مُصَلَّاهُ الذي يصلي فيه في المسجد ؛ لأنه
لا يصح أن يقال : ما بين هذا المسجد والمصلي الذي فيه ، ولهذا استدلت به
عائشة بنت سعد على الحث على التمسك بالدور التي بالبلاط ، يعني الآخذة من
باب السلام إلى المصلي ؛ لأنها فيما بين المسجد ومصلي العيد ، وإذا كان ما بين
المسجد المذكورين روضة فهما روضة من باب أولى ؛ لأن ذلك الفضل إنما حصل
لما بينهما بحصوله صلى الله عليه وسلم في ذلك وتردده صلى الله عليه وسلم فيما بينهما ،
فكيف بمحلِّ سجوده وموقفه الشريف ؟

وروى ابن شبة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا قَدِمَ من سفر فر بالمُعْتَمَلِ استقبال القبلة ووقف يدعو .
وعن أبي عطاء عن أبيه قال : قال لي سعيد بن المسيب : يا أبا محمد ، أتعرف
موضع دار كثير بن الصلت ؟ قلت : نعم ، قال : فإن النبي صلى الله عليه وسلم

خرج حتى انتهى إلى ذلك الموضع فقام وَصَفَ أصحابه خلفه فضلى على النجاشي حين مات في أرض الحبشة .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يَسْتَسْقِي ، فبدأ بالخطبة ، ثم صلى وكبر واحدةً افتتح بها الصلاة وقال : هذا مجعنا ومُستَمَطَّرُنَا ومدعانا لعيدنا ولفطرننا وأضحانا ؛ فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة ، ورواه ابن زبالة إلا أنه قال : ثم قال : هذا مجعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا لفظرنا وأضحانا ، الحديث .

وروى يحيى عن داود بن أبي الفرات قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فقال : هذا مستمطرنا ومُصَلَّانَا لأضحانا ولفطرننا ، لا يضيق ، ولا ينتقص منه شيء .

وسياتى في ترجمة أحجار الزيت أن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى عندها قريبا من الزوراء .

الطرف الرابع : فيما جاء من أنه صلى الله عليه وسلم : كان يذهب إلى هذا المصلى الشريف من طريق ويرجع في أخرى ، وبيان كل من الطريقين .
روينا في صحيح البخارى في باب مَنْ خالف الطريق إذا رجع يوم العيد عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق .

بيان طريق
ذهاب النبي
للمصلى
ورجوعه

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يوم العيد في طريق ورجع في طريق آخر ، وفي رواية « كان يأخذ يوم العيد في طريق ويرجع في طريق آخر » .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى العيد في طريق لم يرجع فيه .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى العيد رجَعَ في غير الطريق الذى أخذ فيه » .

وعنه رضى الله تعالى عنه أنه قال : ركن باب دارى هذا أحبُّ إلى من زيتها ذهباً ، سَلَكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على دارى إلى العيد ، فجعلها يَسَاراً ، فر على عضادة دارى مرتين فى غداةٍ واحدة .

قلت : ولا مخالفة بين هذا وبين الرواية الأولى لأن دار أبي هريرة كانت بالبلاط عند زقاق عبد الرحمن بن الحارث كما قدمناه فى الدور المحيطة بالبلاط الأعظم ، وبعدها إلى جهة المصلى قريباً منها دارُ سعد بن أبي وقاص .

وقد روى ابن شبة عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتى العيد ماشياً على باب سعد بن أبي وقاص ، ويرجع إلى أبي هريرة » وحينئذ فيمر على دار أبي هريرة فى ذهابه ثم فى رجوعه ؛ لأن الشافعى روى فى الأم ومنها نقلت عن المطلب بن حنطب أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يغدو يوم العيد إلى المصلى من الطريق الأعظم ، فإذا رجع رجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر » .

ورواه ابن زبالة عن محمد بن عمار بلفظ « كان يخرج إلى المصلى من الطريق العظمى على أصحاب الفساطيط ، ويرجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر » وقد قدمنا أن دار عمار بن ياسر فى زقاق عبد الرحمن بن الحارث الذى يسلك إلى البلاط عند دار أبي هريرة بأبهاً يقابل دار عبد الرحمن بن الحارث ، ولها خوخة فى كُتَّابِ عمرو ، فصَحَّ مروره صلى الله عليه وسلم عليها مرتين فى غداةٍ واحدة مع ذهابه من طريق ورجوعه فى أخرى .

وسأأتى فى ذكر طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء ذهاباً وإياباً ما يصرح بأنه إذا رجع يمر على مسجد بنى زريق من كُتَّابِ عمرو حتى يخرج إلى البلاط ، يعنى من الزقاق المذكور ؛ لما قدمناه فى وصف البلاط .

والطريق العظمى - كما قال المطرى - هي طريقُ الناسِ اليوم من باب المدينة : أى الدرب المعروف بدرب سويقة إلى مسجد المصلى ، ولم يتعرض لبيان الطريق الأخرى ، وقد منَّ الله سبحانه وتعالى ببيانه فله الحمد على ذلك . وهذه الطريق هي المرادة بما رواه ابن زباله عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى على ناحية الطريق التي كان ينصرف منها » وتلك الطريق والمسكان الذي كان يذبح فيه مقابل المغرب مما يلي طريق بنى زريق ، أى أنه إذا انصرف من المصلى أتى موضعا فى غربى طريق بنى زريق فذبح ، ثم سلك فى تلك الطريق ، وهى سالكة فى بنى زريق آخذة من قبلة المصلى إلى أن يمر بدار أبى هريرة كما تقدم ، ولهذا روى الواقدى عن عائشة وابن عمر وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم « كان يذبح عند طرف الرقاق عند دار معاوية » أى المتقدم ذكرها . وسور المدينة اليوم مانع من سلوك هذه الطريق فى الرجوع . ويستفاد من هذا أن المخالفة بين الطريقين لم تكن فى جميعهما ، إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا وصلَ إلى محل البلاط الذى عند دار أبى هريرة لم يسلك فى بقية الطريق العظمى ، وهى الشارعة اليوم إلى باب السلام ، بل يأخذ فى ميسرة البلاط إلى الشام ؛ لأن الظاهر أن غالب تلك الأماكن كانت براحا ثم يعرج إلى جهة داره بعد ذلك . على أن ما ذكرناه فى وصف هذه الطريق مُقتَضٍ لأن طريقه صلى الله عليه وسلم فى ذهابه أقصرُ من طريق رجوعه كما لا يخفى ؛ فيعكز على القول بأن المستحب أن يذهب فى أطول الطريقين ويرجع فى أقصرهما .

وقد روى الشافعى رحمه الله تعالى فى الأم عقب ما قدمناه عنه وصف طريق أخرى الرجوع فيها أبعدُ من الذهاب أيضاً بكثير جداً ؛ فإنه روى عقب ذلك عن معاذ بن عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن جده أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجَعَ من المصلى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق ، حتى إذا

كان عند مسجد الأعرج الذى هو عند موضع البركة^(١) التى بالسوق قام فاستقبل فجع أسلم فدعا ثم انصرف .

قال الشافعى عقبه : وأحبُّ أن يصنع الإمام مثل هذا ، وأن يقف فى موضع فيدعو الله مستقبلاً للقبلة ، وإن لم يفعل فلا كفارة ولا إعادة عليه ، هذا لفظ الأم ومنها نقلت .

ويؤيد هذا ما رواه يحيى عن محمد بن طلحة بن طويل قال : رأيت عثمان ابن عبد الرحمن ومحمد بن المنكدر ينصرفان من العيد فيقومان عند البركة التى بأسفل السوق ، قال : وسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف عند ذلك المكان إذا انصرف من العيد .

وقد قدمنا عن ابن زباله فى سوق المدينة أن محمد بن المنكدر وعثمان بن عبد الرحمن وجماعة كانوا يقومون بفناء بركة السوق مستقبليين ، وأن عثمان بن عبد الرحمن قال : قد اختلف علينا فى ذلك ؛ فقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو هنالك ، وقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم هنالك فينظر إلى الناس إذا انصرفوا من العيد .

قلت : وقد بينت رواية الشافعى المذكور أنه كان يدعو هنالك إذا انصرف من العيد ، ولا مانع من كونه مع ذلك ينظر إلى الناس المنصرفين من العيد أيضاً فلا اختلاف . وقد بينا هناك ما يقتضى أنه كان يسلك على سوق التمارين ، وهو فى شامى المصلى مما يلي المغرب ، وبيننا أيضاً أن منازل أسلم كانت فى غربى سوق المدينة إلى الشام بعد التمارين ، وذلك عند حصن أمير المدينة وما سفلى منه إلى جهة الشام مما يلي غربى سوق الشاميين عند منزل الحاج الشامى بالموسم ، وبيننا أن بركة السوق هى المنهل المدرج الذى على يسار المتوجه إلى تَدِيَّة الوداع عند مشهد النفس الزكية ، والقائم عندها إذا استقبل فجع أسلم كان مستقبلاً للقبلة ، ولعل مسجد الأعرج الذى أشار الشافعى فى روايته إلى أنه عندها هو الموضع الذى

(١) هى انهل الذى يقرب مشهد النفس الزكية ، ويقال لها اليوم «عين الزكى» (حسب الله) .

هو قبلة مشهد النفس الزكية ، فإنه مسجد ، وهو عند موضع البركة ، وما علمت المراد بالأعرج الذى نسب إليه المسجد المذكور .

وقد أنشأ قاضى الحرمين السيد الشريف العلامة محيى الدين عبد القادر الحنبلى الفاسى المكي مسجدا بمنزلة الحاج الشامى بالقرب من المنهل المذكور فى جهة قبلته^(١) .

إذا علمت ذلك فهذه الطريق تزيد على الطريق العظمى إلى المصلى بنحو ضعفها ، ويمكن سلوكها اليوم فى الرجوع من المصلى ، بخلاف الطريق السابقة ؛ لحيولة السور .

وأهل المدينة اليوم يذهبون من الطريق العظمى ، ويرجعون فى بعض تلك الطريق السابقة ؛ لأنهم يأخذون من جهة قبلة المصلى إلى المشرق خارج سور المدينة ، فيدخلون من درب البقيع ، وطريقهم هذه فى الرجوع أطول من الذهاب أيضاً ، ولو سلكوا الطريق المذكورة فى رواية الشافعى الثانية لكان أولى ، وليحصل الدعاء بذلك الحجل الشريف اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن تقدم ذكره من السلف الصالح .

وقد فعلت ذلك فى عامنا هذا ، فسلكت فى الذهاب إلى المصلى من الطريق العظمى ، ورجعت من أسفل السوق إلى أن قمت بفناء بركته المذكورة ، ثم انصرفت فدخلت المدينة من الباب الذى يلي حصن أمير المدينة ، والخير كله فى الاتباع ومجانبة الابتداع ، وأى بركة أعظم من ذهاب الإنسان إلى المصلى فى ذلك اليوم السعيد فى طريق ذهب منها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ثم صلاته بمصلاه الشريف ، ثم رجوعه فى طريقه التى رجع منها .

وقد قال المجد : وإذا ثبت بما رويناؤه - يعنى من الأحاديث المتقدمة - أن المصلى الموجود هو مصلى النبي صلى الله عليه وسلم فى الأعياد ، فالصلاة فيه تزداد فضلاً ومزية على كل مصلى أى ازدياد ، ويخص الفائزون بالصلاة فيه من الله تعالى

(١) يعرف اليوم بمسجد السبق (حسب الله) .

بأسبغِ نَعْمَ وأياد ، ويمنح الحائزون فضل الحضور إليها فواضل قصرت عنها معالي
معد وأيادي إيا .

قلت : وأخبرني جماعة من المشايخ منهم شيخنا الكمال أبو الفضل محمد ابن
العلامة نجم الدين المرجاني وأخته المسندة أم كمال كاليه والمسندة أم حبيبة زينب
ابنة الشهابي أحمد الشونكي وغيرهم إذنا عن المجد المشار إليه قال عقب ما تقدم
عنه : أنشدني أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الحموي كتابة عن أبي البركات
أمين بن محمد بن محمد بن محمد الغرناطي لنفسه :

إنَّ عيداً بطيبة وصلاةً بمُصَلَّى الرسولِ في يوم عيد
نَعْمٌ ضاق واسعُ الشكرِ عنها فَهَيَّ بُشْرَى لكل عبد سعيد
كم تمنيتها فَنِلْتُ التمني آخِرَ العمر من مكان بعيد
وإذا كان في البقيع ضَرِيحِي وتوسَّدْتُ طيبَ ذاك الصعيد
فاشهدُوا لي بكلِّ خيرٍ وبشرٍ عند ربي ومُبدئِي ومعيدِي

والمستول من فضل الله تعالى أن يكمل لأهل هذا المصلى الشريف عظيم
متمته يجعل منبره المنيف على طريقته صلى الله عليه وسلم وسنته ، بمنه وكرمه ، آمين

الفصل الثاني

في مسجد قباء ، وفضله ، وخبر مسجد الصُّرَّار

تأسيس
مسجد قباء

تقدم تأسيس النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء في الفصل العاشر من
الباب الثالث ، عند مقدمه صلى الله عليه وسلم قباء ، وبَسَطْنَا ذلك هناك ، فراجعه
وذكرنا هناك ما جاء من أن النبي صلى الله عليه وسلم عمل فيه بنفسه ، وأنه أسَّسه
وجبريل يَوْمَهُ به البيت ، وأنه كان يقال : إنه أقوَمُ مسجد قبلةً ، وأنه صلى الله
عليه وسلم أسَّسه ثانيا بعد تحويل القبلة ، وقدمنا أيضاً قول عروة في الصحيح

في حديث الهجرة الطويل « فَلَيْثَ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ بَضْعُ عَشْرَةَ لَيْلَةً ،
وَأَسَّسَ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى » .

وفي رواية عبد الرزاق عنه قال « الذين بنى فيهم المسجد الذي أسس على
التقوى هم بنو عمرو بن عوف » وكذا في حديث ابن عباس عند ابن عابد ولفظه
« ومكث في بني عمرو بن عوف ثلاث ليال ، واتخذ مكانه مسجدا فكان يصلى
فيه ، ثم بناه بنو عمرو بن عوف ، فهو الذي أسس على التقوى » وقد مرنا أيضاً أنه
أول مسجد بناه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرا .

قال الحافظ ابن حجر : اختلف في المراد بقوله تعالى (لمسجد أسس على
التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) فالجمهور على أن المراد مسجد قباء ، وهو
ظاهر الآية ، وتقدم في فضل المسجد النبوي حديث مسلم المشتمل على أن
أبا سعيد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال
« هو مسجدكم هذا » وفي رواية لأحمد والترمذي عنه : اختلف رجلان في المسجد
الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد المدينة ، فسألاه عن ذلك ،
فقال : هو هذا ، وفي ذلك - يعني مسجد قباء - خير كثير ، وقد مرنا أيضاً بالجمع
بأن كلا من المسجدين قد أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه ، وأنهما المراد
من الآية ، وأن السر في اقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر مسجد المدينة
دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قباء ، كما هو ظاهر ما فهمه السائل وتوهمها بمزية
مسجده الشريف .

المسجد الذي
أسس على
التقوى

قال الحافظ ابن حجر : والحق أن كلا منهما أسس على التقوى ، وقوله
تعالى في بقية الآية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يؤيد كون المراد مسجد قباء .
وعند أبي داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) في أهل قباء ، قال : كانوا يستنجون
بالماء ، فنزلت فيهم هذه الآية .

قال الحافظ ابن حجر : فالسر في جوابه صلى الله عليه وسلم بما تقدم دفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء .

قال الداودي وغيره : ليس هذا اختلافا ؛ لأن كلا منهما أسس على التقوى وكذا قال السهيلي وزاد أن قوله تعالى (من أول يوم) يقتضى مسجد قباء ؛ لأن تأسيسه كان في أول يوم حلَّ النبي صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة .

روى أحمد وابن شبة ، واللفظ لأحمد ، عن أبي هريرة قال : انطلقت إلى مسجد التقوى أنا وعبدُ الله بن عمر وسُمرة بن جندب ، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لنا : انطلقْ نحو مسجد التقوى ، فانطلقنا نحوه ، فاستقبلنا يدها على كاهلي أبي بكر وعمر ، فثرنا في وجهه فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا بكر ؟ فقال : عبد الله بن عمر ، وأبو هريرة ، وسمرة .

وروى ابن شبة من طرق ما حاصله أن الآية لما نزلت أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ قباء ، وفي رواية أهل ذلك المسجد ، وفي رواية بنى عمرو بن عوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أحسنَ عليكم الثناء في الطهور ، فما بلغ من طهوركم ؟ قالوا : نستنجى بالماء » .

وذكر أبو محمد المرجاني الجمع بأن كلا من المسجدين أسس على التقوى ، ثم قال : فقد روى عن عبد الله بن بُريدة في قول الله عز وجل (في بيوتٍ أذنَ الله أن ترفع) قال : إنما هي أربعة مساجد ، لم يبنهنَّ إلا نبي : الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وبيت أريحاء بيت المقدس ، بناه داود وسليمان ، ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذين أسسا على التقوى ، بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقال يحيى بن الحسين في أخبار المدينة : حدثنا بكر بن عبد الوهاب أنبأنا عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المسجدُ الذي أسسَ على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء ،

قال الله جل ثناؤه (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وبكر ابن عبد الوهاب هو ابن أخت الواقدي صدوق ، وعيسى بن عبد الله يظهر لي أنه عيسى بن عبد الله بن مالك وهو مقبول ؛ فيكون جده حينئذ عبد الله بن مالك ، وهو شيخ مقبول يروي عن علي وابن عمر ؛ فالحديث حسن ؛ فتعين الجمع بما تقدم والله أعلم .

ما جاء في أن الصلاة فيه تعدل عمرة

روى الترمذي عن أسيد بن حضير الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » قال الترمذي : وفي الباب عن سهل ابن حنيف ، وحديث أسيد حديث حسن غريب ، ولا يعرف لأسيد شيء يصح غير هذا الحديث .

قلت : وأخرجه البيهقي وابن ماجه من طريق أبي بكر بن شيبه بإسناد الترمذي ، وهو جيد ، بلفظ « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » .

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه شهد جنازة بالأوساط في دار سعد بن عباد ، فأقبل ماشيا إلى بني عمرو بن عوف بقباء بنى الحارث بن الخزرج ، فقيل له : أين تؤم يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أهل هذا المسجد في بني عمرو بن عوف ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ صَلَّى فِيهِ كَانَ كَعَدَلَ عَمْرَةٍ » .

ورواه ابن زبالة موقوفا ، ولفظه أن عبد الله بن عمر شهد جنازة في الأوساط من بنى الحارث بن الخزرج ، ثم خرج يمشي ، فقالوا له : أين تريد يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أريد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ؛ ه مَنْ صَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ كَانَ كَعَدَلَ عَمْرَةٍ .

وأخرج ابن ماجه وعمر بن شبة بسند جيد عن سهل بن حنيف قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أتَى مَسْجِدَ قِبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ عِمْرَةَ » .

ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

ورواه يحيى من طريقين فيهما مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُ بَلْفِظْ « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوَضُوءَ ثُمَّ جَاءَ مَسْجِدَ قِبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عِمْرَةَ » .

ورواه الطبرانی في الكبير عن سهل من طريق موسى بن عبيدة - وهو ضعيف - بلفظ « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوَضُوءَ ثُمَّ دَخَلَ مَسْجِدَ قِبَاءَ فَبَكَرَعَ فِيهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ رَقْبَةٍ » .

ورواه ابن شبة عن سهل من طريق موسى بن عبيدة المذكور بلفظ « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ ثُمَّ جَاءَ مَسْجِدَ قِبَاءَ فَبَكَرَعَ فِيهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عِمْرَةَ » .

ورواه أيضاً بسندٍ فيه يوسف بن طهمان - وهو ضعيف - عن سهل ابن حنيف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من مؤمن يخرج على طهر إلى مسجد قباء لا يريد غيره حتى يصلي فيه إلا كان بمنزلة عِمْرَةَ » .

وروى الطبرانی في الكبير بسند فيه يزيد بن عبد الملك النوفلي - وهو ضعيف - عن كعب بن عجرة بن عبيدة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوَضُوءَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى مَسْجِدِ قِبَاءَ لَا يَرِيدُ غَيْرَهُ ، وَلَا يَحْمِلُهُ عَلَى الْغُدُوِّ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِ قِبَاءَ ، فَصَلَّى فِيهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ بِأَمِّ الْقُرْآنِ كَمَا كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ » .

وقال عمر بن شبة : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا أيوب بن صيham عن سعيد بن الرقيش الأسدي قال : جاءنا أنس بن مالك إلى مسجد قباء فصلى ركعتين إلى بعض هذه السواري ثم سلم وجلس وجلسنا حوله ، فقال : سبحان الله ! ما أعظمَ حَقَّ هذا المسجد ، لو كان على مسيرة شهر كان أهلاً أن يؤتى ،

مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَرِيدُهُ مَعْتَمِداً إِلَيْهِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَقْلَبَهُ اللَّهُ
بِأَجْرِ حُمْرَةِ .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : ومما يُقَوَّى هذه الأخبار ويدل على تظاهرها
في العامة والخاصة قولُ عبد الرحمن بن الحكم في شعره :

فإن أهليكَ فقد أقررتُ عيناً من المتعمرات إلى قباء
من اللاتي سَوَّ الفُهْنُ غيدَ عليهنَّ الملاحاةُ بالبهاء

ما جاء في تفضيل الصلاة فيه على بيت المقدس ، ومغفرة ذنوب مَنْ صلى فيه
في مسجد قباء على بيت المقدس مع المساجد الثلاثة .

روى ابن شبة بسند صحيح من طريق عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت :
سمعت أبي يقول : « لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحبُّ إليَّ من أن آتي
بيت المقدس مرتين ، لو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل » .

ورواه الحاكم عن عامر بن سعد وعائشة بنت سعد سمعا أباهما يقول : لأن
أصلي في مسجد قباء أحبُّ إليَّ من أن أصلي في مسجد بيت المقدس ، قال
الحاكم : وإسناده صحيح على شرطهما . وهذا شاهد لما روى عن محمد بن مسلمة
المالكي أنه قال : إن إتيان مسجد قباء يلزم بالنذر ، وجهور العلماء أن ذلك وإن
كان قرابة لا يلزم بالنذر .

وعن عاصم قال : أخبرنا أن مَنْ صلى في المساجد الأربعة غُفِرَ له ذنبه ،
فقال له أبو أيوب : يا ابن أخي أدلك على ما هو أيسر من ذلك ، إني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ تَوَضَّأَ كما أمر ، وصلى كما أمر ، غُفِرَ
له ما تقدم من ذنبه » أخرجه أبو حاتم وقال : المساجد الأربعة : المسجد الحرام ،
ومسجد المدينة ، ومسجد الأقصى ، ومسجد قباء .

إتيان الرسول
مسجد قباء
ما جاء في إتيان النبي صلى الله عليه وسلم له راكبا وماشيا ، وصلاته فيه ،
وتعيين الأيام التي كان صلى الله عليه وسلم يأتي قباء فيها هو وغيره من الصحابة .

روينا في الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورُ قباء ، أو يأتي قباء ، راكباً وماشياً . زاد في رواية لهما : فيصلى فيه ركعتين .

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسجد قباء ، فصلى فيه ، فجعلت الأضراس يأتون وهو يصلى ، فيسألون عليه ، فخرج على صُهَيْبٍ فقالت : يا صُهَيْبُ كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردُّ على مَنْ سلم ؟ قال : يُشير بيده .

وفي رواية للبخارى والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً » وكان عبد الله يفعله . وفي رواية لابن حبان في صحيحه « كل يوم سبت » . وفيها رد على من قال : إن المراد بالسبت الأسبوع .

وروى ابن شبة عن سعيد بن عمرو بن سليم مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يُطرحُ له على حمار أنبجاني لسكل سبت ، ثم يركب إلى قباء » .

ورواه ابن زباله بنحوه ، وزاد « ويمشى حوله أصحابه » . وروى ابن شبة عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يأتي قباء يوم الاثنين » . وعن محمد بن المنكدر مرسلًا قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان ^(١) » .

ورواه يحيى عن ابن المنكدر عن جابر متصلًا . وفي كتاب رزين عن ابن المنكدر قال : أدركت الناس يأتون مسجد قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان . وروى يحيى عن ابن المنكدر نحوه أيضاً .

وعن أبي غزوية قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأتي قباء يوم الاثنين ويوم الخميس ، فجاء يوماً من تلك الأيام فلم يجد فيه أحداً من أهله ، (١) هذا باق إلى زماننا والناس يسمون ذلك العمرة (حسب الله) .

فقال : والذى نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فى أصحابه نَنقُلُ حِجَارَتَهُ عَلَى بَطُونِنَا، يُؤَسِّسُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، وجبريل يؤم به البيت ، ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لَضَرَبْنَا إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ ، ثم قال : اكسروا لى سَعَفَهُ واجتنبوا العَوَاهِنَ ، أى ما يلى القلب من السَعَفِ ، فقطعوا السعفة ، فأتى بها ، فأخذ رزمة فربَطَهَا فمَسَحَها ، قالوا : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين ، قال : لا تكفوني .

وفى رواية لرزين عقب قوله « وجبريل يؤم به البيت » ثم أخذ أى عمر رضى الله تعالى عنه جَرَانِدًا فجعل يمسح جُدْرَانَهُ وسطحه ، فقيل له : نكفيك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا تكفوني ، أنا أريد أن أكفيكم أتم مثل هذا ، وإن شئتم اعملوا مثل ما عمل .

وقد استشكل الزين المراغى قوله « وجبريل يؤم به البيت » بأن ذلك كان قبل تحويل القبلة ، وقد أشرنا فيما تقدم لجوابه .

وأسند ابن زبالة عن شيخ من بنى عمرو بن عوف قال : أتانا عمر بن الخطاب بقباء فقال خياط بسُدة الباب : انطَلِقْ فَأَتِنِي بِجَرِيدَةٍ وَإِيَّاكَ وَالْعَوَاهِنَ ، فأتاه بجريدة ، فمَشَرَهَا وترك لها رأسا فضرب به قبلة المسجد حتى نفص الغبار .

ورواه ابن شبة ، إلا أنه قال : عن شيوخ من بنى عمرو بن عوف أن عمر رضى الله تعالى عنه جاءهم بقباء نصف النهار ، فدخل مسجد قباء ، فأمر رجلا يأتیه بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ ، الخَبَرَ بِنَحْوِهِ .

وروى ابن زبالة عن زيد بن أسلم قال : الحمد لله الذى قرَّبَ منا مسجد قباء ، ولو كان بأفُقٍ من الآفاق لَضَرَبْنَا إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ .

وفى صحيح البخارى : كان سالم مولى أبى حذيفة رضى الله تعالى عنهما يؤم المهاجرين الأولين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر .

ورواه ابن شبة عن ابن عمر ، ولفظه : وكان سالم مولى أبي حذيفة يوم
المهاجرين الأولين وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار في مسجد
قباة ، فيهم أبو بكر وعمر وأبو سامة وزيد وعامر بن ربيعة رضوان الله عليهم .
وروى أيضاً عن أبي هاشم قال : جاء تميم بن زيد الأنصاري إلى مسجد قباة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مُعَاذًا أَنْ يَصَلِّيَ بِهِمْ ، فجاء صلاة الفجر
وقد أسْفَرَ فقال : ما يمنعكم أن تُصَلُّوا ؟ ما لكم قد حبستم ملائكة الليل وملائكة
النهار ؟ قالوا : يمنعنا أنا نَنْتَظِرُ صاحبَنَا ، قال : فما يمنعكم إذا احتبس أن يصلى
أحدكم ؟ قالوا : فأنت أحقُّ من يصلى بنا ، قال : أترضون بذا ؟ قالوا : نعم ،
فصلى بهم ، فجاء معاذ فقال : ما حملك يا تميم على أن دخلت عليَّ في سرِّ بالِ
سَرِّ بَلَنِيهِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما أنا بتاركك حتى أذهب بك
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إن هذا تميمٌ دخل في
سرِّ بالِ سَرِّ بَلَتِنِيهِ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما تقول يا تميم ؟ فقال مثل
الذي قال لأهل المسجد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا فاصنعوا مثل
الذي صنع تميم بهم ، إذا احتبس الإمام .

وروى ابن زبالة عن عويم بن ساعدة أن سعد بن عويم بن قيس بن النعمان
كان يصلى في مسجد قباة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي زمان
أبي بكر حتى توفي ، [وفي] زمان عمر بن الخطاب فأمر عمر مجمع بن حارثة أن يصلى
بهم بعد أن ردّه ، وقال له : كنت إمام مسجد الضَّرَّار ، فقال : يا أمير المؤمنين
كنت غلاماً حدثاً ، وكنت أرى أن أمرهم على أحسن ذلك ، وقدّموني لما معي
من القرآن ، فأمره فصرّى بهم .

ما جاء في تعيين مُصَلِّاهُ صلى الله عليه وسلم منه ، وصفته ، وذَرَعُهُ
روى ابن زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى إلى الأُسْطُوَانِ الثَّالِثَةِ في
مسجد قباة التي في الرحبة .
المسكان الذي
كان الرسول
يصلى فيه
بمسجد قباة

ونقل ابن شبة عن الواقدي أنه قال : عن مجمع بن يعقوب عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : كان المسجدُ في موضع الأُسْطُوَانِ المُخَلَّقَةِ الخارجة في رحبة المسجد .

وعن ابن رقيش قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ، وقَدَّمَ القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال : جبريلُ يؤمُّ بي البيت . قال ابن رقيش : فحدثني نافع أن ابن عمر كان بعدُ إذا جاء مسجد قباء صلى إلى الأُسْطُوَانِ المُخَلَّقَةِ يقصد بذلك مسجدَ النبي صلى الله عليه وسلم الأول .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرني مَنْ أُنقِ بِه من الأنصار من أهل قباء أن موضع قبلة مسجد قباء قبل صَرْفِ القبلة أن القائم كان يقوم في القبلة الشامية فيكون موضع الأُسْطُوَانِ الشارعة في رَحْبَةِ مسجد قباء التي في صفِّ الأُسْطُوَانِ المُخَلَّقَةِ المُقدِّمة التي يقال لها إن مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حَرْفِهَا .

قال : وأخبرني أيضاً أن مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء بعد صَرْفِ القبلة كان إلى حرف الأُسْطُوَانِ المُخَلَّقِ كثير منها المُقدِّمة إلى حرفها الشرقي ، وهي دون محراب مسجد قباء عن يمين المصلى فيه .

وروى ابن زباله عن عبد الملك بن بكر بن أبي ليلى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجد قباء إلى الأُسْطُوَانِ الثالثة في الرحبة إذا دخلت من الباب الذي بقاء دار سعد بن خيثمة .

قلت : والباب المذكور هو المسدود اليوم يظهر رَسْمُهُ من خارج المسجد في جهة المغرب ، وكان شارعاً في الرواق الذي يلي الرحبة من المسقف القبلي ؛ فالأُسْطُوَانِ الثالثة في الرحبة هي الأُسْطُوَانِ التي عندها اليوم محراب في رحبة المسجد ؛ لانطباق الوَصْفِ المذكور عليها ؛ فهي المراد بقول الواقدي « كان المسجدُ في موضع الأُسْطُوَانِ المُخَلَّقَةِ الخارجة في رحبة المسجد وهي التي كان ابن عمر يصلي

إليها . ومقتضى ما تقدم عن أبي غسان أن هذه الأستوانة عندها مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول قبل تحويل القبلة ، وأن مصلاه بعد التحويل كان إلى الأستوانة التي في صف هذه الأستوانة مما يلي القبلة ، وهي الثالثة من أستوان الرحبة المذكورة ؛ فإنها الموصوفة بما ذكره من كونها دون المحراب على يمين المصلى فيه ، والمصلى إلى حرفها الشرقى يكون محاذيا لمحراب المسجد ؛ فالرواق القبلى مزيد في المسجد ، وجعلوا المحراب به في محاذة المصلى الشريف من الأستوان المذكورة . لكن قوله في الرواية الأخرى « وقدم القبلة إلى موضعها اليوم » يقتضى أنه لم يزد أحد في جهة القبلة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فينبغى أن يترك بالصلاة عند محراب القبلة ، وعند الحليين من الأستوانتين المذكورتين .

وقد اقتصر يحيى في بيان مصلى النبي صلى الله عليه وسلم على الأستوان التي في الرحبة ؛ فذكر رواية ابن زبالة ، ثم روى عن معاذ بن رفاعة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إلى الأستوان الخارجة ، وهي في صف المحلقة ، وإنما كان موضعها يومئذ كهيئة العريش . ثم ذكر أن موسى بن سالم حدثه أنه رأى أبا الحسن على بن موسى الرضى يصلى إلى هذه الأستوانة الخارجة . ثم قال يحيى : ورأيت غير واحد من أهل بيتى منهم عبد الله وإسحاق أبنا موسى بن جعفر وحسين بن عبد الله بن عبد الله بن حسين يصلون إلى هذه الأستوانة الخارجة إذا جاءوا قباء ، ويذكرون أنه مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ورأيت من أهل بيتى من يأتي قباء فيصلى إليها من يقتدى به ممن لا أبلى أن لا أرى غيره في الفقه والعلم ، انتهى .

وعن يمين مستقبل الأستوانة المذكورة هيئة محاريب في رحبة المسجد لم أعلم أصلها ، وبالرواق الذى يلي الرحبة قريبا من محاذة محراب المسجد دكة مرتفعة عن أرض المسجد يسيرا أمامها محراب فيه حجر منقوش فيه قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه - الآية) وبعدها ما لفظه :

هذا مقامُ النبي صلى الله عليه وسلم ، جُدِّدَ هذا المسجد في تاريخ سنة إحدى وسبعين وستائة ، ولم يتبين اسمُ مَنْ جدد المسجد . وظاهر حال مَنْ صنع ذلك في هذا المحل أنه محلُّ المصلَّى الشريف ، وفيما قدمناه ما يردّه ، وقد اغتَرَّ المجدُّ بذلك فجزم بأن تلك الدكة هي أول موضع صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه حين أَلَفَ كتابه كان غائبا عن المدينة ، فوصف تلك الدكة بقوله : وفي صحنّه مما يلي القبلة شَبَّهُه محرابٍ على مصطبة هو أول موضع ركع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه وصفها بأنها في صحن المسجد ليجمع ما تقدم عن المؤرخين في وصف المصلّى الشريف . ولا يصح القول بأنها كانت أولا في رحبة المسجد ؛ لاحتمال أنه زيد بعده في المسقف القبلي رواق ؛ لما سئبناه من أن أروقة المسجد ورخبته كانت على ما هي عليه اليوم ، لم يزد فيها شيء بعد ما ذكره المؤرخون .

ثم رأيت ما ذكره المجدُّ بحدوثه في رحلة ابن جُبَيْر ، وكانت عام ثمان وسبعين وخمسة ، فتلك الدكة التي يعينها ابن جُبَيْر كانت في صحن المسجد عند الأسطوانة التي إليها اليوم المحراب في رحبة المسجد ، فيوافق ما أطبق عليه الناسُ وكأنها دَثَرَتْ على طول الزمان ، ثم أعيدت في غير محلها ؛ فإنه ذكر أنها بصحن المسجد مما يلي القبلة ، ووصف أروقة المسجد بما هي عليه اليوم ؛ فليست الدكة الموجودة اليوم لحدوثها بعده .

وأما الحظيرة التي بصحن المسجد فلم أرَ في كلام المتقدمين تعرضا لذكرها ، والشائعُ على السنة أهل المدينة أنها مَبْرَكُ ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبه جزم المجدُّ تبعا لابن جُبَيْر في رحلته ؛ فقال : وفي وسط المسجد مَبْرَكُ الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه حظيرة قصيرة شبه روضة صغيرة يتبرك بالصلاة فيه ، انتهى .

وهو محتمل ؛ لأن أصل مسجد قباء كان مَرَبَدًّا لسككثوم بن الهدم ، وعليه

نزل النبي صلى الله عليه وسلم على ما أسلفناه ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم فأسس مسجدا . وقيل فيه غير هذا مما قدمناه .

وقال ابن زبالة : حدثنا عاصم بن سويد عن أبيه قال : وكان مسجد قباء على سبع أساطين ، وكانت له درجة لها قبة يؤذن فيها يقال لها النعامة ، حتى زاد فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ذلك .

قلت : وعدد كل صف من أساطينه اليوم بين المشرق والمغرب سبع أيضا . وقال الزين المراغي عقب نقل ذلك عن ابن زبالة : فيحتمل أن هذه — يعنى الصفة المذكورة في كلام ابن زبالة — صفة بنائه عليه الصلاة والسلام ، ويؤكد قوله « ولم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز » أى زمن الوليد .

قلت : وما أيد به الاحتمال المذكور لم أره في كلام أحد من المؤرخين غير المطري ومن تبعه .

وقد روى ابن شبة ما يصرح بخلافه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : إن ما بين الصومعة إلى القبلة زيادة زادها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

قلت : والصومعة هى المنارة التى فى ركنه الغربى مما يلى الشام ، وسيأتى فى ترجمة غرة أنه اسم أطم لبني عمرو بن عوف ابتليت المنارة فى موضعه .

وقال ابن النجار : كان النبي صلى الله عليه وسلم نزل بقباء فى منزل كلثوم بن الهدم ، وأخذ مربدة فأسس مسجدا وصلى فيه ، ولم يزل ذلك المسجد يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلى فيه أهل قباء ، فلما توفى صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتُعظمه .

تجديد
مسجد قباء

ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسعه ، وبناه بالحجارة والجص ، وأقام فيه الأساطين من الحجارة بينها عواميد الحديد والرصاص ، ونقشه بالفسيفساء ، وعمل له منارة ، وسقفه بالساج ، وجعله

أروقة ، وفي وسطه رحبة ، وتهدم على طول الزمان حتى جدد عمارته جمال الدين الأصفهاني وزير بني زَنْجِي الملوك ببلاد الموصل .

قلت : وكان تجديد الجِوَاد لمسجد قباء في سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، كما قاله المطري .

وفيا قدمناه من صورة ما كتب في محراب الدكة التي بالرواق الذي يلي الرحبة ما يقتضى أنه جدد بعد ذلك في سنة إحدى وسبعين وستمائة .

وبالمسجد منقوش أيضا ما يقتضى أن الناصر بن قلاوون جدد فيه شيئاً سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة ، وجدد غالب سقفه الموجود اليوم الأشرف برسبای على يد ابن قاسم الحلبي أحد مشايخ الخُدَام سنة أربعين وثمانمائة .

وقد سقطت منارته سنة سبع وسبعين وثمانمائة ، فجددها متولى العمارة في زماننا الجناب الخواجكي الشمسي بن الزمن - عامله الله بلطفه - في سنة إحدى وثمانين وثمانمائة في أثناء عمارته السابقة بالمسجد النبوي بعد هدمها إلى الأساس ، وهدم الأستوانة التي كانت لاصقةً بها ، وكانت تلك الأستوانة محكمة بالرصاص ، وأعيدت بغير رصاص ، وأبدلوا من أحجارها ما قدمنا أنهم أدخلوه في أستوان الصندوق التي في جهة الرأس الشريف بالمسجد النبوي .

وهدم متولى العمارة أيضا ما يلي المنارة المذكورة من سور المسجد إلى آخر بابها الذي يليها في المغرب ، وأعاد بناء ذلك ، وجدد بعض سقفه ، وبنى السبيل والبركة المقابلين للمسجد في المغرب بالحديقة المعروفة بالسراج العيني الموقوفة على قرابته ، وقد كانت المنارة الأولى الأطف من هذه فزاد في طولها ؛ فإن ابن النجار قال : وطول منارته من سطحه إلى رأسها اثنان وعشرون ذراعا ، وعلى رأسها قبة طولها نحو عشرة أذرع ، قال : وعرض المنارة من جهة القبلة عشرة أذرع شاقفة ، ومن المغرب ثمانية ، وذكر قبل ذلك أن ارتفاع المسجد في السماء عشرون ذراعا ؛

فيكون جملة طول المنارة الأولى اثنين وخمسين ذراعاً من أعلاها إلى أسفل الأرض ، وهو يقرب لما نقله ابن شبة في وصف المنارة المذكورة ، فإنه قال : وطول منارته خمسون ذراعاً ، وعرضها تسعة أذرع وشبر في تسعة أذرع ، انتهى - وذرع هذه المنارة الجديدة اليوم من الأرض الخارجة عن المسجد إلى أعلى قبتها أحد وستون ذراعاً ، وعرضها تسعة أذرع في المشرق والقبلة ، وهناك بابها .

ونقل ابن شبة عن أبي غسان أن طول مسجد قباء وعرضه سواء ، وهو ست وستون ذراعاً . قال : وطول ذرعته في السماء تسعة عشر ذراعاً ، وطول رحبته التي في جوفه - يعني صحنه - خمسون ذراعاً ، وعرضها ستة وعشرون ذراعاً . وذكر ابن النجار نحوه ، فقال : طوله ثمانية وستون ذراعاً تشف^(١) قليلاً ، وعرضه كذلك .

قلت : وقد اختبرت ذلك فكان ذرع طوله من المشرق إلى المغرب مما يلي الشام ثمانية وستين ذراعاً ونصفاً ، وكان عرضه من القبلة إلى الشام تسعة وسبعين ذراعاً ، وذرع طوله بين المشرق والمغرب مما يلي جدار القبلة أربعين من سبعين ذراعاً ييسير ، وطول ذرعته في السماء من أرض المسجد إلى سقفه تسعة عشر ذراعاً ، وطوله من خارجه من البلاط الذي في غربيه إلى أعلى شراريفه أربعة وعشرون ذراعاً ، وذرع طول صحنه من المشرق إلى المغرب أحد وخمسون ذراعاً ، وعرض صحنه من القبلة إلى الشام ستة وعشرون ذراعاً وربع ، وهذا الصحن هو الذي عبر عنه أبو غسان بالرحبة في جوفه ؛ فصح بذلك أن رحبة المسجد اليوم على ما كانت عليه في زمن أبي غسان وغيره من المؤرخين الذين قدمنا كلامهم ، وأن ما قدمناه في بيان مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم بكونه عند الحراب الذي بجانب الأستوانة التي في رحبة المسجد اليوم صحيح ، وأن ما قاله الجذ من كون تلك الدكة المتقدم وصفها بصحن المسجد غير صحيح .

(١) تشف تنقص .

وقال ابن جبير في رحلته : إن مسجد قباء سبع بلاطات ، يعنى أروقة كما هو في زماننا ، ويانه أن المسقف القبلي ثلاثة أروقة ، والشامى اثنان ، وفي المغرب رواق واحد يلي باب المسجد اليوم ، وفي المشرق في مقابلته رواق واحد أيضاً .

وذكر ابن النجار في عدد أساطينه ما يوافق كونه على سبعة أروقة أيضاً ؛ فقال : وفي المسجد تسعة وثلاثون أسطواناً ، بين كل أسطوان وأسطوان سبعة أذرع شافّة .

قلت : وعدّها اليوم كذلك ؛ لأن جهة القبلة ثلاثة صفوف كل صف سبعة أساطين بين المشرق والمغرب ، وجهة الشام صفان كل صف سبعة أيضاً ، وفيما يلي الرحبة من المغرب أسطوانتان ، وفيما يليها من المشرق أسطوانتان ، وجملة ذلك ما ذكره .

ووقع فيما نقله ابن شبة عن ابن عساكر في النسخة التي وقعنا عليها تصحيف في عدد الأساطين ، وما قدمناه هو الصواب .

قال ابن النجار : وفي جُدْرانه طاقات نافذة إلى خارج في كل جانب ثمان طاقات ، إلا الجانب الذى يلي الشام فإن الثامنة فيها المنارة .

قلت : ولما أعادوا بناء ما هدموه مما حول المنارة المذكورة في زماننا سدّوا من الجهة الشامية طاقة أخرى مما يلي المنارة المذكورة ، وسدّوا مما يليها من جهة المغرب ثلاث طاقات أيضاً ، فإنهم جعلوا الجدار في بنائهم مُصمّتا كله ، والله أعلم .

بيان ما ينبغى أن يُزار بقباء من الآثار تنميماً للفائدة

منها : دار سعد بن خَيْثَمَة ، وقد تقدم أن باب مسجد قباء المسدود في المغرب بقباء دار سعد بن خَيْثَمَة ، وهى في قبلة مسجد قباء ، والجانب الذى يلي هذا الباب المسدود منها يدخله الناس للزيارة ويسمونه مسجد على رضى الله تعالى عنه ، وكأنه المراد بما سيأتى في الفصل الرابع في مسجد دار سعد بن خَيْثَمَة .

دار سعد
ابن خَيْثَمَة

وروى ابن شبة عن أبي أمامة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « اضطجع في البيت الذي في دار سعد بن خيثة بقاء » وعن ابن وقش أن النبي صلى الله عليه وسلم « دخل بيت سعد بن خيثة بقاء ، وجلس فيه » وروى ابن زباله عنه أنه قال : يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ من المهراس الذي يلي دار سعد بن خيثة بقاء .

دار كلثوم
ابن الهدم

ومنها : دار كلثوم بن الهدم ، وهي إحدى الدور التي قبلي المسجد أيضا ، يدخلها الناس للزيارة والتبرك . وقد قدمنا نزوله صلى الله عليه وسلم على كلثوم ابن الهدم بداره لما قدم بقاء ، وكذلك أهله وأهل أبي بكر حين قدموا .

بئر
أريس

ومنها بئر أريس ، وسيأتي ما جاء فيها في الآثار ، قال ابن جبير في رحلته : ويازائها دار عمر ، ودار فاطمة ، ودار أبي بكر ، رضى الله تعالى عنهم ! . ولعله يريد أما كن نزولهم قبل التحوّل إلى المدينة ، والله أعلم .

طريق النبي
إلى قباء
ذاهبا وراجعا

ما جاء في بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء ذاهبا وراجعا
قال أبو غسان فيما نقله ابن شبة : أخبرني الحارث بن إسحاق قال : كان إسحاق بن أبي بكر بن إسحاق يحدث أن مبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركبه إلى قباء أن يمر على المصلى ، ثم يسلك في موضع الزقاق بين دار كثير ابن الصلت ودار معاوية بالمصلى ، ثم يرجع راجعا على طريق دار صفوان بن سلامة التي عند سقيفة محرق ، ثم يمر على مسجد بنى زريق من كتّاب عروة حتى يخرج إلى البلاط ، قال : فذكر إسحاق أنه رأى الوليد بن عبد الملك سلك هذه الطريق على هذه الصفة في مبدئه ورجعته من قباء .

قلت : وهو يقتضى أن طريقه صلى الله عليه وسلم كانت من جهة الدرب المعروف اليوم بدرب سويقة في الذهاب والرجوع ؛ لأن المصلى ومسجد بنى

زريق في جهته ، وقد سبق في المصلى أن دار كثير بن الصلت كانت قبلة المصلى ،
وسبق ما يؤخذ منه أن دار معاوية رضى الله عنه كانت مقابلها .

وقوله « حتى يخرج إلى البلاط » أى الآخذ من باب السلام إلى جهة درب
سويقة ؛ لما سبق في الكلام على المصلى من رجوعه صلى الله عليه وسلم على مسجد
بنى زريق من كتّاب عروة حتى يخرج إلى البلاط من زقاق دار عبد الرحمن بن
الحارث المتقدم بيانه في الدور التي في ميمنة البلاط المذكور ، وكثير من الناس
اليوم يسلكون إلى قباء من طريق درب البقيع ؛ لكونها أقصد يسيراً .

شروع الطريق

وقد ذرعتُ الطريقَ من هذه الجهة فكان بين عتبة باب المسجد النبوى
المعروف بباب جبريل وعتبة باب مسجد قباء سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع
بذراع اليد المتقدم تحريره يشفُ يسيراً ، وذلك ميلان وخمسا سبع ميل . وسيأتى
في ترجمة قباء ما وقع للناس من الخبط في بيان هذه المسافة ، فإن أسقطتَ حصة
ما بين باب جبريل و باب درب البقيع من ذلك كانت المسافة بين باب سور
المدينة المذكور و باب مسجد قباء ميلين إلا مائتي ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعاً ،
والله سبحانه وتعالى أعلم .

ما جاء في مسجد الضرار مما يُنوّه بقدر مسجد قباء

روى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجداً
ضراراً) هم أئمة من الأنصار ائمتنا مسجداً فقال لهم أبو عامر : ائمتنا مسجدكم ،
واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فات
يجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا : إنا فرغنا من بناء مسجدنا فنحن نرجو أن تصلى فيه وتدعو بالبركة
فأنزل الله عز وجل : (لا تقمّ فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم)

بناء مسجد الضرار

يعنى مسجد قباء (أحق أن تقوم فيه) إلى قوله: (على شفا جُرفِ هارٍ فأنهارَ به في نار جهنم) يعنى قواعده (والله لا يهدى القوم الظالمين).

وروى ابن شبة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان موضعُ مسجد قباء لامرأة يقال لها لية، كانت تربط حماراً لها فيه، فابتنى سعدُ بن خَيْثَمَةَ مسجداً، فقال أهل مسجد الضرار: أنحن نصلى في مَرَبَطِ حمار لية؟ لا، لعمر الله، لكننا نَبْنِي مسجداً فنصلى فيه حتى يجيء أبو عامر فيؤمنا فيه، وكان أبو عامر فرّاً من الله ورسوله فلحق بمكة، ثم لحق بعد ذلك بالشام فتنصر فمات بها، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى: (والذين اتَّخَذُوا مسجداً ضِراراً وكفراً) الآيات.

وعن سعيد بن جبَيْر أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً، وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدَعَوْهُ ليصلى فيه، ففعل فأتاهم فصلّى فيه، فحَسَدَهُمْ إخوانهم بنو فلان بن عمرو بن عوف، يشك، فقالوا: لا، نبني نحنُ مسجداً وندعو النبي صلى الله عليه وسلم فيصلى فيه كما صلى في مسجد إخواننا، ولعل أبا عامر يصلى فيه، وكان بالشام، فابتنوا مسجداً، وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليصلى، فقام ليأتيهم، وأَنْزَلَ القرآن (والذين اتَّخَذُوا مسجداً ضِراراً وكفراً وتفرقوا بين المؤمنين وإرصاداً لمن حاربَ الله ورسوله من قبل، وليحلفنَّ إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون، لا تقم فيه أبداً، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه، فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا، والله يحب المطهرين، أمن أسسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسسَ بنيانه على شفا جُرفِ هارٍ فأنهارَ به في نار جهنم؟ والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبةً في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم) قال: قال عكرمة: إلى أن تقطع قلوبهم (والله عليم حكيم).

وأَسَدُ الطهرى فيما قاله ابن عطية عن ابن إسحاق عن الزهرى وغيره أن الننى

حرق مسجد
الضرار
صلى الله عليه وسلم « أقبلَ من غزوة تبوك حتى نزل بذي أوان بليد بينه وبين
المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحابُ مسجدِ الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهزُ
إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلمة
المطيرة ، وإنا نحبُّ أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال : إني على جناح سفرٍ وحالٍ
شغلٍ ، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ، فلما قفلَ ونزل بذي أوان
نزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالكَ
ابن الدخشم ومَعْن بن عدي ، أو أخاه عاصم بن عدي ، فقال : انطلقا إلى هذا
المسجد الظالم أهلُه فاهدِمَاه وحرِّقَاه ، فانطلقا مسرعين ففعلوا وحرقاه بنار
في سَعَف .

وفي رواية ذكرها البغوي أن الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه
وإحراقه انطلقوا سريعاً حتى أتوا سالم بن عوف ، وهم رهطُ مالك بن الدخشم
فقال مالك : أنظروني حتى أخرج إليكم بنار من أهلي ، فدخل أهله فأخذ سَعَفاً
من النخيل ، فأشعل فيه ناراً ثم خرجوا يشتدُّون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله
فحرقوه وهدموه ، وتفرق عنه أهله ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ ذلك
كناسة تُلقى فيها الجيفُ والنتن والقمامة .

وقال ابن النجار : هذا المسجد بناه المنافقون مضاهاةً لمسجد قباء ، وكانوا
يجمعون فيه ويعيبون النبي صلى الله عليه وسلم ، ويستهزئون به .

أسماء بناء
مسجد الضرار
قال ابن إسحاق : وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً : خدام بن خالد ،
وهو من بني عبيد بن زيد بن مالك ومن داره أخرجه ، وعلبة بن حاطب من
بني أمية بن زيد أي أحد بني عمرو بن عوف ، ومُعْتَب بن قشير من بني ضبيعة
ابن زيد ، وأبو حبيبة بن الأذعر ، وعياد بن حنيف من بني عمرو بن عوف ،
وجار بن عامر ، وابناه مجمع وزيد ، ونبتل بن الحارث ، ومخرج ومجاد بن

عثمان ، سبعتهم من بنى ضبيعة ، ووديعه بن ثابت من بنى أمية بن زيد ، انتهى .

وقال بعضهم : إن رجالا من بنى غنم بن عوف و بنى سالم بن عوف كان فيهم نفاق حسدوا قومهم بنى عمرو بن عوف ، وكان أبو عامر المعروف بالراهب - وسماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق - منهم .

قلت : وهو من بنى ضبيعة أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وتقدم أن بنى غنم بن عوف و بنى سالم بن عوف من الخزرج وليسوا بقباء ، ففى هذا القول نظر .

قال : فكتب أبو عامر وهو بالشام إلى المنافقين من قومه أن يبنوا مسجداً مقاومة لمسجد قباء وتحقيراً له ، فإنى سأتى بجيش أخرج به محمداً وأصحابه من المدينة فبنوه وقالوا : سيأتى أبو عامر ويصلى فيه ، وتتخذة متعبداً ، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى (وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله) .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت (لا تقم فيه أبداً) كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد ، وهذا مما يؤيد ما قدمناه من أن المراد من قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى) مسجد قباء .

وقال ابن عطية : روى عن ابن عمر أنه قال : المراد بالمسجد المؤسس على التقوى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد يعنى بقوله تعالى : (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) هو مسجد قباء ، وأما البنيان الذى أسس على شفا جرف هار فهو مسجد الضرار بالإجماع .

وقوله « فانهار به فى نار جهنم » قال ابن عطية : الظاهر منه وما صح من خبرهم وهدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدهم أنه خارج مخرج المثل لهم : أى حالهم كمن ينهار بنيانه فى نار جهنم . وقيل : بل ذلك حقيقة ، وأن ذلك المسجد

بعينه انهارَ في نار جهنم ، قاله قتادة وابن جريج . وروى عن جابر بن عبد الله وغيره أنه قال : رأيتُ الدخانَ يخرجُ منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه حين انهارَ حتى بلغَ الأرضَ السابعة ، ففزعَ لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنهم لم يُصلِّوا فيه أكثرَ من ثلاثة أيام ، وانهارَ في الرابع . قال ابن عطية : وهذا كله بإسناد لين ، والأول أصح .

وأسند الطبري عن خلف بن يامين أنه قال : رأيتُ مسجدَ المنافقين الذي ذكر في القرآن ، ورأيتُ فيه مكاناً يخرج منه الدخان ، وذلك في زمن أبي جعفر المنصور .

وقيل : كان الرجل يدخل فيه سَعَقَةً فتخرج سوداء محترقة ، ونقل عن ابن مسعود أنه قال : جهنم في الأرض ، ثم تلا (فانهار به في نار جهنم) .

قال الجلال المطري : وأما مسجد الضَّرَّار فلا أثر له ، ولا يعرف له مكان فيما
الخلاف
في موضع
مسجد الضرار حول مسجد قباء ، ولا غير ذلك .

قلت : وهو كذلك ، لكن بالنسبة إلى زمنه وزمننا ؛ فقد قال ابن جُبَيْر في رحلته : وهذا المسجد مما يتقرب الناسُ إلى الله برَّجْمِهِ وَهَدْمِهِ وكان مكانه بقباء عارض به اليهودُ مسجدَ قباء .

وقوله « اليهود » صوابه المنافقون .

وقال ابن النجار : وهذا المسجد قريب من مسجد قباء ، وهو كبير ، وحيطانه عالية ، وتؤخذ منه الحجارة ، وقد كان بناؤه مليحاً ، انتهى .

وهذا يقتضى وجوده في زمن ابن النجار على تلك الحالة ، وقد قال المطري : إنه وَهْمٌ لا أصل له ، وتعقبه المجد بأنه لا يلزم من وجوده زمان ابن النجار كذلك استمراره ، وقد تبع ابن النجار في ذلك غيره إن لم يكن شاهدَه ، فهذا البشاري

يقول : ومنها مسجد الضرار يتطوعُ العوام بهدمه ، وتبعه ياقوت في معجمه ، وابن جبير في رحلته ، انتهى .

وقال ابن النجار أيضاً ، في ذكر المساجد المعروفة في زمنه ما لفظه : واعلم أن بالمدينة مساجدَ خراباً فيها المحاريب وبقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها : منها مسجدُ بقاء قريب من مسجد الضرار فيه أسطوان قائمة .

قلت : وهذا غير معروف اليوم ، وهو صريح في أشتهار مسجد الضرار في زمنه بقاء حتى عرف به المسجد المذكور .

ووقع في كلام عياض في المشارق ، وتبعه المجد ، ما يقتضى أن مسجد الضرار بذي أوان ؛ فإنه قال في ذروان : إن روايته بلفظ ذى أوان وهم . قال : وهو موضع آخر على ساعة من المدينة ، هو الذى بنى فيه مسجد الضرار ، هذا لفظه .

ولعل مراده هو الذى وقع ذكر بنائه به في حديث مسجد الضرار ؛ لما قدمناه من أن أصحابه جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بذي أوان ، وأخبروه ببناؤه ، والله أعلم .

الفصل الثالث

في بقية المساجد المعلومة العين في زماننا بالمدينة الشريفة وما حولها اعلم أن الاعتناء بهذا الغرض متعين ؛ فقد قال البغوى من الشافعية : المساجد التى ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيها لو نذر أحد الصلاة في شيء منها تعين كما تعين المساجد الثلاثة ، واعتناء السلف بتتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم معلومٌ — سيما ما جاء في ذلك عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما — وقد استفرغنا الوسع في تتبعها .

فإنها : مسجد الجمعة ، ويقال «مسجد الوادى» قد تقدم في الفصل الحادى عشر مسجد الجمعة

من الباب الثالث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرَّج من قباء مقدِّمه المدينة أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في بطن الوادي ، وادي ذى صُلب - بضم أوله - وأن ابن إسحاق قال : إن الجمعة أدركته في وادي رانونا ، يعني ببني سالم ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، وفي رواية لابن زبالة « فمر على بني سالم فصلي فيهم الجمعة في القيب ^(١) ببني سالم ، وهو المسجد الذي في بطن الوادي » وفي رواية له « صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالناس في القيب ^(١) ببني سالم فهو المسجد الذي بناه عبد الصمد » .

والمراد أن موضع المسجد يسمى بالقيب ^(١) ، وسيأتي في أودية المدينة أن سَيْلَ ذى صُلب وسيل رانونا يَصِلَانِ إلى موضع مسجد الجمعة ، فلا مخالفة بين هذه العبارات ، وإن غلبَ اشتهار اسم رانونا على ذلك الموضع دون بقية الأسماء . وروى ابن شبة عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « جَمَعَ في أول جمعة حين قدم المدينة في مسجد بني سالم في مسجد عاتكة » وعن إسماعيل بن أبي فديك عن غير واحد ممن يَثِقُ به من أهل البلد أن أول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم حين أقبلَ من قباء إلى المدينة في مسجد بني سالم الذي يقال له مسجد عاتكة .

وقال المطري : في شمالي هذا المسجد أُطم خراب يقال له « المزدلف » أُطم عتبان بن مالك ، والمسجدُ في بطن الوادي صغير جداً ، مبنى بحجارة قدر نصف القامة ، وهو الذي كان يحول السبيل بينه وبين عتبان بن مالك إذا سال ؛ لأن منازل بني سالم بن عوف كانت غربي هذا الوادي على طرف الحرة ، وآثارهم باقية هناك ، فسأل عتبان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي له في بيته في مكان يتخذهُ مُصَلًى ، ففعل صلى الله عليه وسلم .

قلت : قصة عتبان المشار إليها مروية في الصحيح بلقظ أن عتبان أتى رسول

(١) وقع في الخلاصة « العسيب » وفي أصول هذا الكتاب « الغيب » وكلاهما تحريف صوابه ما أثبتناه بالقاف وباءين بينهما ياء على صورة التصغير (عن حسب الله)

الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أنكرتُ بَصْرِي ، وأنا أصلى
لِقَوْمِي ، فإذا كانت الأمطار سال الوادى الذى بينى وبينهم لم أستطع أن آتى
مسجدهم فأصلى بهم ، الحديث .

وسميتُ فى المساجد التى لا تعلم عينها أن بنى سالم لهم مسجد آخر هو مسجدهم
الأكبر ؛ فالذى يظهر أنه المراد من حديث عتبان ، وأما هذا فهو مسجدهم الأصغر
وقد تهدم بناؤه الذى أشار إليه المطرى ، فجرده بعض الأعاجم على هيئته اليوم ،
مُتَدَمِّمٌ رِوَاقٌ مُسْتَقَفٌ فيه عقدان بينهما أسطوان ، وخلفه رحبة ، وطوله من القبلة
إلى الشام عشرون ذراعاً ، وعرضه من الجدار الشرقى إلى الغربى مما يلي محرابه
ستة عشر ذراعاً ونصف ، وكان سقفه قد خربَ تجرده المرحوم الخواجا الرئيس
الجواد المفضل شمس الدين قاوان تغمده الله برحمته .

ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت غسان ليس فى الأطم المذكور ،
بل عند أصله كما سيأتى .

ومنها : مسجد الفضيخ - بفتح الفاء وكسر المعجمة بعدها مثناة تحتية وخاء مسجد الفضيخ
معجمة - قال المطرى : ويعرف اليوم بمسجد الشمس وهو شرقى مسجد قباء
على شفير الوادى ، على نَشْرٍ من الأرض ، مَرْضُومٌ بحجارة سود ، وهو
مسجد صغير .

وروى ابن شبة وابن زباله ويحيى فى عدة أحاديث أن النبي صلى الله عليه
وسلم « صلى بمسجد الفضيخ » :

وروى الأولان - واللفظ لابن شبة - عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى
عنهما قال : حاصرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، فضرب قبته قريباً من
مسجد الفضيخ ، وكان يُسَمَّى فى موضع مسجد الفضيخ ستَّ ليالٍ ، فلما حرمت
الجزر خرج الخبرُ إلى أنى أيوبَ فى نفر من الأنصار ، وهم بشر بون فيه فضيخاً ،
فجاءوا وكاء السقاء فهاقوه فيه ؛ فبذلك سمي مسجد الفضيخ .

قال الزين المراغى : وذلك قبل اتخاذ الموضع مسجداً ، أو كان الإعلام بنجاسة الخمر بعد ذلك ، لكن المشهور تحريم الخمر في شوال سنة ثلاث ، ويقال أربع ، وعليه يتمشى ؛ لأن غزوة بني النضير سنة أربع على الأصح .

قلتُ : الحديث إنما تضمن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الحبل في حصار بني النضير ، ولا يلزم من ذلك اتخاذه مسجداً حينئذ ؛ فيجوز أن يكون بناؤه مسجداً تأخر إلى أن حرمت الخمر ، على أن أحمد روى في مسنده من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم يعنى أتى بفضيخ في مسجد الفضيف فشر به ، فلذلك سمي مسجد الفضيف .

ورواه أبو يعلى ولفظه : أتى بجر فضيف ينش^(١) وهو في مسجد الفضيف فشر به ، فلذلك سمي مسجد الفضيف ، وفيه عبد الله بن نافع مولى ابن عمر ، ضعفه الجمهور ، وقيل فيه : يُكْتَبُ حديثه ، وهو أولى بالاعتقاد في سبب تسمية المسجد المذكور بذلك ؛ لأن ابن زباله ضعيف ، وأما ابن شبة فرواه من طريق عبد العزيز بن عمران وهو متروك ، ولم أرَ في كلام أحد من المتقدمين تسمية المسجد المذكور بمسجد الشمس .

وقال المجد : لا أدري لم اشتهر بهذا الاسم ، ولعله لسكونه على مكان عالٍ في شرقى مسجد قباء أول ما تطلع الشمس عليه ، قال : ولا يظن ظان أنه المكان الذي أعيدت الشمس فيه بعد الغروب لعللى رضى الله تعالى عنه ؛ لأن ذلك إنما كان بالصهباء من خيبر ، قال عياض في الشفاء : كان رأس النبي صلى الله عليه وسلم في حجر على رضى الله تعالى عنه وهو يُوحى إليه ، فغربت الشمس ولم يكن على صلى العصر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أصَلِّيتَ يا على ؟ قال : لا ، فقال : اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولاك ، فأردد عليه الشمس ، قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ، ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء من خيبر ، قال عياض : خرَّجه الطحاوى في مشكل الحديث ،

(١) ينش : يغلى ويفور ، وبابه ضرب (حسب الله) .

وقال : إن أحمد بن صالح كان يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة .

قال المجد : فهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشمس دون ما سواه ، وصرح ابن حزم بأن الحديث موضوع ، قال : وقصة ردّ الشمس على عليّ رضي الله تعالى عنه باطلة بإجماع العلماء وسفه قائله .

قلت : والحديث رواه الطبراني بأسانيد قال الحافظ نور الدين الهيثمي : رجالٌ أحدها رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن حسن ، وهو ثقة ، وفاطمة بنت علي ابن أبي طالب لم أعرفها ، انتهى .

وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس ، وابن مردويه من حديث أبي هريرة ، وإسنادها حسن ، وعن صححه الطحاوي وغيره ، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، بعد ذكر رواية البيهقي له : وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات ، انتهى .

وهذا المسجد مربع ذرّعه من المشرق إلى المغرب أحد عشر ذراعاً ، ومن القبلة إلى الشام نحوها .

مسجد
بني قريظة

ومنها : مسجد بني قريظة ، وهو شرقي مسجد الشمس ، بعيد عنه ، بالقرب من الحرّة الشرقية ، على باب حديقة تعرف بحاجزة هي وقف للفقراء ، قاله المطري وقد قدمنا في منازل يهود أن أُطَمّ الزبير بن باطا كان في موضع مسجد بني قريظة وعنده خراب أبيات من دور بني قريظة شمالي باب الحديقة المذكورة ، وبقربه ناس نزول من أهل العالية ، وقد روى ابن شبة من طريق محمد بن عقبة بن مالك عن علي بن رافع وأشياخ قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلّى في بيت امرأة من الخضر ، فأدخل ذلك البيت في مسجد بني قريظة » فذلك المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم شرقي بني قريظة عند موضع المنارة التي هُدِمت ، هذا لفظ ابن شبة ؛ فينبغي الصلاة في مسجد بني قريظة مما يلي محل المنارة في شرقي المسجد .

وقد روى ذلك ابن زبالة عن محمد بن عقبة ، إلا أنه لم يعين الحل المذكور ، بل قال : فأدخل الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد ذلك البيت في مسجد بنى قريظة ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم صلى في مقدم المسجد أيضا ، وإلا لجعلوا ما عند المنارة مقدمة .

قلت : الظاهر أن هذا المسجد هو المذكور في حديث الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد ، فأتى على حمار ، فلما دنا قريبا من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار « قوموا إلى سيدكم أو خيركم » ثم قال « إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك » فقال : تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم ، الحديث .

فقوله « قريبا من المسجد » ليس المراد به مسجد المدينة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن به حينئذ ، ولذا قال الحافظ ابن حجر : وقوله « فلما بلغ قريبا من المسجد » أى الذى أعدّه النبي صلى الله عليه وسلم أيام محاصرته لبذ ، قريظة للصلاة فيه ، وأخطأ من زعم أنه غلط من الراوى لظنه أنه أراد بالمسجد المسجد النبوى بالمدينة فقال : إن الصواب ما وقع عند أبي داود من طريق شعبة بإسناد الصحيح بلفظ « فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم » انتهى . وإذا حمل على ما سبق لم يكن بين اللفظين اتفاق ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن النجار : وهذا المسجد اليوم باقى بالعوالى ، كبير ، وفيه ست عشرة أسطوانة قد سقط بعضها ، وهو بلا سقف ، وحيطانه مهدومة ، وقد كان مبنيًا على شكل بناء مسجد قباء ، وحوله بساتين ومزارع .

وذكر في ذرعه شيئا ظاهرا أنه تحريف فإنه قال : طوله نحو العشرين ذراعاً وعرضه كذلك ، وهذا لا يطابق ما عليه المسجد اليوم ، ولا ما قدمه هو من الوصف ولعله خمن أن ذرعه كذلك في حال غيبته عنه ، فقد قال المطرى : إن ذرعه نحو من خمسة وأربعين ذراعاً ، وعرضه كذلك .

قال : وكان فيه أساطين وعمود ومَنارة في مثل موضع منارة قباء ، فهدم على طول الزمان ، ووقعت منارته ، وأثرها اليوم باقٍ تعرف به ، وأخذت أحجاره جميعاً . قال المطري : وبقى أثره إلى العشر الأول بعد السبعائة ، فجدد وبنى عليه حظير مقدار نصف قامة ، وكان قد نسي فمن ذلك التاريخ عُرف مكانه .

قلت : وهو اليوم على الهيمئة التي ذكرها المطري ، وقد اختبرتُ ذرعَه فكان من القبلة إلى الشام أربعة وأربعين ذراعاً وربعاً ، ومن المشرق إلى المغرب ثلاثة وأربعين ذراعاً ، وقد جدّد بناء جداره الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الحرم النبوى وناظره عام ثلاث وتسعين وثمانائة .

مشربة
أم إبراهيم

ومنها : المسجد الذى يقال له « مشربة أم إبراهيم عليه السلام » .

وروى ابن زباله ويحيى من طريقه وابن شبة من طريق أبي غسان عن ابن أبي يحيى عن يحيى بن محمد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فِي مَشْرُبَةِ أم إبراهيم » .

وروى ابن شبة فيما جاء في صدقات النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن شهاب أن تلك الصدقات كانت أموالاً لمُخَيَّرِيق ، كما سيأتى ، وعدّ منها مشربة أم إبراهيم ، ثم قال : وأما مشربة أم إبراهيم فإذا حَلَقَتْ بيت مدرّاس اليهود فُجِّت مال أبي عبّيدة بن عميد الله بن زمعة الأسدى فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه ، وإنما سميت مشربة أم إبراهيم لأن أم إبراهيم صلى الله عليه وسلم ولدته فيها ، وتعلقت حين ضربها المَخاضُ بحشبة من خشب تلك المشربة ، فتلك الخشبة اليوم معروفة ، انتهى ما رواه ابن شبة عن ابن شهاب .

قال ابن النجار : وهذا الموضع بالعوالى من المدينة بين النخيل ، وهو أكمة قد حُوِّطَ عليها بلبين ، والمشربة : البستان ، وأظنه قد كان بستاناً لمارية القبطية أم إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : قال في الصحاح : المشربة بالكسر - أى بكسر الميم - إناء يشرب فيه ، والمَشْرُبة بالفتح : الغرفة ، وكذلك المشربة بضم الراء ، والمشارب : العلالى ، وليس في كلامه إطلاق ذلك على البستان ، والظاهر أنها كانت عِلْيَّة في ذلك البستان ، وهو أحدُ صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الذى يناسب ما تقدم من رواية ابن شبة في سبب تسميتها بذلك .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : ذكر الزبير أن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية في المال الذى يقال له اليوم مَشْرُبة أم إبراهيم بالقف .

وروت عمرة عن عائشة حديثا فيه ذكر غيرتها من مارية ، وأنها كانت جميلة ، قالت : وأعجب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت الحارثة بن النعمان ، وكانت جارتنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة النهار والليل عندها ، حتى قذعنا لها - والقذع الشتم - فحوَّلها إلى العالية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشدَّ ، ثم رزقها الله الولد وخرمناه منه .

قال المجد : والمشربة المذكورة مسجدٌ شماليّ بنى قريظة قريب من الحرّة الشرقية في موضع يعرف بالدشت ، بين نخل تعرف بالأشراف القواسم ، من بنى قاسم بن إدريس بن جعفر أخى الحسن العسكرى ، قال : وذرعته فكان طوله نحو عشرة أذرع وعرضه أقل من ذلك بنحو ذراع ، وليس عليه بناء ولا جدار ، وإنما هو عريضة صغيرة^(١) على رويبية ، وقد حُوِّط عليها برضم لطيف من الحجارة السود ، قال : وعلى شمالي المشربة دار متهدمة لم يبقَ من معالمها سوى بعض الجدران ، يظن الناس أنه مكان دار أبى سيف القبر . والذى يغلب على ظنى أن ذلك بقايا أُطم - بنى زعوراء ، فإن الزبير بن بكار قال مانصه : وكان بنوز عوراء عند مَشْرُبة أم إبراهيم ، ولهم الأطم الذى عندها ، وبنوز عوراء من قبائل اليهود . قلت : دار أبى سيف القبر التى كان إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيها إنما هي في دار بنى مازن بن النجار كما سيأتى . وما ذكره في وصف

(١) في أصول هذا الكتاب وفي الخلاصة « عريضة » بالضاد معجمة ، وصوابه

ما أثبتناه بالصاد مهمله بزنة التصغير (عن حسب الله) .

المسجد المذكور قريب مما هو عليه اليوم ، لكنَّ ذَرَعَهُ من القبلة إلى الشام
أحدَ عشر ذراعاً ، ومن المشرق إلى المغرب أربعة عشر ذراعاً راجحة ، وفي جهة
المشرق منه سقيفة لطيفة ، وبالتقرب منه في جهة المغرب نخيل تعرف بالزبيريات .
وسياتى أسفا المأل الذي كان للزبير بن العوام فتصدق به ، وفيه مسجده الآتي ، والله أعلم .
ومنها : مسجد بني ظفر من الأوس ، ويعرف اليوم بمسجد البغلة ، وهو بطرف
الحرة الشرقية في شرق البقيع ^(١) ، طريقه من عند القبلة المعروفة بقاطمة بنت أسد
أم علي رضي الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، وقد روى يحيى عن جعفر بن محمود
ابن محمد بن مسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم « صَلَّى في مسجد بني معاوية » أي
الآتي « ومسجد بني ظفر » .

مسجد
بني ظفر

وقال ابن زبالة : إن إبراهيم بن جعفر حدثه بذلك عن أبيه جعفر المذكور .
وروى ابن شبة عن الحارث بن سعيد بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم
« صَلَّى في مسجد بني حارثة ومسجد بني ظفر » .

وروى يحيى عن إدريس بن محمد بن يونس بن محمد الظفري عن جده أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم « جَلَسَ على الحجر الذي في مسجد بني ظفر » وأن
زياد بن عبيد الله كان أمر بقلمه حتى جاءت مشيخة بني ظفر وأعلموه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم جَلَسَ عليه ، فرده ، قال : فقلَّ امرأة نَزَرَ ولدها تجلس عليه إلا
حملت . قال يحيى عقبه : مسجد بني ظفر دون مسجد بني عبد الأشهل ، قال :
وأدركت الناس بالمدينة يذهبون بنسائهم حتى ربما ذهبوا بهم بالليل فيجلسون
على هذا الحجر .

قلت : ولم أزل أتأمل في سر ذلك حتى اتضح لي بما رواه الطبراني برجال
ثقات عن محمد بن فضالة الظفري ، وكان ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاهم في مسجد بني ظفر ، فجلس على الصخرة
التي في مسجد بني ظفر اليوم ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأناس من

(١) لعل الأصل « شرقه البقيع » (حسب الله) .

أصحابه ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضطرب^(١) لحياه . فقال : « أئى رب شهيد على من أنا بين ظهرانيه ، فكيف بن لم أر » ؟

قلت : ولم يزل الناس يصفون الجلوس على ذلك الحجر للرأة التي لا تلد ، ويقصدون ذلك المسجد لأجله ، غير أنى لم أر فيه حجراً يصلح للجلوس عليه ، إلا أن فى أسفل كتف بابه عن يسار الداخل حجراً مُشْتَبَهاً من داخله ، فكأنه هو المراد ، والناس اليوم إنما يقصدون حجراً من تلك الصخور التي هى خارجه فى غريبه فيجلسون عليه ، وهذا بعيد لأن الرواية المتقدمة مُصرحة بأنه فى المسجد . وقال المطرى : وعند هذا المسجد آثار فى الحرة من جهة القبلة ، يقال : إنها أثر حافر بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى غريبه أى غربى أثر الحافر أثر على حجر كأنه أثر مرفق يُدْ كَر أن النبي صلى الله عليه وسلم اتسكأ عليه ، ووضع مرفقه الشريف عليه ، وعلى حجر آخر أثر أصابع ، والناس يتبركون بها .

قلت : ولم أقف فى ذلك على أصل ، إلا أن ابن النجار قال فى المساجد التي أدركها خراباً مالفظة : ومسجدان قريب البقيع ، وذكر ما سيأتى عنه فى مسجد الإجابة ، ثم قال : وآخر يعرف بمسجد البغلة فيه أسطوان واحد ، وهو خراب ، وحوله كثير من الحجارة فيها أثر يقولون : إنه أثر حافر بنى بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وقد بنى ماتهدم منه بعد ابن النجار ، إلا أنه لم يجعل له سقفا ، فليس به شىء من الأساطين . ورأيت فيه حجر رخام عن يمين محرابه قد كتب فيه ماصورته : خلد الله ملك الإمام أبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين . عرسنة ثلاثين وستائة ، وذرعته فكان مربعاً ، طوله من القبلة إلى الشام أحد وعشرون ذراعاً ، ومن المشرق إلى المغرب مثل ذلك ، والله أعلم .

ومنها : مسجد الإجابة ، وهو مسجد بنى معاوية بن مالك بن عوف من الأوس ، كما قدمناه فى المنازل مع بيان ما وقع للمطرى ومن تبعه من الوهم فى جعلهم

مسجد
الإجابة

(١) فى نسخة « اضطربت » (حسب الله) .

من بنى مالك بن النجار من الخزرج ، وبيان منشأ انوهم ، وما ناقض المطرى به كلامه عند ذكره مسجد بنى جديلة ، وهو مسجد أبى الآتى فى الفصل بعده .
وقد روينا فى صحيح مسلم من حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقبل ذات يوم من العالية ، حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربّه طويلاً ، ثم انصرف إلينا فقال : سألتُ ربى ثلاثاً فأعطانى اثنتين ، ومنعنى واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطانى ، وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، فسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ، فهذا سبب تسمية هذا المسجد بمسجد الإجابة .

وروى ابن شبة بسند جيد ، وهو فى الموطأ ، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر ابن عتيك قال : جاءنا عبدُ الله بن عمر فى بنى معاوية ، وهى قرية من قرى الأنصار ، فقال : تَدْرُونَ أَيْنَ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مسجدكم هذا ؟ فقلت : نعم ، وَأَشْرَتْ لَهُ إلى ناحية منه ، قال : فهل تدرُونَ ما الثلاث التى دعا بهن فيه ؟ قلت : نعم ، قال : فأخبرنى ، قلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم ، وأن لا يهلكهم بالسنين ، فأعطيهما ، ودعا أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعها ، قال : صدقت ، فلن يزال المهرج إلى يوم القيامة .

وعن سعد بن أبى وقاص أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فمرَّ بمسجد بنى معاوية ، فدخل فركع فيه ركعتين ، ثم قام فناجى ربّه ، ثم انصرف ونقل ابن شبة أيضاً عن أبى غسان عن محمد بن طلحة أنه قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى معاوية على يمين الخراب نحواً من ذراعين .

قلت : فينبغى أن يتحرى بالصلاة ذلك المحل ، وأن يكون الدعاء فيه قائماً بعد الصلاة ؛ للرواية المتقدمة .

وهذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار في المسجدين اللذين أدرکہما خرابا
قريب البقيع أحدهما يعرف بمسجد الإجابة وفيه أسطوانات قائمة ومحراب مليح
وباقيه خراب .

قلت : ليس به اليوم شئ من الأساطين ، وقد رُمَّ ما تحرب منه ،
وهو في شمالى البقيع على يسار السالك إلى العريض ، وسط تلوهى آثار قرية
بنى معاوية ، وذَرَعَتُهُ فكان من المشرق إلى المغرب خمسة وعشرين ذراعا ينقص
يسيرا ، وكان من القبلة إلى الشام عشرين ذراعا ينقص يسيرا .

ومنها : مسجد الفتح ، والمساجد التى حوله فى قبلته ، وتعرف اليوم كلها
بمساجد الفتح ، والأول المرتفع على قطعة من جبل سَلَع فى المغرب غربيه وادى
بطحان ، وهو المراد بمسجد الفتح إحيث أطلقوه ، ويقال له أيضا « مسجد
الأحزاب » و« المسجد الأعلى » .

مسجد الفتح

وروينافى مسند أحمد برجال ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله
عليه وسلم « دَعَا فى مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ،
فاستَجِيبَ له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرِفَ البِشْرُ فى وجهه » قال جابر :
فلم ينزل بي أمر مهمّ غليظ إلا تَوَضَّعْتُ تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة ،
ورواه ابن زبالة والبخارى وغيرهما .

وروينافى مسند أحمد أيضا بإسناد فيه رجل لم يُسَمَّ عن جابر أيضا أن النبي
صلى الله عليه وسلم « أتى مسجدَ يعنى ، الأحزاب ، فوضع رداءه وقام ، ورفع يديه
مدا يدعو عليهم ، ولم يصل ، ثم جاء ودعا عليهم وصلى » .

وروى ابن شبة عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
« قَعَدَ على موضع مسجد الفتح وحمد الله ودعا عليهم وعرض أصحابه وهو عليه » .
وعن سعيد مولى المهديين قال « أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من الجرف ،
فأدركته صلاة العصر فصلاها فى المسجد الأعلى » .

وروى ابن زبالة ويحيى وابن النجار من غير طريقهما عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرَّ بمسجد الفتح الذي على الجبل وقد حضرت صلاة العصر ، فرَّقني فصلى فيه صلاة العصر » .

وروى ابن زبالة عن المطلب مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم « دَعَا في مسجد الفتح يوم الأحزاب حتى ذهبت الظهر وذهبت العصر وذهبت المغرب ، ولم يصل منهن شيئًا ، ثم صلاهن جميعًا بعد المغرب » .

قلت : وفيه بيان الشغل الذي أخر لأجله تلك الصلاة ؛ فإن المعروف تأخيرها أو تأخير العصر فقط كما في الصحيح من غير بيان هذا السبب ، وذلك كان قبل مشروعية صلاة الخوف .

وروى أيضا عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « دَخَلَ مسجد الفتح فخطا خطوة ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفع يديه إلى الله حتى روى بياض إبطيه - وكان أعفرَ الإبطين - فدعا حتى سقط رداؤه عن ظهره ، فلم يرفعه حتى دعا ودعا كثيرا ، ثم انصرف » .

وعن جابر قال « صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وراء مسجد الفتح نحو المغرب » .

ورواه ابن شبة عنه بلفظ « دَعَا النبي صلى الله عليه وسلم على الجبل الذي عليه مسجد الفتح من ناحية المغرب ، وصلى من وراء المسجد » أي في الرحبة . قال ابن شبة : قال أبو غسان : وسمعتُ غيرَ واحدٍ ممن يوثق به يذكر أن الموضع الذي دعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجبل هو اليوم إلى الأستوان الوسطى الشارعة في رحبة المسجد .

قلت : ويستفاد منه أن الصلاة والدعاء هنالك يتحرَّى بهما وسط المسجد في الرحبة مما يلي سقفه ، ومقتضى الرواية الأولى أن تكون أقرب إلى جهة المغرب ، وإذا ضمنت إلى ذلك الرواية المتقدمة من أنه صلى الله عليه وسلم « حَطَا خطوة

ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفع يديه « ظهر لك أن طريقه صلى الله عليه وسلم كانت من جهة الدرجة الشمالية .

وروى يحيى عن هارون بن كثير عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَلَى الْأَحْزَابِ فِي مَوْضِعِ الْأَسْطُوَانَةِ الْوَسْطَى مِنْ مَسْجِدِ الْفَتْحِ » قال يحيى : فدخلتُ مع الحسين بن عبد الله مسجد الفتح ، فلما بلغ الأستوانة الوسطى من المسجد قال : هذا مَوْضِعُ مَوْصَلِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي دَعَا فِيهِ عَلَى الْأَحْزَابِ ، وكان يصلي فيه إذا جاء مسجد الفتح . وروى ابن شبة عن جابر قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد المرتفع ، ورفَعَ يديه مدا .

وعن سالم أبي النصر قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق « اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ ، وَمُنْشَى السَّحَابِ ، اهْزِمِهِمْ وَاَنْصِرْنَا عَلَيْهِمْ » .

وروى ابن زبالة من طريق عمر بن الحكم بن ثوبان قال : أخبرني مَنْ صَلَّى وراء النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثم دعا فقال « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ هَدَيْتَنِي مِنَ الضَّلَالَةِ ، فَلَا مُسْكَرَمَ لِمَنْ أَهَنْتَ ، وَلَا مُهَيِّنَ لِمَنْ أَكْرَمْتَ ، وَلَا مُعَزِّزَ لِمَنْ أَذَلَّتْ ، وَلَا مُدِلَّ لِمَنْ أَعَزَّزْتَ ، وَلَا نَاصِرَ لِمَنْ خَدَلْتَ ، وَلَا خَازِلَ لِمَنْ نَصَرْتَ ، وَلَا مَعْطَى لِمَنْ مَنَعْتَ ، وَلَا مَانِعَ لِمَنْ أَعْطَيْتَ ، وَلَا رَازِقَ لِمَنْ حَرَمْتَ ، وَلَا حَارِمَ لِمَنْ رَزَقْتَ ، وَلَا رَافِعَ لِمَنْ خَفَضْتَ ، وَلَا خَافِضَ لِمَنْ رَفَعْتَ ، وَلَا خَارِقَ لِمَنْ سَتَرْتَ ، وَلَا سَاتِرَ لِمَنْ خَرَقْتَ ، وَلَا مَقْرَبَ لِمَنْ بَاعَدْتَ ، وَلَا مَبَاعِدَ لِمَنْ قَرَّبْتَ » .

وذكر القرطبي دعاء آخر في رواية يتضمن أن الدعاء وقع من النبي صلى الله عليه وسلم هناك في الليلة التي أرسل الله فيها الريح على الأحزاب ، ولا مانع من أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم دعا في تلك الليلة أيضا هناك ، ولفظه : ولما اشتد الأمر على المسلمين وطال المُقَامُ فِي الْخَنْدَقِ قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى التَّلِّ الَّذِي عَلَيْهِ مَسْجِدُ الْفَتْحِ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي وَتَوَقَّعَ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ مِنَ النَّصْرِ . وقال : مَنْ

يذهب آياتنا بخبرهم؟ قال: فانطلق حذيفة بسلاحه، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يقول «يا صريح المكرو بين، ويا مجيب المضطرين، ويا كاشف همي وغمي وكربي، فقد ترى حالي وحال أصحابي» فنزل جبريل فقال: إن الله سمع دعوتك وكفأك هول عدوك، فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه، وبسط يديه، وأرخى عينيه، وهو يقول: شكراً كما رحمتني ورحمت أصحابي، وأخبره جبريل بأن الله مرسل عليهم ريحاً، فبشر أصحابه بذلك.

قلت: فينبغي أن يدعى بذلك كله هناك، فيقول: اللهم يا صريح المستصرخين والمكرو بين، ويا غياث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكرو بين، ويا مجيب دعوة المضطرين، صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، واكشف غمي وكربي وغمي وحزني وهمي، كما كشفت عن حبيبك ورسولك صلى الله عليه وسلم كربته وحزنه وغمه وهمه في هذا المقام، وأنا أتشفع إليك به صلى الله عليه وسلم في ذلك، يا حنان يا منان يا ذا الجود والإحسان.

ويقدم عليه ما في الصحيح من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم «كان يدعو عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرضين رب العرش الكريم». وكذلك دعاء الشافعي رحمه الله تعالى الذي دعا به عند دخوله على الرشيد في محنته فقد روى أبو نعيم بإسناد من طريق الشافعي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا به في يوم الأحزاب، ورفع غير صحيح كما قال البيهقي، لكنه دعاء عظيم، وفي ألفاظه اختلاف، وقد جمعت بينها وهو «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم» ثم قال «وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهي ودیعة لی عند الله يؤدّيها إلى يوم القيامة، اللهم إني أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل

آفةٍ وعاهةٍ ومن طوارق الليل والنهار ، وطارق الجن والإنس ، إلا طارقاً يَطْرُقُ
بِخَيْرٍ ، اللهم أنت غيائي فبك أغوث ، وأنت ملاذى فبك ألوذ ، وأنت عياذى
فبك أعوذ ، يامن ذلّت له رقاب الجبابرة ، وخضعت له أعناق الفراعنة ، أعوذ
بجمال وجهك وكرم جلالك من خزيك وكشف سترك ، ومن نسيان ذكرك ،
والإضراب عن شكرك ، أنا فى حرزك وكنفك وكلاءتك فى ليلى ونهارى ،
ونومى وقرارى ، وظعنى وأسفارى ، وحياتى ومماتى ، ذكرك شعارى ، وثناؤك
دئارى ، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، تنزيهاً لاسمك وعظمتك ، وتكريماً
لسبوحات وجهك ، أجرنى من خزيك ومن شر عبادك ، واضرب على سرادقات
حفظك ، وقنى سيئات عذابك ، وجدّ على ، وعدنى منك بخير يا أرحم الراحمين ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الكريم ، والصلاة على النبى المرتضى محمد
 وآله وصحبه وسلم .

قلت : ومما يدل على اشتهاى الاستجابة بهذا المسجد فى يوم الأربعاء وقصد
السلف له فى ذلك اليوم حتى النساء ما حكاها الأديب شهاب الدين أبو الثناء
محمود فى كتابه « منازل الأحباب » من رؤية عتبة بن الحباب بن المنذر بن
الجموح امرأة ممن يزور هذا المسجد فى يوم الأربعاء مع نسوة المرة بعد الأخرى
وذكر قصته فى تزوجه بها ، وإنشاده :

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفك يحدث لى بعد النهى طرباً
ما إن يزال غزال فيه يظلمنى يهوى إلى مسجد الأحزاب مُنتقبا
يخبر الناس أن الأجر همته وما أتى طالباً للأجر محتسباً
لو كان يبغى ثواباً ما أتى ظهراً مضمخاً بفتيت المسك مُختضباً

وفى كلام الزبير بن بكار ما يقتضى نسبة هذه الأبيات مع زيادة فيها
لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى ، وأنه كان إمام المسجد المذكور فإنه قال :
ولما ولى الحسن بن زيد المدينة منع عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى أن يؤمَّ

الناس في مسجد الأحزاب ، فقال له : أصَلَحَ اللهُ الأَمِيرَ لم منعتهى مقامى ومقام
آبائى وأجدادى قبلى ؟ قال : ما منعك منه إلا يوم الأرب بقاء ، يريد قوله :

* يا للرجالِ ليوم الأرب بقاء *

وذكر الأبيات الأربعة المتقدمة وزاد عقبها أربعة أخرى ، وهى :

فإن فيه لمن يبغي فواضله فضلاً وللطالب المرتاد مُطلباً

كم حرّة درّة قد كنت ألفها تسد من دونها الأبواب والحجبا

قد ساغ فيه لها مشى النهار كما ساغ الشراب لعطشان إذا شربا

أخرجن فيه ولا ترعين ذا كذب قد أبطل الله فيه قول من كذبا

قال المجد : وأما تسميته يعنى المسجد الأعلى بمسجد الفتح فيحتمل أنه سُمي

به لأنه أُجيب فيه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على الأحزاب ، فكان فتحاً

على الإسلام أو أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح هناك ، انتهى .

قلت : وبالثانى جزم ابن جبير فى رحلته ، لكن جاء فى خبر أن النبي

صلى الله عليه وسلم « كان قد تقنّع بثوبه يوم الخندق واضطجع لما أتاه أصحابه

بخبز بنى قريظة ، ثم إنه رفع رأسه فقال : بشروا بفتح الله ونصره » كما فى

مغازى ابن عقبة ، فلعل ذلك كان فى موضع هذا المسجد ، فسوى بذلك لوقوع

البشارة بالفتح فيه .

وأيضاً فقد روى القرطبي ما يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسل

حذيفة ليأتيه بخبز الأحزاب كان بمحل هذا المسجد .

وقد قال ابن عقبة : إن حذيفة لما رجع وجد النبي صلى الله عليه وسلم قائماً

يصلى ، ثم انصرف إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأصبح

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسامون قد فتح الله عز وجل لهم وأفر أعينهم ، اه .

وروى ابن شبة عن أسيد بن أبى أسيد عن أشياخهم أن النبي صلى الله

عليه وسلم « دعا على الجبل الذى عليه مسجد الفتح ، وصلى فى المسجد الصغير

الذى بأصل الجبل على الطريق حين يصعد الجبل» . وروى ابن زبالة عن معاوية ابن عبد الله بن زيد ، نحوه .

وعن معاذ بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى في مسجد الفتح الذى على الجبل وفي المساجد التي حوله » .

قلت : وظاهره أن المساجد حوله ثلاثة لأنه أقل الجمع ، وهو ما صرح به ابن النجار فقال : إن مسجد الفتح على رأس جبل يصعد إليه بدرَج ، وقد عمر عمارة جديدة ، أى عمارة ابن أبي الهيثماء الآتية فإنه أدركها .

المساجد التي
حول مسجد
الفتح

قال : وعن يمينه فى الوادى نخل كثير ، ويعرف ذلك الموضع بالسيحى ، أى بالياء آخر الحروف . ومساجد حوله - وهى ثلاثة - قبلة الأول منها خراب ، وقد هدم وأخذت حجارتها ، والآخران معموران بالحجارة والجص ، وهما فى الوادى عند النخل ، انتهى .

وقال المطرى : إن المسجدين اللذين فى قبلة مسجد الفتح تحته يعرف الأول منهما يعنى الذى يلي مسجد الفتح بمسجد سامان الفارسى ، والثانى الذى يلي القبلة - يعنى فى قبلة مسجد سامان - يعرف بمسجد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ثم ذكر ما تقدم عن ابن النجار من أنه كان معهما مسجد ثالث ، ثم قال : وهذا لم يبق له أثر .

قلت : وفى قبلة المسجد المعروف بأمر المؤمنين جانحا إلى جهة المشرق يلحق طرف جبل سلع الذى فى قبلة المساجد رضم من حجارة رأينا الناس يتبركون بالصلاة بينها . وقد تأملتها فوجدت فى طرفها مما يلي المشرق حجراً من المقام الذى يجعل منه الأساطين ، وهو مثبت فى الأرض بالجص ، فترجح عندى أنه أثر أسطوان ، وأن ذلك هو المسجد الذى يشير إليه ابن النجار ، وما ذكره المطرى من نسبة المسجدين المذكورين لسامان وعلى رضى الله تعالى عنهما شائع على السنة الناس ، ويزعمون أن الثالث الذى ذكر المطرى أنه لم يبق له أثر مسجد أبى بكر

رضي الله تعالى عنه ، وبعض العامة يسمى مسجد سلمان بمسجد أبي بكر رضي الله عنه ، ولم أفق في ذلك كله على أصل .

قال المطري : ويصعد إلى مسجد الفتح بدرجتين شمالية وشرقية ، وكان فيه ثلاث أسطوانات من بناء عمر بن عبد العزيز ، فلذلك قال في الحديث « موضع الأستوانة الوسطى » .

قلت : والمراد أنها ثلاث أساطين بين المشرق والمغرب ، فسقفه رواق واحد فقط كما هو عليه اليوم ، قال المطري : لكنه تهدم على طول الزمان فجدده الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء أحد وزراء العبيديين ملوك مصر في سنة خمس وسبعين وخمسة ، وكذلك جدد بناء المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة في سنة سبع وسبعين وخمسة .

قلت : واسمه اليوم مرسوم على مسن في أعلى قبلة مسجد الفتح ، وفي أعلى قبلة المسجد الذي يليه . وفيه ذكر العمارة في التاريخ المذكور .

وأما المسجد الآخر - وهو الذي في قبلتهما ، المنسوب لأمير المؤمنين علي - فتهدم بناؤه ، فجدده الأمير زين الدين ضعيم بن حشرم المنصوري أمير المدينة الشريفة في سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وكان سقفه عقداً ، وفيه مسن عليه اسم ابن أبي الهيجاء كالمسجدين الآخرين ، فجعل سقفه خشباً على أسطوان واحد ، وسقف كل من مسجد الفتح والذي في قبلته رواق واحد مقبوضاً محكماً ، وفي كل منهما ثلاث قناطر آخذة من المشرق إلى المغرب ، والظاهر أن الرحبة التي خف الرواق المذكور لم تغير عن حالها القديم . وذرع المسجد الأعلى من القبلة إلى الشام عشرون ذراعاً ينقص يسيراً ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلي القبلة سبعة عشر ذراعاً . وذرع المسجد الأسفل المنسوب لسلمان رضي الله تعالى عنه من القبلة إلى الشام أربعة عشر ذراعاً شافة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلي القبلة سبعة عشر ذراعاً . وذرع المسجد الذي يليه - وهو المنسوب لعلي رضي الله عنه - من القبلة إلى الشام ثلاثة عشر ذراعاً شافة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلي القبلة ستة عشر ذراعاً شافة .

مسجد
بني حرام
الكبير

وينبغي لقاصد مساجد الفتح أن يزور مسجد بني حرام الكبير ، وهو غير
مسجدهم الصغير الآتي ذكره ، وهذا المسجد هو الذي اتخذوه لشعبهم من سلع
لما تحوّلوا إليه على ما قدمناه في ذكر المنازل ؛ لما فيه مما يقتضى أنهم تخلّوا إليه بإذن
النبي صلى الله عليه وسلم لهم .

وقد روى رزين عن يحيى بن قتادة بن أبي قتادة عن مشيخة من قومه أن
النبي صلى الله عليه وسلم « كان يأتي دور الأنصار فيصلي في مساجدهم » .

وقدمنا هناك أيضاً أن عمر بن عبد العزيز زاد فيه على بناء أهله له مدماً كين
من أعلاه ، وطابق سقفه ، وكان أولاً بخشب وجريد ، وجعل فيه زيت مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
فيه ، لكن تقدم أيضاً ما يقتضى أن بني حرام إنما انتقلوا للشعب المذكور في
زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .

وروى ابن شبة في ذكر المساجد التي يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
فيها ، ويقال إنه لم يصل فيها ، عن حرام بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يصل في مسجد بني حرام الأكبر ، ثم روى ما قدمناه من الاختلاف في وقت
تحوّلهم إلى ذلك المحل .

فيتلخص من ذلك أنه مما اختلف في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيه ،
ولذلك لم يفرده بالذكر ، وقد ظهر لي محله في قرية بني حرام بشعبهم غربى جبل
سلع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبليّة ، وعلى يسار السالك
إلى المدينة من مساجد الفتح ، فإذا جاوزت البطن الذي فيه مساجد الفتح وأنت
قاصد المدينة يَنَلِقَاكَ بعد ذلك بطن مُتسع من سلع فيه آثار قرية هي قرية
بني حرام ، وذلك شعبهم ، وقد انهدم المسجد بأجمعه ، وبقي أساسه وآثار
أساطينه من الخيزر المكسر ، وفيها آثار الرصاص وعمد الحديد وآثار الرمل
بأرضه ، ولعل الله تعالى يبعث له من يحميه .

وينبغي لقاصد المسجد المذكور أن يزور كهف بني حرام قرب شعبهم كهف بني حرام المذكور؛ لما سيأتي في ذكر عين النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الملك بن جابر ابن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم « تَوَضَّأَ مِنَ الْعَيْنَةِ الَّتِي عِنْدَ كَهْفِ بَنِي حِرَامٍ » قال: وسمعتُ بعضَ مشيختنا يقول: قد دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكهف.

وفي رواية أنهم كانوا - يعني الصحابة - يخرجون مع النبي صلى الله عليه وسلم ويخافون البيات، فيدخلونه كهف بني حرام، فيبيت فيه، حتى إذا أصبح هبَطَ، وإنه نَقَرَ الْعَيْنَةَ الَّتِي عِنْدَ الْكَهْفِ.

ولما روى ابن شبة عن يحيى بن النصر الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم « جَلَسَ فِي كَهْفِ سَلْعٍ » والمراد به كهف بني حرام.

ولما روى الطبراني في الأوسط والصغير عن أبي قتادة قال: خرج معاذ بن جبل فطلب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده، فطلبه في بيوته فلم يجده، فاتبعه في سكة سكة حتى دُلَّ عليه في جبل ثواب، فخرج حتى رقى جبل ثواب فنظر يميناً وشمالاً فبصر به في الكهف الذي اتخذ الناس إليه طريقاً إلى مسجد الفتح، قال معاذ: فإذا هو ساجدٌ، فهبطت من رأس الجبل وهو ساجد فلم يرفع حتى أسأتُ به الظن، فظننته أنه قد قُبِضَتْ رُوحُهُ، فقال: جاءني جبريل بهذا الموضع فقال: إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك: ما تحبُّ أن أصنعَ بأمّتك؟ قلت: الله أعلم، فذهب ثم جاء إلى فقال: إنه يقول: لا أسوءك في أمّتك، فسجدت فأفضل ما تقرب به إلى الله عز وجل السجود.

قلت: وجبل ثواب لم أقف له على ذكر، ولكن يؤخذ من قوله في هذا الكهف إنه الذي اتخذ الناس إليه طريقاً إلى مسجد الفتح أنه جبل سلع، والمراد اتخذ الناس إلى الكهف طريقاً إلى طريق مسجد الفتح، فهو كهف بني حرام بقرينة ما سبق، والكهف كما في الصحاح: شبه البيت المنقور في الجبل، وهذا

الكهف يظهر أنه الذي على يمين المتوجّه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبليّة أيضاً إذا قرُبَ من البطن الذي هو شعب بني حرام في مقابلة الحديقة المعروفة اليوم بالنقبينة عن يساره.

وكذلك الحِصْنُ المعروفُ بمحصن حمل يكون في جهة يساره فهناك مجرى سائلة تسيل من سَلْعٍ إلى بطحان ، فإذا دخل في تلك السائلة وصعد يسيراً من سلع طالبا جهة المشرق كان الكهف المذكور على يمينه ، وعنده أثر نقر ممتد في الجبل هو مجرى السائلة المذكورة ، وإذا صعد الإنسان من ذلك الجرى وكان في أعلاه وجد كهفاً آخر ، لكنه صغير جداً ، والأول أقرب إلى كونه المراد ، ولعل ذلك النقر هو المراد فيما يتعلق بالعيينة ، وإذا حصل المطر بسَلْعٍ سالت تلك السائلة ، ويبقى هناك مواضع يتحصل فيها الماء ثم يجري منها ؛ فينبغي التبرك بها ، والله أعلم .

مسجد القبليتين

ومنها : مسجد القبليتين ، قال رزين : وهو مسجد بني حرام بالقاع ، وتبعه ابن النجار فن بعدة ، وزاد المطري وتبعه من بعده أنه الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم النخامة في قبلته فحكهها بعرجون كان في يده ، ثم دعا بخُلُوقٍ فجعلها على رأس العرجون ثم جعله في موضع النخامة ، فكان أوّل مسجد خُلق ، وهذا كله مردود ؛ لأن ابن زبالة قال كما قدمناه في المنازل : إن بني سواد بن غنم بن كعب نزلوا عند مسجد القبليتين ، ولهم مسجد القبليتين ، ونزل بنو عبيد بن عدى بن غنم ابن كعب عند مسجد الخربة ، ونزل بنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب عند مسجد بني حرام الصغير الذي بالقاع ، وابتنوا أطماً يقال له جاعص كان في السهل بين الأرض التي كانت لجابر بن عتيك وبين العين التي عملها معاوية بن أبي سفيان ، وحينئذ فلا يصح كون مسجد بني حرام الصغير هو مسجد القبليتين . وكان هؤلاء الجماعة فهُمُوا من وصف مسجدهم هذا بالصغير أن مسجدهم الكبير هو مسجد القبليتين ، وليس كذلك ؛ لما قدمناه من أن مسجدهم الكبير نقل أن النبي

صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فيه ، وأنه الذى بشعب سَلَع ، وأيضا فقد صرح ابن زباله بأن مسجد القبليتين لبني سواد ، وأيضا فاندُم القاع إنما يناسب ما قدمناه فى بيان منازل بنى حرام فى غربى مساجد الفتح ، فمسجد بنى حرام هذان المساجد التى لا تعلم اليوم عَيْنُهَا ، ولكن تعلم جهتها . ومما يوضح المغايرة بين مسجد بنى حرام وبين مسجد القبليتين ، ويصرح بخطأ ما ذهب إليه مَنْ جعلهما متحدين أن ابن شبة روى عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد الخربة ، وفى مسجد القبليتين ، وفى مسجد بنى حرام الذى بالقاع . ورواه أيضا ابن زباله عن جابر بلفظ « صَلَّى فى مسجد القبليتين وفى مسجد بنى حرام بالقاع » ولم يذكر مسجد الخربة ؛ فاتَّضح بذلك ما قلناه ، وتعين اجتناب ما عداه ، وما ذكره المطرى من كون مسجد القبليتين أول مسجد خُلِقَ أخذه من ورود ذلك فى مسجد بنى حرام لظنه اتحادهما ؛ فاجتنبه .

وقال ابن زباله : وحدثنى موسى بن إبراهيم عن غير واحد من مَشِيخَةِ بنى سلامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد القبليتين » وقد قدمنا فى الفصل الثالث من الباب الرابع الاختلاف فى تعيين المسجد الذى وقع فيه تحويلُ القبلة وسُنَّتِهِ والصلاة التى وقعَ ذلك فيها ، وفى بعض تلك الروايات أن ذلك كان .مسجد القبليتين ، وأن الواقديَّ قال : إن ذلك هو الثابت عنده

وروى يحيى عن عثمان بن محمد بن الأحنس قال : زار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم امرأة - وهى أم بشر من بنى سلامة - فى بنى سلامة ، فصنعت له طعاما ، قالت أم بشر : فهم يأكلون من ذلك الطعام إلى أن سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الأرواح ، فذكر حديثها فى أرواح المؤمنين والكافرين ، ثم قال : فجاءت الظهرُ فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد القبليتين الظهر ، فلما أن صَلَّى ركعتين أمرَ أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم إلى الكعبة واستقبل الميزاب ؛ فهي القبلة التي قال الله تعالى « فلنولينك قبلة ترضاها » فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين .

وفي رواية له : فلما صلى ركعتين أمر أن يولى وجهه إلى الكعبة ، فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة والمسجد مسجد القبلتين ، وكان الظهر يومئذ أربعا منها ثنتان إلى بيت المقدس وثلثان إلى الكعبة .

قلت : وهذا ما أشار إليه ابن سعد بقوله : ويقال إنه صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء بن معرور في بني سامة ، فصنعت له طعاماً وحانت الظهر ، فصلى بأصحابه ركعتين ، ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة ، فاستداروا إلى الكعبة ، فسمى المسجد مسجد القبلتين .

وتقدم ما قاله الزمخشري من صرف القبلة في هذا المسجد في صلاة الظهر ، وإنه صلى الله عليه وسلم تحول في الصلاة وحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .

وروى ابن زبالة عن محمد بن جابر قال : صُرِفَت القبلة ونفِرُ من بني سامة يصلون الظهر في المسجد الذي يقال له مسجد القبلتين ، فأتاهم آت فأخبرهم وقد صلوا ركعتين ، فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة ، فبذلك سُمي مسجد القبلتين . قال المجد : فعلى هذا كان مسجد قباء أولى بهذه التسمية ؛ لما ثبت في الصحيحين من وقوع نحو ذلك به .

وقد أظنبت المجد هنا فيما جاء في تخليق النبلة لتوهمه أن مسجد القبلتين هو المراد ، وذلك وهم لما أسلفناه ، وهذا المسجد - كما قال المطري - بعيد من مساجد الفتح من جهة المغرب على رابية على شفير وادي العقيق ، يعنى العقيق الصغير .

قلت : وهو مرتفع عن شفير وادي العقيق كثيرا ، وكأنه أراد بذلك بيان مناسبة ما ادّعاه من تسمية موضعه بالقاع ، وقد جدد سقف هذا المسجد وأصلحه الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الخدامين عام ثلاث وتسعين وثمانمائة ، والله أعلم .

ومنها : مسجد السقيا^(١) ، سُقِّيَا سعد الآتي ذكرها في الآبار ، في شامي البئر مسجد السقيا المذكورة قريبا منها جانحا إلى المغرب يسيرا في طريق المار إلى الرقيتين من طريق العقيق ، وهذا المسجد ذكره أبو عبد الله الأسدي من المتقدمين في منسكه في المساجد التي تزَار بالمدينة .

وروى ابن شبة في ترجمة المواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومساجده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : عَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ بِالسَّقِيَا الَّتِي بِالْحَرَّةِ مُتَوَجِّهاً إِلَى بَدْرِ وَصَلَّى بِهَا .

وقد قدمنا في الفصل الرابع من الباب الثاني ما رواه الترمذي وقال حسن صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِحَرَّةِ السَّقِيَا الَّتِي كَانَتْ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ائْتُونِي بِوَضُوءٍ ، فَتَوَضَّأْتُ ثُمَّ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ وَدَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدَّتِهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلَ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ الْبَرَكَةِ بِرَكَّتَيْنِ .

وقدمنا أيضا أن ابن شبة رواه بنحوه إلا أنه قال : حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْحَرَّةِ بِالسَّقِيَا الَّتِي كَانَتْ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ائْتُونِي بِوَضُوءٍ ، فَلَمَّا تَوَضَّأْتُ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ ، الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ .

وتقدم أيضا رواية الطبراني له بسند جيد ، وأن أحمد روى رجال الصحيح عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى بِأَرْضِ سَعْدٍ بِأَصْلِ الْحَرَّةِ عِنْدَ بَيْوتِ السَّقِيَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَكَ وَعَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِثْلَ مَا دَعَاكَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ ، أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدَّتِهِمْ وَثَمَارِهِمْ ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ

(١) هذا المسجد هو القبة التي في خارج باب العنبرية اليوم (حسب الله) .

إليها مكة ، واجعل ما بها من وباء نجم ، اللهم إني حرّمتُ ما بين لا بَيْتِهَا كما
حرّمت على لسان إبراهيم الحرم .»

وقال الواقدي في غزوة بدر : لما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند بيوت
السُّقيا ، فحدثني ابن أبي ذئب عن المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلَّى عند بيوت السُّقيا ودعا يومئذٍ لأهل المدينة :
اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونيبك ، الحديث .

وروى أيضا عن سعد بن أبي وقَّاص قال : خرجنا إلى بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ومعنا سبعون بعيرا ، وكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والاثنتان
على بعير ، وكنت أنا من أعظم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غنِّي وأرجلهم
رُجْلَةٌ^(١) وأرماهم بسهم لم أركب خُطوة ذاهباً ولا راجعا . وقال صلى الله عليه
وسلم حين فصلَ من يثرب للسقيا : اللهم إنهم حُفَاةٌ فأحمِلهم ، وعُرَاةٌ
فأكْسهم ، وجِياعٌ فأشْبِعهم ، وعَالَةٌ فأغْنهم من فضلك ، قال : فما رجع أحد
منهم يريد أن يركبَ إلا وجد ظهرا للرجل البعيرُ والبعيران ، واكتسى من
كان عاريا ، وأصابوا طعاما من أزوادهم ، وأصابوا فداء الأسرى فأغنى به
كل عائل .

وروى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله الديناري وعمار بن حفص أن النبي صلى
الله عليه وسلم عرَّضَ جيشَ بدر بالسقيا ، وصلى في مسجدها ، ودعا هنالك لأهل
المدينة أن يبارك لهم في صاعهم ومُدِّهم ، وأن يأتيهم بالرزق من ههنا وههنا .
قال : واسم البئر السقيا ، واسم أرضها الفلجان .

قلت : ولم يكن هذا المسجد معروفا ، ولم يذكره المطري ، بل تردد في البئر
بين البئر التي في الحبل المذكور وبين البئر المعروفة بزمنم ، ومال إلى ترجيح أنها

(١) الرجلة -- بضم الراء وسكون الجيم -- الشدة ، والأرجل : الوصف منه

التي في المحل المذكور ، فانفق أنى جئت إلى ذلك المحل وتطلبت المسجد ، فرأيت محله رضا ، فأرسلت إليه بعض المعلمين وأمرته أن يتتبع الأساس بالحفر من داخله فظهر محراب المسجد وتربيعه و بناؤه بالحجارة المطابقة بالجص ، وقد بقي منه في الأرض أزيد من نصف ذراع فيه بياض المسجد بالقصة بحيث يعلم الناظر أنه من البناء العمري ، وخرج الناس أفواجا لرؤيته والتبرك به ، ثم بُني والله الحمد على أساسه الأول ، وهو مربع ، مساحته نحو سبعة أذرع في مثلها .

مسجد ذباب
(الراية)

ومنها : مسجد ذباب ، ويعرف اليوم بمسجد الراية ، ولما لم يعرفه المطري قال : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجدا أعلى ثنية الوداع عن يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام ، ومسجدا آخر على طريق السافلة ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قال الزين المراغى في بيان المسجد الأول : وكأنه يريد به المسجد المعروف بمسجد الراية .

قلت : هو مراده ؛ لوجوده في زمنه ، ولم يعدّه في المساجد وأطلق على محل ثنية الوداع لقربه منها ، وهو مبنى بالحجارة المطابقة على صفة للمساجد العمرية ، وكان قد تهدم فجدده الأمير جانبك النيروزي رحمه الله تعالى سنة خمس أو ست وأربعين وثمانمائة ، وقد اتضح لنا ما جاء في هذا المسجد بحمد الله تعالى لأن الإمام أبا عبد الله الأسدي في المتقدمين لما عدد في كتابه الأماكن التي تزار في المدينة الشريفة قال : مسجد الفتح على الجبل ، ومسجد ذباب على الجبل ، انتهى .

وذباب : اسم الجبل الذي عليه المسجد المذكور كما سنوضحه .
وقد روى ابن زباله وابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى على ذباب .

وروى الثاني عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال : ضرب النبي صلى الله عليه وسلم قَبْتَهُ على ذباب .

وعن الحارث بن عبد الرحمن قال : بعثت عائشة رضی الله تعالى عنها إلى مروان بن الحكم حين قتل ذباباً وصلبته على ذباب تقول : مَوْقِفٌ صلى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واتخذتهُ مَصَلْبًا .

قال أبو غسان : وذباب رجل من أهل اليمن عدّا على رجل من الأنصار ، وكان عاملاً لمروان على بعض مساعي اليمن ، وكان الأنصاري عدّا على رجل فأخذ منه بقرة ليست عليه ، فتبع ذباب الأنصاري حتى قدم المدينة ، ثم جلس له في المسجد حتى قتله ، فقال له مروان : ما حملك على قتله ؟ قال : ظمئني بقرة لي ، وكنت امرأ خبيث النفس فقتلته ، فقتله مروان وصلبته على ذباب .

وتقدم من رواية ابن شبة في اتخاذ المقصورة في المسجد ما يقتضي أن الرجل الذي ظلمه ساعي مروان اسمه دب ، وأنه إنما همّ بقتل مروان ، فأخذه مروان ، فذكر له السبب المتقدم وأنه حبسه ثم أمر به فقتل .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرني بعض مشايخنا أن السلاطين كانوا يصلبون على ذباب ، فقال هشام بن عروة لزياد بن عبيد الله الحارثي : يا عجبا ، يصلبون على مَضْرِبِ قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكفّ عن ذلك زياد وكفّت الولاة بعده عنه .

قلت : وقد جعل المطري في الكلام على الخندق مَضْرِبَ قبة النبي صلى الله عليه وسلم هو محل مسجد الفتح من سَلْع ؛ لظنه أن الخندق لم يكن إلا في غربي سَلْع ، وكأنه لم يطلع على ما هنا . ولم أر لما ذكره أصلا في كلام غيره ، وقد غاير أبو عبد الله الأسدی بين مسجد الفتح ومسجد ذباب كما قدمناه ، وسيأتي ما يؤخذ منه أن الخندق كان شامئ المدينة بين حرّتها الشرقية والغربية .

وفي اتخاذ المسجد على هذا الجبل رد لما أوّل به الطبراني الصلاة عليه بالدعاء فإنه روى بسند فيه عبد المهيم بن عباس بن سهل بن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ذباب ، قال الطبراني عقبه : بلغني أن ذبابا جبل بالحجاز

وقوله « صلى » أى بارك عليه .

قلت : صرح ابن الأثير بأنه جبل بالمدينة ، وفي الاكتفاء فى غزوة تبوك ما لفظه : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب .

وقد قال الكمال الدميرى : إن فى كتب الغريب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له ذباب ، وإن البكرى قال : هو جبل بجبانة المدينة . وتقدم فى منازل بنى الدليل حول ثنية الوداع ذكر الجبانة ، وكذا فى ذكر البلاط .

وقال الواقدى فى كتاب الحرة : إنهم لما اصطفوا لقتال جيش الحرة على الخندق ، وكان يزيد بن هرمز فى موضع ذباب إلى مربد النعم معه الدهم من الموالى ، وهو يحمل رايتهم ، وهو أميرهم ، وقد صف أصحابه كرايس بعضها خلف بعض إلى رأس الثنية أى ثنية الوداع .

وهذا كله صريح فى أن ذبابا هو الجبل المذكور ، ولعل السبب فى اشتهاى مسجده بمسجد الراية ما ذكره الواقدى من أن يزيد بن هرمز كان فى موضعه ومعه راية الموالى .

وقد تقدم فى منازل يهود قول ابن زباله : وكان لأهل الشوط الأطم الذى يقال له السرى ، وهو الأطم الذى دون ذباب ، وسيأتى فى ترجمة الشوط أنه قريب من منازل بنى ساعدة ، وقد رأيت لذباب ذكرا فى أما كن كثيرة جدا ، وكلها متفقة على وصفه بما يدل على أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية ، بحيث زال الشك عندى فى ذلك .

ويؤخذ مما سيأتى فى ترجمة الخندق أن الصخرة - التى خرجت من بطن الخندق وهم يحفرونه ، وضربها النبي صلى الله عليه وسلم بالمعول الحديث - كانت تحته ، لكنه سعى فى تلك الرواية ذو باب بزيادة واو ، والله أعلم .

مسجد القبيح ومنها : المسجد اللاصق بجبل أحد على يمينك وأنت ذاهب إلى الشعب الذي فيه المهراس ، وهو صغير قد تهدم بناؤه .

قال الزين المراغي : ويقال : إنه يسمى مسجد القبيح .
قلت : وهو مشهور بذلك اليوم ، ويزعمون أن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس - الآية) نزلت فيه ، ولم أقف على أصل لذلك .

وقال المطري : يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه الظهر والعصر يوم أحد ، بعد انقضاء القتال ، وكأنه لم يقف فيه على شيء .

وقد روى ابن شبة بسند جيد عن رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في المسجد الصغير الذي بأحد في شعب الحرار على يمينك لازق بالجبل .

مسجد في ركن جبل عينين ومنها : مسجد في ركن جبل عينين الشرق على قطعة منه ، وهذا الجبل كان عليه الرثمة يوم أحد ، وهو في قبلة مشهد سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه ، وقد تهدم غالب هذا المسجد .

قال المطري : يقال : إنه هو الموضع الذي طعن فيه حمزة رضي الله تعالى عنه .
قلت : وكذا هو مشهور اليوم ، وقد ذكر المجد هذا المسجد والذي بعده وقال : ينبغي اغتنام الصلاة فيهما ؛ لأنهما لم يبنيا إلا عاملاً للزأرين ، ومشهداً للقاصدين ، وقول من قال إن الأول طعن مكانه حمزة والثاني صُرع فيه فوق لم يثبت فيه أثر ، وإنما هو قول مستفيض .

ثم قال : ويذكر بعض الناس أن المسجد الأول - يعني هذا - كسِر في مكانه نبيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان من ابتلاء الله تعالى صفيه وخليته عليه الصلاة والسلام ، كل ذلك مقالات يذكرها أهل المدينة لم يردّ بها نقل .

قلت : وكلامه وكلام المطري صريح في أنهما لم يقفا على ما جاء فيه .

وسياتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ما رواه ابن شبة من أنه لما قتل أقام
فى موضعه تحت جبل الرّمة وهو الجبل المذكور ، ثم أمر به النبي صلى الله عليه
وسلم فحُمِلَ عن بطن الوادى ، وهذا هو محل المسجد الثانى .

وأما هذا المسجد فقد روى ابن شبة فيه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الظهر يوم أحدٍ على عينين الطرب الذى بأحدٍ عند القنطرة ، وكأنه يعنى
بالقنطرة قنطرة العين التى كانت قديماً هناك . وأشار إليها المطرى بقوله عقب ذكر
هذا المسجد : وقد تجددت هناك عين ماء ، جدّدها الأمير بدر الدين ودى بن جواز
صاحب المد ، مفيضها بالقرب من هذا المسجد ، انتهى .

والعين اليوم دائرة ، وقد تقدم فى غزوة أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم فى
ذهابه إلى أحدٍ بات بالشيخان^(١) وأدلج فى السحر فأنتهى إلى موضع القنطرة ،
فخانت الصلاة فصلّى بأصحابه الصبح صفوفا عليهم السلاح ؛ فيحتمل أن المراد
بذلك هذا المسجد ، ويحتمل - وهو الأظهر - أن يراد به المسجد الآتى ذكره
عقبه ؛ لأن فى رواية ابن شبة ذكر صلاة الظهر وأن الموضع من نفس الجبل عند
القنطرة ، وفى هذه الرواية صلاة الصبح وأن ذلك فى موضع القنطرة ، والله أعلم .

ومنها : مسجد فى شمالى المسجد المذكور قبله قرب عينين أيضاً ، على شفير
الوادى ، قد تهدم أكثره ، وكان مبنيًا بالحجارة المنقوشة المطابقة على هيئة البناء
العمرى ، وفيه بقايا آثار الأساطين ، ولم أقف فيه على شيء سوى ما قدمته من
الاحتمال الثانى فى الرواية المتقدمة .

وذكر المطرى أنه يقال : إنه مَضْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، وإنه مَشَى
بطعنته من الموضع الأول إلى هناك فَضْرَع رضى الله تعالى عنه .

(١) قال شارح القاموس : «وشخان مبنيًا على الكسر على ما ضبطه ابن الأثير :
موضع بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وهو معسكره صلى الله عليه وسلم
يوم أحد ، وبه عرض الناس » اهـ

وقد أشرنا فيما سبق إلى أصل ما جاء في أن الموضع الثاني مكان مَقْتَلِهِ ، وإنما أثبتُّهُ في المساجد - مع ما قدمته من أني لم أقف فيه على شيء صريح - لأن ابن شبة قال ما لفظه : قال أبو غسان : وقال لي غير واحد من أهل العلم من أهل البلد : إن كل مسجد من مساجد المدينة ونواحيها مبنى بالحجارة المنقوشة المطابقة فقد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم سأل والناس يومئذ متوافرون عن المساجد التي صَلَّى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة ، انتهى .

وقد ذكر هذا المسجد أبو عبد الله الأسدي من المتقدمين ، وسماه مسجد العسكر ، فقال في تعديد المساجد : ومسجد العسكر ، ومسجد يمين هذا في أصل الجبل ، انتهى ؛ فيتأيد ذلك الاحتمال الثاني المذكور في الرواية المتقدمة لتسميته بمسجد العسكر ، على أنه قد ورد من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة وقد قُتل ومُثل به فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه ، فقال : رحمتك الله أي عمّ ، فلقد كنت وصُولاً للرحم ، فعُولاً للخيرات ، فوالله لئن أظفرتني الله بالقوم لأمتنَّ بسبعين منهم ، فما برح حتى نزل : « وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى نصبر . وروى أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة وصَلَّى عليه حينئذ .

قلت : فهذا ما جاء في أن الموضع المذكور مقتل حمزة كافٍ في إثباته في المساجد ، وسيأتي في بيان المشاهد الخارجة عن البقيع عند ذكر مشهد حمزة رضي الله تعالى عنه بيان أن الحجر المثبت على قبره اليوم أخطأ واضعه ، وأنه إنما نقل من هذا المسجد عند تهديمه ، وفيه مكتوب بعد البسملة (إنما يعمر مساجد الله - الآية) هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ومُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

عمره حسين بن أبي الهيجاء سنة ثمانين وخمسمائة ، وكانه جدده فلما تهدم وسقط ذلك المسن نقل إلى المشهد المذكور كما سنوضحه .

وأما المسجد المقابل لمشهد سيدنا حمزة في شرقيه وعند بابه فمحدث ، لم يذكره المطري ولا غيره ، وليس له أصل في المساجد المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم .

ومنها : مسجد صغير جداً طوله ثمانية أذرع في ثمانية أذرع على يمين طريق مسجد أبي ذر الغفاري السالك إلى أحد من طريق الأسواق ، فإذا جاوز البقيع المعروف ببقيع الأسواق قليلاً كان على يمينه طريق إذا مشى فيها يسيراً وجد هذا المسجد عند التنخيل المعروفة بالبحير ، وهو ثاني المسجدين اللذين ذكرهما المطري بقوله : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجداً على ثنية الوداع ومسجداً آخر صغيراً جداً على طريق السابلة ، وهي الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضي الله تعالى عنه ، يقال : إنه مسجد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قلت : روى البيهقي في شعب الإيمان عن مولى لعبد الرحمن بن عوف قال : قال عبد الرحمن : كنت نائماً في رحبة المسجد ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً من الباب الذي يلي المقبرة ، قال : فلبثت شيئاً ثم خرجت على أثره فوجدته قد دخل حائطاً من الأسواق ، فتوضأ ثم صلى ركعتين فسجد سجدة أطال فيها ، فلما تشهد بدأت له ، فقلت : بأبي وأمي حين سجدت أشفقت أن يكون الله قد توفأك من طولها ، فقال : إن جبريل عليه السلام بشرني أنه من صلى على صلى الله عليه ، ومن سلم على سلم الله عليه . قال البيهقي : وقد روينا من وجه آخر عن محمد بن جبير عن عبد الرحمن ، ومن وجه آخر عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن لم يذكر فيه الركعتين ، بل ذكر السجود فقط ، فزاد عبد الواحد في حديثه : فسجدت لله شكراً . ورواه ابن زبالة بالطريق الأولى بلفظها ، إلا أنه قال : فقلت بأبي وأمي لقد سجدت سجدة أشفقت

إلى آخره . ورواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبخاري ، إلا أن في روايتهم : فمئنه وقد خرج ، فاتبعته ، فدخل حائطاً من حيطان الأسواق ، فصلى فأطال السجود ، فقلت : قبضَ الله روحَ رسوله صلى الله عليه وسلم لا أراه أبداً ، فخرنت وبكيت ، فرفع رأسه ، فدعاني فقال : ما الذي بك ؟ أو ما الذي وراءك ؟ فقلت : يا رسول الله أطلتَ السجودَ فقلت قبضَ الله رسوله لا أراه أبداً ، فخرنت وبكيت ، قال : سجدتُ هذه السجدة شكراً للرب في أبلاني في أمتي أنه قال : مَنْ صلى عليك منهم صلاة كتب له عشر حسنات ، وهذا اللفظ للبخاري .

قلت : والأسواق قريبة من موضع هذا المسجد جداً ، ويحتمل أنه محل السجدة المذكورة ، بل هو الظاهر ؛ فلذلك أثبتناه . وحديث عبد الرحمن هذا أخرجه الإمام أحمد بلفظ : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة ، فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله قبض نفسه فيها ، فدنوتُ منه ، فرفع رأسه وقال : مَنْ هذا ؟ قلت : عبد الرحمن ، قال : ما شأنك ؟ قلت : يا رسول الله سجدتُ سجدة ظننت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها ، فقال : إن جبريل أتاني فبشرني فقال : إن الله عز وجل يقول : مَنْ صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، قال البيهقي في الخلافيات عن الحاكم قال : هذا صحيح ، ولا أعلم في سجدة الشكر أصح من هذا الحديث ، انتهى .

وقوله « نحو صدقته » ينبغي حمله على الرواية المتقدمة ، ولا يمتنع أن يكون بعض حوائط الأسواق كان من صدقة النبي صلى الله عليه وسلم ، مع أن بالقرب منه موضعاً يعرف قديماً وحديثاً بالصدقة ، أو أن القصة متعددة ، والله أعلم .

ومنها : مسجد على يمين الخارج من درب البقيع على ما ذكره البرهان ابن فرحون فإنه قال عقب ذكر المسجد المتقدم قبل هذا : إنه لم يرد فيه شيء يعتمد ، ثم قال : وكذلك المسجد الذي في أول البقيع على يمين الخارج من درب الجمعة ، انتهى .

مسجد أبي
بن كعب
(بنى جديلة)
(البقيع)

قلت : يعنى الموضع الذى فى غربى مشهد عقيل وأمّهات المؤمنين ، وبه اليوم
أسطوان قائمة ، وبلغنى أنه كان به عقدان سقطا ، وبقاياها شاهدة بأنه كان مبنيًا
بالحجارة المنقوشة والقصة كالبناء العمرى ، وقد اتخذ بعض الأشراف الوحادة
رحبته التى فى شامى الأسطوان مقبرة .

وقد ذكر المرجانى أيضاً مسجداً بالبقيع ، وذكر من عند نفسه أنه موضع
مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم العيد بالبقيع ، ولعله يعنى هذا المسجد ، وقد قدمنا
فى ذكر المصلى ما يردّه .

والذى ظهر لى أن هذا المسجد هو مسجد أبى بن كعب رضى الله عنه ،
ويقال له : مسجد بنى جديلة ؛ لأننا قدمنا فى منازل بنى النجار أن بنى جديلة
ابتنوا أطماً يقال له مشعط كان فى غربى مسجدهم الذى يقال له مسجد أبى ، وفى
موضع الأطم بيتٌ يقال له بيت أبى نبيه ، وسيأتى فى ذكر قبور أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم وابنته الزهراء رضى الله تعالى عنهن بالبقيع ما يقتضى أن فى
أوله مما يلى هذه الجهة زقاقا يعرف بزقاق نبيه ، وخوخة تعرف بخوخة آل نبيه .
وفى كلام ابن شبة ما يقتضى مجاورة البقيع لبنى جديلة واتصاهم به ؛ فترجّح عندى
أنه مسجد أبى رضى الله تعالى عنه ، وسيأتى عن المطرى ذكر مسجد أبى فيما علمت
جهته ولم تعلم عيئه من المساجد .

وروى عمر بن شبة عن يحيى بن سعيد قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم
يختلف إلى مسجد أبى فيصلى فيه غير مرة ولا مرتين ، وقال : لولا أن يميل الناس
إليه لأكثرت الصلاة فيه .

وعن أبى بكر بن يحيى بن النضر الأنصارى عن أبيه أن النبي صلى الله عليه
وسلم لم يُفصل فى مسجد مما حوّته المدينة إلا مسجد أبى بن كعب ، ثم ذكر
مساجد ستائقى .

وروى ابن زباله عن يوسف الأعرج وربيعة بن عثمان أن النبي صلى الله عليه
وسلم صلّى فى مسجد بنى جديلة ، وهو مسجد أبى بن كعب .

وفي شامى مشهد عقيل أسفل الكومة مسجد صغير طريقه من بين التراب
التي هناك أسفل محرابه موجود ، ولم يتعرض لذكره في المساجد وليس هو على
هيات البناء العُمري ، والله أعلم .

مساجد المصلى

ومنها : مساجد المصلى الثلاثة التي ذكرناها في الفصل الأول فراجعه .

مسجد ذى

ومنها : مسجد ذى الخليفة ميقات أهل المدينة ، والمسجد الذى فى قبلته ،
وسياتيان فى المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بين الحرمين مع
بيان محلها من وادى العقيق الكبير .

الخليفة

مسجد مقمل

ومنها مسجد مقمل ، ذكره المجد هنا ، والصواب ذكره فى المساجد الخارجة
عن المدينة ؛ لأنه كما سياتى على يومين منها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفصل الرابع

فى المساجد التي علمت جهتها ، ولم تعلم عنها بالمدينة الشريفة

مسجد أبى

منها : مسجد أبى بن كعب ببني جديلة ، ويقال : مسجد بني جديلة من بني
النجار ، على ما تقدم فى المسجد الذى بالقيع عن المطرى من أن هذا المسجد
لا تعرف عينه ؛ قال : ومنازل بني جديلة عند بئر ماء شامى سور المدينة .

بن كعب

مسجد

ومنها : مسجد بني حرام من بني سامة من الخزرج ، قد تقدم فى مسجد
القبليتين توهيم من جعله إياه ، وما ورد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بكل
منهما . وروى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى
مسجد بني حرام الذى بالقاع ، وأنه رأى فى قبلته نخامة ، وكان لا يفارقه عرجون
ابن طاب يتخصر به ، فحسبته ثم دعا بخلوق فجعله على رأس العرجون ، ثم جعله
على موضع النخامة ، فكان أول مسجد خلق . ومنازل بني حرام بالقاع فى غربى
مساجد الفتح ووادى بطحان عند جبل بني عبيد والعين التي أجزاها معاوية
رضى الله تعالى عنه .

حرام

مسجد الخربة

ومنها : مسجد الخربة لبني عبيد من بني سامة ، وتقدم أن منازلهم كانت

عند مسجدهم هذا إلى الجبل الذي يقال له جبل الدويخل جبل بني عبيد ، وذلك قرب منازل بني حرام في المغرب ، والقاصدُ إلى مسجد القبليتين من جهة مساجد الفتح يمر بمنازلهما ، وقد تقدم في مسجد القبليتين ما روي من صلواته صلى الله عليه وسلم بهذا المسجد . وروى ابن زبالة عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة عن مشيخته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي السلافة أم البراء بن معرور في المسجد الذي يقال له مسجد الخربة دبر القرصة^(١) ، وصلى فيه مرارا .

قلت : وسيأتي أن هناك نخل جابر بن عبد الله المذكورة قصته في قضاء دينه هناك ، ولم يتعرض المطري ومن تبعه لذكر هذا المسجد . وقد روى يحيى بن الحسن في كتابه خبر ابن زبالة المذكور ، ورأيت في النسخة التي رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى لفظ: دبر القرصة^(١) ، ثم قال عقبه ما لفظه : قال لنا طاهر بن يحيى : هذا في بني حارثة ، وكانت القرصة^(١) ضيعة ، وهي عند بيت سعد بن معاذ ، انتهى وهو مخالف لما تقدم عن ابن زبالة في المنازل ، والله أعلم .

ومنها : مسجد جهينة وبلي ، وروى ابن شبة عن معاذ بن عبد الله بن مسجد جهينة ، أبي مريم الجهني وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد جهينة ، وعن يحيى بن النضر الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في مسجد مما حوته المدينة إلا مسجد أبي ، ثم قال : ومسجد جهينة ، إلى آخر ما ذكره ، وعن جابر بن أسامة الجهني قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بالسوق فقلت : أين تريدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نخطُّ لقومك مسجداً ، فرجعت فإذا قومي قيام وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطَّ لهم مسجداً وغرَزَ في القبلة خشبةً أقامها فيها ، وعنه أيضا قال : خطَّ النبي صلى الله عليه وسلم مسجد جهينة لبلي . وروى ابن زبالة عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطَّ المسجد الذي لجهينة ولمن هاجر من بلي ، ولم يصل فيه . وعن خارجة بن الحارث بن رافع بن مكيث الجهني عن أبيه عن جده

(١) في نسخة « القرصة » بزيادة ألف بعد الراء في كل المواضع ، وانظر

قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم يَعودُ رجلا من أصحابه من جهينة من بنى الربعة يقال له أبو مريم ، فعاده بين منزل بنى قيس العطار الذي فيه الأراكة وبين منزلهم الآخر الذي بلى دار الأنصار ، فصلى في ذلك المنزل ، قال : فقال نفر من جهينة لأبي مريم : لو لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يخط لنا مسجدا ، فقال : احتملوني ، فحملوه فلحق النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا أبا مريم ؟ فقال : يا رسول الله لو خططت لقومي مسجدا ، قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم مسجدا جهينة ، وفيه خيام ليلي ، فأخذ ضلعا أو محجبا فخط لهم ، قال : فالمنزل ليلي ، والخطة لجهينة .

قال الجلال المطري : وهذه الناحية اليوم معروفة غربى حصن صاحب المدينة ، والسور القديم بينها وبين جبل سلع ، وعنده آثار باب من أبواب المدينة خراب ، ويعرف إلى تاريخه - وهو سنة أربعين وسبعائة - بدرج جهينة ، والناحية من داخل السور بينه وبين حصن صاحب المدينة ، انتهى .

قلت : قوله « من داخل السور » إن أراد به السور الموجود اليوم فليس بصحيح ؛ لأن ما كان داخل هذا السور فيما بينه وبين حصن صاحب المدينة فهو من السوق كما تقدم بيانه ، ومنازل هؤلاء كانت في غربى السوق قبلى ثنية عثت المنسوية إلى سليع - وهو الجبل الذي عليه حصن أمير المدينة ويمتد في جهة المغرب إلى بنى سامة - وإن أراد أن الناحية المذكورة من داخل السور القديم فصحيح ، غير أن الداخل فيه بعضها لا كلها .

مسجد بنى غفار ومنها : المسجد الذى عند بيوت المطرفى ، وهو المتقدم ذكره فى منازل بنى غفار .

روى ابن زبالة عن أنس بن عياض عن غير واحد من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى المسجد الذى عند بيوت المطرفى ، عند خيام بنى

غفار ، وأن تلك المنازل كانت منازل آل أبي رهم كُثُوم بن الحصين الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال المطرى : وليست الناحية معروفة اليوم .

قلت : عرف مما تقدم في منازل بنى غفار وفي دار السوق أنها في غربى سوق المدينة بالقرب من منزل جهينة الذى يلي ثنية عثعث من جهة القبلة .
ومنها : مسجد بنى زُرَيْق — بتقديم الزاى كزبير — من الخرج .

مسجد بنى
زريق

روى ابن زبالة عن عمر بن حنظلة أن مسجد بنى زُرَيْق أول مسجد قرئ فيه القرآن ، وأن رافع بن مالك الزُرَقى لما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل عليه في العشر سنين التى خلت ، قال : فقدم به رافع المدينة ، ثم جمع قومه فقرأه عليهم في موضعه ، وهو يومئذ كوم ، قال : وعجب النبي صلى الله عليه وسلم من اعتدال قبلته .

وعن مروان بن عثمان بن المعلى قال : أول مسجد قرئ فيه القرآن مسجد بنى زُرَيْق .

وعن يحيى بن عبد الله بن رفاعة قال : توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وعجب من اعتدال قبلته ، ولم يصل فيه .

وروى ابن شبة عن معاذ بن رفاعة الزُرَقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل في مسجد بنى زريق ، وتوضع فيه ، وعجب من قبلته ، ولم يصل فيه ، وكان أول مسجد قرئ فيه القرآن .

قلت : تقدم في المنازل أن محل قرية بنى زريق فى قبلة المصلى وما والاها فى المشرق داخل السور وخارجه ، وتقدم فى ذكر الدور المحيطة بالبلاط الممتد من باب المدينة المعروف بدر ب سويقة إلى باب السلام ما يبين أن هذا المسجد كان فى قبلة الدور التى عن يمين السالك من درب سويقة المذكور قريباً منه ، وهو

المذكور في حديث السباق بين الخيل التي لم تضمر ، قال عياض : وبينه وبين
ثنية الوداع ميل أو نحوه .

قلت : وبين ثنية الوداع وبين الموضع الذي ذكرناه نحو الميل ، وهو قريب
من جهة محاذة ثنية الوداع في جهة القبلة .

وقد حدث في جهة قبلة المصلّي مما يلي المغرب مسجدان ، أحدهما شمس الدين
محمد بن أحمد السلاوي بعد الخمسين وثمانمائة : الأول منهما على شفير وادي بطحان
على عذوته الشرقية ، والثاني بعده في جهة القبلة على رابية مرتفعة من الوادي
أيضا في غربيه في مقابلة المطرية ، وكان موضعه في تلك الرابية فكان يطبخ فيه
الآجر ، وإنما نهت على ذلك لئلا يتقدم العهد بهما فيظن أن أحدهما مسجد بني
زريق ؛ لسكون ذلك بالناحية المذكورة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

مسجدان لبني
ساعة

ومنها : مسجدان لبني ساعة من الخرج ، وسقيتهم .

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى في
مسجد بني ساعة ، وجلس في سقيتهم القصوى . وعن العباس بن سهل أن النبي
صلى الله عليه وسلم صلّى في مسجد بني ساعة في جوف المدينة . وعن سعد بن
إسحاق بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى في مسجد بني ساعة الخارج من
بيوت المدينة . وعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس في سقيفة
بني ساعة القصوى . وعن عبد المنعم بن عباس عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله
عليه وسلم جلس في السقيفة التي في بني ساعة ، وسقاه سهل بن سعد في قدح .

وروى ابن زبالة حديث سهل بن سعد المتقدم ، ثم روى عن عبد المهيم بن
عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : جلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سقيفته التي عند المسجد ، ثم استسقاني فحُضتُ له وطبة ، فشرب ثم قال :
زدني ، فحُضتُ له أخرى فشرب ، ثم قال : كانت الأولى أطيب من الآخرة ،
فقلت : ها يا رسول الله من شئ واحد .

قوله « فخصت له » كذا هو في نسخة ابن زبالة . ورواه المطري كذلك ، وكذا كان في خط الزين المراني ، ثم رأيتُه مصلحا « فمخصت له » وكان الذي ألحق الميم أخذ ذلك من كون الوطْب سِقَاء اللبْن ؛ فالمناسب له الخُص ، ولا مانع من إطلاق الخَوْضِ على الخُص .

وقد تلخص من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجدَى بنى ساعدة ، وجلس في سقيقتهم ، والجلوس في سقيقتهم مذكور في الصحيح ، وهي السقيفة التي وقعت بَيْعَةُ أَبِي بكر رضى الله تعالى عنه فيها ، والظاهر أنها كانت عند دار سعد بن عبادة ، ويدل على ذلك ما في الصحيح من حديث الجوينية — وهي العائذة — من حديث سهل بن سعد حيث ذكر دخول النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، وخروجه من عندها ، ثم قال : فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ حتى جلس في سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه ، ثم قال : اسْقِنَا يَا سَهْلُ ، فخرَجْتُ لَهُمْ بهذا القَدَحِ فسقيتهم فيه ، الحديث . فطلبه صلى الله عليه وسلم من سهل بن سعد أن يسقيه وقد جلس في سقيقتهم دالَّ على قُرْب منزلها منها ، ويدل لذلك أيضا اجتماعُ الأنصار بها عند سعد رضى الله تعالى عنه يوم السقيفة ، وكان سعد مريضا ، وقد أسلفنا في منازل بنى ساعدة أنهم افترقوا في أربعة منازل ؛ فمنزلهم الأول في شرقي سوق المدينة وفيه بئرُ بَصَاعَة هو المراد بحديث الصلاة في مسجدهم الذي في جوف المدينة .

وأما مسجدُهم الخارج عن بيوت المدينة فيظهر أنه في منزلهم الرابع ، وأنه في شامى ذباب الجبل الذي عليه مسجد الراية ؛ لما سيأتى في ترجمة الشوط من أن في رواية لابن سعد أن الجوينية أنزلت بالشوط من وراء ذباب في أطم . وفي رواية أخرى « فنزلت في أجم بنى ساعدة » .

سقيفة بنى
ساعدة

وأما سقيفة بنى ساعدة فيظهر أنها في منزلهم الثالث ، وهو منزل بنى أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف ؛ لأنهم رهطُ سعد ، ولأن جراره التي كان يسقى

فيها المَاء بعد وفاة أمه كانت لها ، وهو قريب من منزلهم الرابع ، كما يؤخذ مما قدمناه في المنازل ، وذلك في شامى سوق المدينة قرب ذباب .

وقد ترجَّحَ عندي الآن خَطَأ ما قدمته هناك من احتمال أن تكون جرار سعد عند الموضع المعروف اليوم بسقيفة بنى ساعدة قرب مقعد الأشراف الواحدة من سويفة . وقد قدمنا قول المطري إن قرية بنى ساعدة عند بئر بُضَاعَة ، والبئر وسط بيوتهم ، قال : وشمالى البئر اليوم إلى جهة المغرب بقية أطم من أطام المدينة نقل أنه في دار أبى دجانة الصغرى التى عند بئر بضاعة ، وأبو دجانة من بنى ساعدة ، ذكر ذلك في بيان مسجد بنى ساعدة وسقيفتهم مقتصر على مسجد واحد ، وقال : إنه مسجد بنى ساعدة رهط سعد بن عبادة ، وليس ما ذكره منزل رهط سعد ؛ لما قدمناه .

وأغرب رزين العبدري فزعم أن سقيفة بنى ساعدة معروفة بقاء ، وهو وهم وروى ابن زباله عن هند ابنة زياد زوجة سهل بن سعد الساعدي قالت : لما دخلتُ على سهل رأيت المسجد فى وسط البيت فقلت : ألا إلى العريش أو إلى الجدار ، فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم جلس ههنا ، وهو البيت الذى صار لابن حمران .

ومنها : مسجد بنى خدارة إخوة بنى خدره من الخزرج .

روى ابن شبة عن شيخ من الأنصار أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خدارة ، وحلق رأسه فيه . وعن هشام بن عروة أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى به . وعن عمرو بن شرحبيل أن النبى صلى الله عليه وسلم وَضَعَ يده على الحجر الذى فى أجم سعد بن عبادة عند جرار سعد ، وصَلَّى فى مسجد بنى خدارة قلت : قد تقدم ذكرُ جرار سعد فى منزل بنى ساعدة الثالث ، وبيان أنها كانت حدَّ سوقِ المدينة من جهة الشام قرب ثنية الوداع ، وأن منازل بنى خدارة كانت بجرار سعد .

مسجد بنى
خدارة

وقال المطري : هذه الدار قبلي دار بنى ساعدة وبئر بُضَاعَة مما يلي سوق المدينة .

وإذا تأملت ما قدمناه في منازل بنى ساعدة علمت أن هذه هي دارهم الثالثة التي بها رَهَطُ سعد ، وعندها السقيفة ، وليس بها لبنى ساعدة مسجد ، وينبغي أن لا يغفل عما قدمناه من حدوث مسجد في منزلة الحاج الشامي قبلي المنهل الذي عند مشهد النفس الزكية ، أنشأه قاضي الحرمين ، العلامة محيي الدين الحنبلي هناك ؛ فلا يتوهم أنه أحد هذه المساجد ، والله أعلم .

مسجد راتج

ومنها : مسجد راتج ؛ لم يتعرض المطري ومن تبعه لذكره .

وقد روى ابن شبة عن خالد بن رباح أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجد راتج ، وشرب من جاسوم^(١) ، وهي بئر هناك .

وروى ابن زبالة صلواته صلى الله عليه وسلم في مسجد راتج عن خالد بن رباح عن رجل من بنى حارثة . وسيأتي أن جاسوم^(١) بئر أبي الهيثم بن التيهان ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في حائطه . وراتج تقدم في المنازل أنه أطم سميت به الناحية ، وأن بنى الشطية كانوا إحدى قبائل راتج الثلاث ، وأن ممن كان به بنى زَعُورَاء إخوة بنى عبد الأشهل ومنهم أبو الهيثم بن التيهان ؛ ولهذا نقل الأقسهرى عن الحب الطبري أنه ذكر المساجد التي كانوا يصلون فيها بأذان بلال فقال : ومسجد بنى راتج من بنى عبد الأشهل .

قلت : وصواب العبارة « مسجد راتج » وقد سبق ذكر راتج أيضاً في منازل مزينة من المهاجرين حيث قال فيها : ونزلت بنو ذكوان من بنى سليم مع أهل راتج من اليهود ما بين دار قدامة إلى دار حسن بن زيد بالجبانة . وسيأتي ذكر الجبانة في ترجمة ذباب . وسيأتي لراتج ذكر في ترجمة الخندق ، ومنه يؤخذ أنه كان في شرق ذباب الذي عليه مسجد الراية جانحاً إلى جهة الشام ، وبعده في المشرق منزل بنى عبد الأشهل .

(١) في نسخة « جاسم » .

وقال المطري : إن في غربي وادي بطحان من جهة مساجد الفتح جبلين صغيرين : أحدهما يقال له راتج ، ويقال للذي إلى جنبه جبل أبي عبيد . قلت : وإن صحَّ ما ذكره فليس هو المراد هنا ؛ لأن تلك الجهة ليست في منازل بني عبد الأشهل وإخوتهم المذكورين . والذي صرح به ابن زبالة وغيره أنه اسمُ أطم كما قدمناه ، فهو المعتمد والله أعلم .

مسجد واقم

ومنها : مسجد بني عبد الأشهل من الأوس ، ويقال له مسجد واقم . روى أبو داود والنسائي عن كعب بن عجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بني عبد الأشهل فصلى فيه المغرب ، فلما قضوا صلاتهم رأهم يسجدون^(١) بعدها ، فقال : هذه صلاة البيوت ، وإسناده جيد ، إلا أن فيه إسحاق بن كعب ابن عجرة مجهول الحال .

وروى ابن شبة عن محمود بن لبيد قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب في مسجد بني عبد الأشهل ، فلما فرغ من صلاته قال : صلّوا هاتين الركعتين في بيوتكم ، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة ، وجلُّ روايته عن الصحابة ، وفي إسناده عن ابن إسحاق ، ورواه أحمد برجال ثقات ، ولفظه : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجدنا فصلى بنا المغرب ، فلما سلم منها قال : اركعوا هاتين الركعتين في بيوتكم ، للسبحة بعد المغرب ، ورواه ابن ماجه عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عبد الأشهل ، فصلى بنا المغرب في المسجد ، الحديث ، وفي إسناده متروك وروى ابن شبة وابن ماجه عن عبد الله بن عبد الرحمن قال : جاءنا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بنا في بني عبد الأشهل ، فرأيتهم واضعاً يديه على ثوبه إذا سجد : وعبد الله بن عبد الرحمن ليست له صحبة ، قال الذهبي : وصوابه عن أبيه عن جده . وقد روى ابن ماجه عقبه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت

(١) في نسخة « يسبحون بعدها » والمراد على كل حال باللفظين يصلون .

عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى في بني عبد الأشهل ،
وعليه كساء مُلْتَفَّ به يَضَعُ يديه عليه يَقِيهِ برد الحصى .
ورواه ابن شبة بنحوه ، وفي إسناد كل منهما ضعيف .

وروى ابن شبة عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة - وهو ضعيف - عن
أبيه مُعْضَلًا قال : صَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد واقم في بني عبد
الأشهل وعليه بَرَّ نَكَانٌ^(١) لم يفيض بيديه من البرِّ نَكَانٌ إلى الأرض .

وعن أم عامر أنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد
الأشهل أتى بعرق فتعرقه ، ثم صلى ولم يمَسَّ ماء .

ورواه ابن زباله إلا أنه قال : إنها قالت : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
بعرق فتعرقه وهو في مسجد بني عبد الأشهل ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ .

وروى يحيى عن بكر بن عبد الوهاب عن محمد بن عمر قال : قالوا : كان
بالمدينة تسعةُ مساجِدَ يسمعون فيها مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فيصلون
في مساجدهم ، ولا يأتون مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا يوم الجمعة فيهم
كانوا يجمعون فيه ، وربما خرَجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الظهر إلى
مسجد بني عبد الأشهل فيصلي العصر والمغرب في مسجد بني عبد الأشهل ، ولم تكن
دار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر لها غشياناً من دار بني عبد الأشهل
قبل وفاة سعد بن معاذ وبعد وفاته .

قلت : والأخبار في الصلاة في هذا المسجد كثيرة ، وهو غير معروف اليوم ،
وتقدم أن المطري قال : إن دار بني عبد الأشهل قبلى دار بني ظَفَرٍ مع طرف
الحرة الشرقية المعروفة بجرّة واقم ، وكأنه أخذَه من قول يحيى في مسجد بني
ظفر : إنه دون مسجد بني الأشهل ، ولا دلالة في ذلك على ما قاله ، والصواب

(١) هو كزعفران : ضرب من الأكسية اه من هامش الأصل .

ما قدمناه في منازلهم من أنها كانت في شامى بنى ظفر بالحرة المذكورة وما والاها بين بنى ظفر وبنى حارثة ، وسيأتى في ترجمة الخندق ما يصرح بذلك . ويؤيده ما سيأتى في مسجد القرصة من أنها ضيعة لسعد بن معاذ ، والقرصة معروفة اليوم بالجهة التي ذكرناها . وبنو عبد الأشهل هم رهط سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وقد رأيت قرب القرصة آثار منازل كثيرة الظاهر أنها منازلهم ، ويؤيده أن فيما نقله الواقدي عن كتاب مسرف بن عقبة إلى يزيد بعد مقتلة الحرة «إني فرقت أصحابي على أفواه خنادقهم ؛ فوليت الحصين بن نمر ناحية ذباب وما والاها ، ووجهت حبيش بن دلجة إلى ناحية بقيع العرقد ، وكنت ومن معي من قواد أمير المؤمنين في وجه بنى حارثة ، فأدخلنا عليهم الخيل حين ارتفع النهار من ناحية بنى عبد الأشهل ، فما صليت الظهر إلا في مسجدهم ، وإنا أوقفنا بهم السيوف فقتلنا من أشرف لنا منهم ، وتبعنا مدبرهم ، وأجهزنا على جريجهم ، واتهبناها ثلاثاً » انتهى .

وقد تقدم في الفصل الخامس عشر من الباب الثاني أن بعض بنى حارثة فتح لأهل الشام طريقاً من قبلهم ، وأنهم أتوا من قبل بنى حارثة . ونقل الواقدي أن أول ما انتهبت والحرب بعد لم تنقطع دار بنى عبد الأشهل ، أى لأنها التي كانت تليهم بعد الدخول من بنى حارثة ، والله أعلم .

مسجد القرصة

ومنها : مسجد القرصة - روى رزين عن يحيى بن قتادة عن مشيخة قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي دور الأنصار فيصلى في مساجدهم ، فصلى في مسجد القرصة ، والقرصة : ضيعة لسعد بن معاذ ، قال الزين المراغي : فلعلها القرصة المعروفة اليوم بطرف الحرة الشرقية من جهة الشمال ؛ لأنها قريبة من منازل بنى عبد الأشهل رهط سعد ، غير أن المسجد لا يعرف فيها اليوم .

قلت : رأيت بها قرب البئر على رابية أثر مسجد ، والله أعلم .

ومنها : مسجد بني حارثة من الأوس - روى ابن شبة عن الحارث بن سعد
ابن عبيد الحارثي أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجدِ بني حارثة .
وروى ابن زباله عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم
صَلَّى في مسجد بني حارثة ، وقضى فيه في شأن عبد الرحمن بن سهل ، يعني
المقتول بخيبر ، أخى عبد الله بن سهل أبني عم حوَيْصَة وُحْيَيْصَة .
وتقدم في المنارل أن بني حارثة تحوَّلوا قبل الإسلام من دار بني عبد الأشهل
إلى دارهم في سَنَد الحِرَّة التي بها الشيخان شامِيَّ بنى عبد الأشهل ، خلاف
ما ذكره المطري من أن منازلهم يثرب .

مسجد
الشيخين
(البدائع)

ومنها : مسجد الشيخين ، ويقال له « مسجد البدائع » .
روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في
المسجد الذي عند الشيخين ، وبات فيه ، وصلى فيه الصبح يوم أحدٍ ، ثم غدا
منه إلى أحد .

وعن ابن عباس عن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في المسجد الذي
عند البدائع عند الشيخين ، وبات فيه حتى أصبح ، والشيخان : أطمان .
وعن أم سلمة رضی الله تعالى عنها قالت : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد البدائع بشِوَاء ، فأكله ، ثم بات حتى غدا إلى أحد .
وروى ابن زباله عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
صَلَّى في المسجد الذي عند الشيخين ، وأنه عدَّل من ثمَّ يوم أحدٍ إلى أحد .
ورواه يحيى من طريق ابن زباله ، قال ابنه طاهر بن يحيى عقبه : ويعرف
اليوم بمسجد العدو .

وروى يحيى أيضاً عن محمد بن طلحة قال : المسجد الذي صلى فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة حين راح أى إلى أحد من ههنا هو المسجد الذي
على يمينك إذا أردت قناة ، أى وادى الشطاة ، صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم

العصرَ والعشاء والصبح ، ثم غدا إلى أحد يوم السبت ،
وسياتى فى الشيخين قول المطرى : إنه موضع بين المدينة وجبل أحد على
الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد . وتقدم قول ابن زبالة : وكان لبعض
من هناك من اليهود الأطميان اللذان يقال لهما الشيخان بمفصّهما المسجد الذى صلى
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد .

ومنها : مسجد بنى دينار بن النجار من الخزرج - روى ابن شبة عن يحيى بن
النضر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى دينار ، وعن
عبد الله بن عقبة بن عبد الملك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يصلى
فى مسجد بنى دينار عند الغسالين .

مسجد بنى
دينار

وروى ابن زبالة عن أيوب بن صالح الدينارى أن أبابكر الصديق رضى الله
تعالى عنه تزوج امرأة منهم ، فاشتكى ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعوده ،
فكلموه أن يصلى لهم فى مكان يصلون فيه ، فصلى فى المسجد الذى بينى دينار
عند الغسالين .

وتقدم فى المنازل عن المطرى أن دارهم بين دار بنى جديلة التى عند بيرحاء
وبين دار بنى معاوية أهل مسجد الإجابة ، وأن ابن زبالة صرح بخلافه ، حيث
قال : نزلوا دارهم التى خلف بطحان الذى فى شقه الغربى مما بلى الحرة .

قلت : ويؤيده ما سياتى فى الخندق ، أنهم خندقوا من مسجد القبليتين إلى
دار ابن أبى الجنوب بالحرة ، وذلك لأن منازلهم فى تلك الجهة ، ولأن ابن زبالة
قال : إن بنى سواد من بنى سامة نزلوا عند مسجد القبليتين إلى أرض ابن عبيد
الدينارى ، وسياتى أن نقب بنى دينار هو طريق العقيق بالحرة الغربية ، وبه السقيا
كما قال الواقدى ، فإنما كانوا بالحرة الغربية ، وقد سمي الأسدى مسجدهم بمسجد
الغسالين ؛ لما تقدم من أنه كان عند الغسالين .

وفي غربي وادي بطحان بالحرة موضع يعرف اليوم بالمغسلة^(١) ، قال المجد :
كان يغسل فيها ، قال : وهي اليوم حديقة كثيرة النخيل من أقرب الحدائق إلى
المدينة ، انتهى . فاعل ذلك في موضع منازلهم .
وقد رأيت هناك حجراً عليه كتابة كوفية فيها ما لفظه : مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وعنده آثار يظهر أنها من آثار المسجد ، وقد بنى صاحب
المغسلة هناك مسجداً في تلك الآثار ، وجعل الحجرَ فيه .

مسجد بنى
عدى ، ومسجد
دار النابغة

ومنها : مسجد بنى عدى بن النجار ، ومسجد دار النابغة في بنى عدى أيضاً
— روى ابن شبة عن يحيى بن عمار المازني أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في
دار النابغة ، واغتسل في مسجد بنى عدى .

وعن يحيى بن النضر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد دار النابغة
ومسجد بنى عدى .

وعن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بنى عدى
وفي بيت صرمة في بنى عدى .

ورواه ابن زبالة عنه بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد
دار النابغة وفي مسجد بنى عدى .

وتقدم عن المطري أن منازل بنى عدى غربي المسجد النبوي ، ولم أر غيره
ما يوافق ولا ما يخالفه ، إلا أن النضر والد أنس خادم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان منهم .

وسياتى في بئر ما يبين أن داره كانت شامى المسجد النبوي عند بنى جديلة .

ودار النابغة : هي المرادة بما رواه ابن شبة عن أبي زيد النجارى قال : قبر
عبد الله بن عبد المطلب — يعنى والد رسول الله صلى الله عليه وسلم — في دار النابغة
قال عبد العزيز : ووصفه لى محمد بن عبد الله بن كريم فقال : تحت عتبة البيت
الثانى على يسار من دخل دار النابغة .

(١) المغسلة : موضع باق إلى اليوم معروف بهذا الاسم (حسب الله) .

وقال ابن عبد البر : توفي عبدُ الله والدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ،
وقبره بها في دار من دور عدى بن النجار ، قال ابن الجوزي : هي دار النابغة .
ومنها : مسجد بني مازن بن النجار - روى ابن زباله عن يعقوب بن محمد
أن النبي صلى الله عليه وسلم خَطَّ مسجدَ بني مازن ولم يُصَلِّ فيه .
وفي رواية عنه : وَضَعَ مسجدَ بني مازن بيده ، وصَلَّى في بيت أم بردة في
بني مازن .

مسجد بني
مازن

قلت : أم بردة هذه هي مرضعة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وتوفي عندها ، وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاته في بيتها ، وظاهر
ما سيأتي في بقيق الزبير من قول ابن شبة في بعض دوره على يسارك إذا أردت
بني مازن ، وكذا ما قدمناه عنه في منازل مزينة ومن حل معها أن منازل بني مازن
قرب منازل بني زريق مما يلي القبلة والمشرق ؛ لأنه قال بعد ذكر منازل بني
زريق ما لفظه : إلى أن يلتقي بني مازن بن عدى بن النجار ، لكن قوله ابن عدى
خطأ في النسخة لأن ما زنا هو ابن النجار نفسه ، وعدى أخوه .

وتقدم عن المطري أن منازل بني مازن قبلي بئر البصة في الناحية المسماة اليوم
بأبي مازن^(١) ، قال : وكان إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فيها عند
امرأة أبي سيف العين .

ومنها : مسجد بني عمرو بن مبدول بن مالك بن النجار - روى ابن زباله وابن شبة
عن هشام بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني عمرو بن مبدول .
وروى ابن شبة عن يحيى بن النضر نحوه ، ولم يذكر المطري ومن تبعه هذا
المسجد ، ولم يعد بني مبدول في بطون بني النجار .

مسجد بني
عمرو

وتقدم في المنازل أن منزلهم كان عند بقيق الزبير ؛ فتؤخذ جهته من
المسجد بعده .

(١) أبو مازن لا يعرف اليوم وهناك بئر تسمى زيانة لعله هو (حسب الله)

ومنها : مسجد بقيع الزبير^(١) - روى ابن زبالة عن عطاء بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى في بقيع الزبير ركعتين ، فقال له أصحابه : إن هذه الصلاة ما كنت تصليها ، قال : إنها صلاة رَغَب ورَهَب فلا تدعوها .
وسياتى في بقيع الزبير أنه في شرقي بني زريق ، مُجاور لدور بني غنم إلى جانب البقال .

ومنها : مسجد صدقة الزبير ببني محم - روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد الذي وضعه الزبير في بني محم .
ورواه ابن شبة عنه بلفظ : في صدقة الزبير في بني محم .
قلت : وذلك بالجزع المعروف بالزبيريات ، غربي مَشْرَبَة أم إبراهيم ، وقبلتها بقرب خنافة والأعواف ، وهما من أموال بني محم .
وقال الشافعي رحمه الله : وصدقة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها .

ونقل ابن شبة عن أبي غسان أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير ماله الذي يقال له بنو محم من أموال بني النضير ، فابتاع إليه الزبير أشياء من أموال بني محم ، فتصدق بها على ولده .
وفي سنن أبي داود عن أسماء بنت أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير نخلا .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير حُضْرَ فرسه ، فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعطوه حيث بلغ السوط .

وفي الصحيح قصة الرجل الذي نازع الزبير في السقي بشراج الحرة ، وسنبتين أنها حرة بنى قريظة .
وروى الطبراني أن ذلك الرجل من بني أمية بن زيد ، ومنازلهم وأموالهم عند هذه الحرة .

(١) لعله داخل الرستمية (حسب الله) .

وفي حديث أسماء في قصة حملها النوى من أرض الزبير أنها كانت على ميلين من المدينة ، وكله مؤيد لكونها الموضع المعروف اليوم بالزبيريات .
ويؤيده أيضاً أن كثيراً منها بأيدي جماعة من ذرية الزبير بن العوام يعرفون اليوم بالسكامة .

ومنها : مسجد بنى خُدرة إخوة بنى خدارة من الخزرج - روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بنى خُدرة .
وعن يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بعض منازل بنى خُدرة ؛ فهو المسجد الصغير الذي في بنى خُدرة مقابل بيت الحية .

مسجد بنى
خُدرة

وروى ابن شبة عن ربيع بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيتٍ إلى جنب مسجد بنى خُدرة .

وروى هو وابن زبالة عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُصل في مسجد بنى خُدرة .

وتقدم في المنازل أن بنى خُدرة ابتنوا بدارهم أطماً يقال له الأجرد ، ويقال لبئر البصة ، كان جد أبي سعيد الخدري ، قال المطري : وبعضه باقٍ إلى اليوم قلت : وهو الذي ابنتى عليه الزكوى بن صالح المنزل الذي عند بئر البصة التي اتخذ لها الدرجة الآتى ذكرها .

وقوله في رواية ابن زبالة « مقابل بيت الحية » كأنه يشير إلى البيت الذي انفقت به قصة الحية المذكورة في صحيح مسلم عن أبي السائب أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته ، قال : فوجدته يُصلي ، فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته ، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت ، فالتفت فإذا هي حية ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إليّ أن أجلس ، فجلست ، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار

فقال : أتري إلى هذا البيت ؟ فقلت : نعم ، قال : كان فتى منا حديث عهد
بُعْرُس ، قال : فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ؛ فكان ذلك
الفتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ،
فاستأذنه يوماً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذْ عليك سلاحك فإني
أخشى عليك قريظة ، فأخذ الرجلُ سلاحه ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين
قائمة فأهوى إليها الرمح ليطعنها به ، وأصابته غيره ، فقالت له : اكفُفْ عليك
رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني ، فدخل فإذا بحية عظيمة
منطوية على الفرش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها ، ثم خرج فركزه في الدار ،
فاضطربت عليه فما يدري أيهما كان أمرع موتا الحية أم الفتى ، قال : فحُتْنَا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادع الله يُحميهِ لنا ، فقال :
استغفروا لصاحبكم ، ثم قال : إن بالمدينة جنًّا قد أساموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً
فأذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

ومنها : مسجد بنى الحارث بن الخزرج ، ومسجد السنح — روى ابن شبة
مسجد بنى
الحارث
ومسجد السنح
عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بنى خدارة
وبالحبلى وبالْحارث بن الخزرج ومسجد السنح ، ورواه ابن زبالة بلفظ : مسجد
بنى الحارث بن الخزرج ومسجد السنح .

قلت : تقدم أن منازل بنى الحارث شرقي بطحان وتربة صعيب ، ويعرف
اليوم بالحارث بإسقاط بنى ، وبالقرب منه السنح ، كان على ميل من المسجد
النبوى ، وهو منازل جُشَم وزيد ابني الحارث بن الخزرج ، وبه منزل أبي بكر
رضى الله تعالى عنه بزوجته بنت خارجة .

ومنها : مسجد بنى الحبلى رهط عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج —
مسجد بنى
الحبلى
روى ابن زبالة وابن شبة عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
في مسجد بنى الحبلى . ورواه ابن شبة أيضاً عن سعد بن إسحاق بن كعب .

وتقدم عن المطري أن دارهم بين قباء وبين دار بني الحارث التي في شرقي بطحان ، مع مقاله ابن حزم في منازلهم فراجعه .

ومنها : مسجد بني بياضة من الخزرج - روى ابن شبة ويحيى عن سعيد ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني بياضة . وروى ابن زباله عنه نحوه ، وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت أخرجُ أقود أبي بعد أن عى إلى المسجد يوم الجمعة ، قال : فيسمع الأذان بالطريق ، فإذا سمعه قال : يرحمُ الله أسعد بن زرارة ، كان أول مَنْ جَمَعَ بنا بهذه القرية ، ونحن يومئذ أربعون في هزيمة من حرة بني بياضة .

مسجد بني
بياضة

وتقدم في الفصل الثامن من الباب الثالث نحوه من رواية أبي داود .

وروى ابن زباله أيضاً عن ربيعة بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الحرة في الرحابة .

وتقدم في منازل بني بياضة أن الرحابة مزرعة في شامها أطعمهم المسمى بعقرب ، وكانت لآل عاصم بن عطية بن عامر بن بياضة .

وذكر ابن زباله أطماً آخر كان بين المزرعتين الرحابة والحيرة .

وتقدم أيضاً أن دار بني بياضة شامى دار بني سالم أهل مسجد الجمعة إلى وادى بطحان قبلي دار بني مازن بن النجار ، ممتدة في تلك الحرة وبعضها في السبخة .

وروى ابن زباله عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقعت هذه الليلة رحمة ؟ فيما بين بني سالم و بني بياضة ، فقالت بنو سالم و بنو بياضة : أنتقل إليها ؟ قال : لا ، ولكن أقبروا فيها ومنها : مسجد بني خطمة من الأوس ، ومسجد العجوز .

مسجد بني
خطمة

روى ابن زباله عن الحارث بن الفضل وهشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني خطمة .

ورواه ابن شبة عن هشام وعبد الله بن الحارث، وروى أيضا عن مسامة بن عبيد الله الخطمي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد العجوز في بني خطمة عند القبر، ومسجد العجوز الذي عند قبر البراء بن معرور، وكان ممن شهد العقبة، فتوفي قبل الهجرة، وأوصى للنبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ماله، وأمر بقبره أن يستقبل به الكعبة.

وروى ابن زبالة عن أفلح بن سعيد وغيره من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد العجوز ببني خطمة، وهي امرأة من بني سليم ثم من بني ظفر بن الحارث.

وسياتي في الآبار عن عبد الله بن الحارث أن النبي صلى الله عليه وسلم توجأ من ذرع بئر بني خطمة التي بفناء مسجدهم، وصلى في مسجدهم.

وتقدم عن المطري أن الأظهر عنده أن منازلهم في شرقي مسجد الشمس بالعوالي، وأن الأظهر عندنا أنهم كانوا بقرب الماشونية؛ لقول ابن شبة في سيل بطحان: إنه يصبُّ في جفاف، ويمر فيه حتى يُفَضَّى إلى فضاء بني خطمة والأغرس، وقوله في مدينب: إنه يلتقي هو وسيل بني قريظة بالمشارف فضاء بني خطمة، وسياتي أن ذلك عند تنور النورة الذي في شامي الماشونية، وقد رأيت آثار القرية والآطام هناك.

مسجد
بني أمية
الأوسى

ومنها: مسجد بني أمية بن زيد من الأوس - روى ابن شبة عن عمر بن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد لهم في بني أمية من الأنصار، وكان في موضع السكبايين الخربتان عند مال نهيك، وعن محمد بن عبد الرحمن بن وائل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك الخربة، وكان قريبا من مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم هناك أجم، فانهدم، فسقط على المكان الذي فيه، فنرك وُطرح عليه التراب حتى صار كباء.

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بني أمية في موضع الكباء عند مال نهيك بن أبي نهيك.

قال المطري: ودارهم شرقي دار بنى الحارث بن الخزرج، وفيهم كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نازلا بامرأته الأنصارية حين كان يتناوب النزول إلى المدينة هو وجاره من الأنصار.

قلت: الذي يتحرر مما سبق في المنازل أنهم كانوا قرب النواعم وبئر العين، وهي من أموالهم كما سنيناه في الآبار، ويمر سيل مدينب من بيوتهم ثم يسقى الأموال. وبالحرّة الشرقية قريبا من الموضع المذكور آثار قرية يمر بها سيل مدينب الظاهر أنها قريتهم. ويشهد لذلك أن ابن إسحاق ذكر في مقتل كعب ابن الأشرف - وكان في بني النضير - أن محمد بن مسامة ومن معه انتهوا إلى حصنه في ليلة مُقَمَّرَة فهتَفَ به أبو نائلة، ثم ذكر قتله، وأن محمد بن مسامة قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بُعَاث حتى أسندنا في حرّة العريض.

ومنها: مسجد بنى وائل من الأوس - روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجد بنى وائل.

مسجد
بنى وائل
الأوسى

وروى ابن شبة عن سلمة بن عبد الله الخطمي أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في بيت القعدة عند مسجد بنى وائل، وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجد بنى وائل بين العمودين المقدمين خلف الإمام بخمسة أذرع أو نحوها، قال: وضر بنا ثمَّ وتَدَا.

قال المطري: والظاهر أن منازلهم كانت في شرقي مسجد الشمس. قلت: الظاهر أنها بقباء، وأن هذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار: إن بالمدينة عدة مساجد خراب فيها الحاريب وبقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها فيعمر بها الدور: أحدها مسجد بقباء قريب من مسجد الضرار فيه أسطوان قائمة، انتهى؛ فكانه فيما بين زمان المطري وزمانه نقضت بقيته بحيث لم يدرك له المطري أثر.

ومنها: مسجد بنى واقف من الأوس - روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في مسجد بنى واقف. قال المطري وتبعه

مسجد
بنى واقف

من بعده حتى المجد : مسجدُ بنى واقف موضع بالعوالى ، كانت فيه منازل بنى واقف من الأوس رهط هلال بن أمية الواقفي أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم في تخلفهم عن غزوة تبوك ، ولا يعرف مكان دارهم اليوم ، إلا أنها بالعوالى قلت : لادار أعرف من دارهم ؛ لما تقدم في المنازل من أنهم نزلوا عند مسجد الفضيف ، وابتنوا أطما كان موضعه في قبلة مسجد الفضيف ، وهذا من فوائد الاعتناء بذكر المنازل ، والمطرى لم يعتن بها ، لكن العجب من المجد فإنه ذكر ما قدمناه في المنازل ، ثم قلد المطرى عند ذكر المساجد .

ومنها: مسجد بنى أنيف، تصغير أنفٍ حى من بلي، ويقال: إنهم بقية من العاليق كما تقدم في منازل اليهود ، وبيننا في منازل بنى عمرو بن عوف من الأوس أنهم كانوا حلفاء لهم . وروى ابن زبالة عن عاصم بن سويد عن أبيه قال : سمعت مشيخة بنى أنيف يقولون : صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يعود طلحة بن البراء قريبا من أطهم ، قال عاصم : قال أبى : فأدركتهم يرشون ذلك المكان ويتعاهدونه ثم بنوه بعد ؛ فهو مسجد بنى أنيف بقباء .

قلت : طلحة بن البراء منهم . وقال المتكلمون في أسماء الصحابة : إنه من بلي وكان حليفا للأوس ، وذلك هو السبب كما قدمناه فيما وقع للمطرى ومن تبعه من أن بنى أنيف بطن من الأوس ، قال : ودارهم بين بنى عمرو بن عوف بقباء وبين العصبية .

قلت : المعتمد ما قدمناه ، ودارهم بقباء عند المال المعروف اليوم بالقائم في جهة قبلة مسجد قباء من جهة المغرب ، وعند بئر عذق كما سبق .

ومنها : مسجد دار سعد بن خيثة بقباء - ذكر ابن زبالة - فيما نقله المطرى أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى في المسجد الذى فى دار سعد بن خيثة رضى الله تعالى عنه بقباء ، وجلس فيه ، قال المطرى : وبيت سعد بن خيثة أحد الدور التى قبلى مسجد قباء ، يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء ويصلون فيها .

مسجد
بنى أنيف

مسجد
دار سعد
ابن خيثة

وهناك أيضا دار كاثوم بن الهدم ، وفي تلك العرصة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا قبل خروجه إلى المدينة ، وكذلك أهله صلى الله عليه وسلم وأهل أبي بكر رضي الله تعالى عنه حين قدم بهم على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وهن : سودة ، وعائشة ، وأمهاتهما ، وأختها أسماء ، وهي حامل بعبد الله بن الزبير ، فولدته بقاء قبل نزولهم المدينة ، فكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة ، انتهى .

قلت : وفي قوله « إن عليا قدم ومعه من ذكر » نظر ؛ فقد قدمنا أن عليا رضي الله تعالى عنه لحق النبي صلى الله عليه وسلم بقاء ، وأنه صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة بعد ذلك فقدا عليه بأهله ، وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر . وحديث أسماء في ولادتها عبد الله بن الزبير متفق عليه . وفيه أنه كان أول مولود ولد في الإسلام ، ففرحوا به ؛ لأنه كان قد قيل لهم : إن اليهود سخرتكم فلا يؤلّد لكم . وفيه دلالة على تأخر ولادته عن مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم بمدة . وقال الذهبي تبعا للواقدي : إنه ولد في سنة ثنتين ، وقال الحافظ ابن حجر : المعتمد أنه ولد في السنة الأولى ؛ للحديث المتفق عليه ، وسبق في سني الهجرة عن أبي حاتم ما يوافق .

وتقدم في ذكر مسجد بقاء أن دار سعد بن خيثمة هي التي تلي المسجد في قبلته .

مسجد التوبة ومنها : مسجد التوبة بالعصبة منازل بني جحججيا من بني عمرو بن عوف من الأوس - روى ابن زباله عن أفلح بن سعد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد التوبة بالعصبة ببئر هجيم ، قال المطري : وليست بمعرفة اليوم ، يعنى البئر . والعصبة : في غربى مسجد بقاء فيها مزارع وآبار كثيرة .

قلت : يستفاد مما ذكرناه في المنازل من أنهم ابتنوا أطرا يقال له الهجيم

عند المسجد الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن يثر هجيم مضافة للأطم
المذكور؛ فيطلب المسجد عند ذلك، وما علمت السبب في تسميته بمسجد التوبة
ومنها : مسجد النور - قال ابن زبالة : حدثنا محمد بن فضالة عن أبيه أن مسجد النور
رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى في موضع مسجد النور . قال المطري : ولا يعلم
اليوم مكانه .

قلت : وما علمت سبب تسميته بذلك ، ورأيت الأسدي في منسكه ذكر في
المساجد التي تزار في ناحية مسجد قباء مسجد النور ، ثم ذكر في المساجد التي تزار
بناحية المدينة وما حولها مسجد النور أيضا، ولعل هذا المسجد هو الموضع الذي انتهى
إليه أسيد بن حضير وعباد بن بشر ، وهما من بني عبد الأشهل ، وكانا عند النبي
صلى الله عليه وسلم في ليلة ظمأ ، فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عصا
أحدهما ، فمشيا على ضوءها ، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما
عصاه فمشى في ضوءها ، كما أخرجه البخاري ؛ فيكون المسجد المذكور بدار بني
عبد الأشهل .

وروى أحمد برجال الصحيح حديث قتادة بن النعمان الظفري في إعطاء النبي
صلى الله عليه وسلم له العُرْجُون في ليلة مظلمة فأضاء له من بين يديه عشرة ومن
خلفه عشرة - الحديث .

وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعمر رضى الله تعالى عنه سَهِرا عند أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
يتحدثان عنده ، حتى ذهب ثلث الليل ، ثم خرجا وخرج أبو بكر رضى الله تعالى
عنه معهما في ليلة مظلمة ومع أحدهما عصا ، فجعلت تضئ لهما وعليها نور حتى
بلغوا المنزل .

ومنها : مسجد عتيان بن مالك بأصل أُطْمِه المسمى بالمزدلف بدار بني سالم
ابن الخزرج - روى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد أن عتيان بن مالك قال :
مسجد عتيان بن مالك

يارسول الله إن السيل يحول بيني وبين الصلاة في مسجد قومي ، قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ، فهو المسجد الذي بأصل المزدلف . ورواه يحيى وقال : فهو المسجد الذي بأصل المزدلف أطم مالك بن العجلان . قلت : تقدّم في مسجد الجمعة أن المزدلف هو الأطم الخراب الذي في شامى مسجد الجمعة ، عند عدوة الوادى الشرقية ، وأن صلاته صلى الله عليه وسلم بدار عتبان في الصحيح ، وأنت الظاهر أن مسجد قومه الذى يحول السيل بينه وبينهم هو مسجدهم الأكبر الذى كان بمنزلهم بالحرة في عدوة الوادى الغربية .

وروى ابن شبة عن عتبان بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى في بيته سبعة الضحى ، فقاموا وراءه فصلوا .

وعن سعد بن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في مسجد بنى سالم الأكبر . وروى ابن زبالة نحوه عن كعب بن عجرة .

ومنها : مسجد ميثب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم - روى ابن زبالة وابن شبة ويحيى عن محمد بن عقبة بن أبي مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى في مسجد صدقته ميثب ، وسيأتي في الصدقات أن الميثب مجاور لبرقة وغيره من الصدقات الآتية .

مسجد ميثب
(صدقة النبي)

ومنها : مسجد المنارتين - روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن حرام بن سعد بن محيصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد الذي بأصل المنارتين في طريق العقيق الكبير ، قال المطري : وهذا المسجد لا يعرف ، وهو بلى طريق العقيق كما ذكر .

مسجد
المنارتين

قلت : روى ابن زبالة عن عبد الله بن البولا أن أربعة رهط من المهاجرين الأولين كلهم يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلى الجبل الأحمر الذى بين المنارتين ، فإذا بشاة ميتة قد أنتنّت ، فأمسكوا على أنفهم ،

فقال رسول صلى الله عليه وسلم : ماترون كرامة هذه الشاة على صاحبها ؟ فقالوا :
يا رسول الله ما تكرم هذه على أحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للدنيا
أهون على الله من هذه على صاحبها .

وعن إبراهيم بن محمد عن أبيه أن اسم الجبل الأنعم ، وهو الجبل الذى بنى
عليه المزني وجابر بن على الزمعي ثم أورد قول الشاعر :

* لمن الديارُ غَشِيَتْهَا بِالْأَنْعَمِ *
البيت الآتي فى الأنعم .

قلت : وهو الجبل الأحمر الذى على يسارك إذا مررت من أوائل الرقيقين
قاصدا العقيق ؛ لانطباق الوصف عليه ، ولأنى خرجت إليه وصعدته فرأيت عليه
أساس البناء الذى أشار إليه ، وظهر بذلك أن المنارتين بقر به عند الرقيقين ؛ فهناك
موضع هذا المسجد .

مسجد
فيفاء الخبار

ومنها : مسجد فيفاء الخبار - قال ابن إسحاق فى غزوة العشيرة : إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سَلَكَ على نقب بنى دينار من بنى النجار ، ثم على فيفاء
الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهريقال لها « ذات الساق » فصلى عندها
فتمَّ مسجد ، وصنع له طعام عندها ، فأكل منه وأكل الناسُ معه ، فوضع
آثاره فى البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب ، انتهى .
والمشيرب : تصغير مشرب ما بين جبال فى شامى ذات الجيش .

قال المطرى : وفيفاء الخبار غربى الجموات ، وهى أى الجموات الأَجْبَلُ التى
فى غربى وادى العقيق ، وتوهم الجمد أن الضمير فى قوله « وهى » لفيفاء الخبار
فقال فيه : الصحيح أنه الأَجْبَلُ التى فى غربى وادى العقيق ، انتهى .

وسياتى فى رابع فصول الباب السابع عن الهجرى أن جماء أم خالد فى
مَهَبِّ الشمال من جماء تضارع ، وأن فيفاء الخبار من جماء أم خالد .

ونقل ابن سعد عن ابن عقبة أن فيفاء الخبار من وراء الجماء ، والخبار - بفتح

المعجزة والموحدة كسحاب - ما لأن من الأرض واسترخى ، والأرض ذات الجحرة
والحفائر . والفيفاء - بقاء بين بينهما مشاة تحتية - هي الصخرة المساء .

قال المطري : وبهذا الموضع كانت ترى إبل الصدقة ولقاح رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وذكر قصة العرنيين التي قدمناها في محلها . وينبغي لمن تيسر له
الوصول إلى هذه الجهة أن يتبرك بالجموات ؛ لما سيأتي فيها ، وكذلك جبل عظم
لما سيأتي فيه أيضاً .

ومنها : مسجد بين الجثجائة و بئر شداد ، بطرف وادي العقيق مما يلي البقيع ؛
لأن ابن زباله روى في سياق ذلك ، عن عمر بن القاسم وعبد الملك بن عمر قال :
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بين الجثجائة وبين بئر شداد في
تَلعة هناك ، قال : وكان عبد الله بن سعد بن ثابت قد اقتطع قريبا منه و بناه .
وقال الهجري : الجثجائة صدقة عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وبها
قصور وميدان ، واقتضى كلامه أنها بين ثنية الشريد والحليفة .

مسجد بين
الجثجائة وبئر
شداد

وهذا آخر ما وقفنا عليه في مساجد المدينة التي لا تعلم بعينها في زماننا ،
وعدتها نحو الأربعين .

تتمة - تقدم ذكر بعض الدور التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ،
أو جلس ولم يتخذ محل لها ، ولندكر ما وقفنا عليه من بقيتها تنميا للفائدة :

الدور التي
صلى بها
الرسول

روى يحيى عن محمد بن طلحة بن طويل قال : سمعتُ غيرَ واحد ممن أدركت
يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء مر بده ، وهو مر بده الحكم بن أبي
العاص ، فكان إذا خرج منه وقَفَ عند بابه ، ودعا .

قال محمد بن طلحة : وأخبرني محمد بن جعفر عن محمد بن سليمان بن أبي حثمة
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في دار الشفاء في البيت الذي على يمين من
دخل الدار .

دار الشفاء

قال محمد : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار عمرو بن أمية الضمري دار الضمري
عن يمين من دخل الدار .

قال محمد : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بُسرة بنت صفوان . دار بسرة
قلت : أما دار عمرو بن أمية الضمري فتقدم ما يبين جهتها في ذكر دار
السوق وغيرها .

وأما دار الشفاء فقال ابن شبة في دور بنى عدى بن كعب : وأخذت الشفاء
بنت عبد الله دارها التي في الحكاكين الشارعة في الخط ، فخرجت طائفة من
أيدي ولدها فصارت للفضل ، وبقيت بأيديهم منها طائفة ، انتهى .
وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي الشفاء هذه وَيَقْبِلُ عندها ،
وسبق في مصلى الأعياد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى العيد عند دار الشفاء ؛
فالظاهر أنها كانت قرب سوق المدينة والمصلى . ودار بسرة لم أعرفها ، وكذا
المربد المذكور .

وتقدم في ذكر البلاط ما جاء في دار بنت الحارث .

وأخرج أبو داود والنسائي واللفظ له عن عبد الرحمن بن طارق عن أبيه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاز مكانا من دار يعلى استقبل القبلة
ودعا ، ولم أعرف جهة دار يعلى .

وفي صحيح البخاري عن ثمامة عن أنس أن أم سليم كانت تَبْسُطُ لِنبي الله
صلى الله عليه وسلم نِطْعاً قَيْقِيلُ عندها على ذلك النِطْعِ ، قال : فإذا قام صلى الله
عليه وسلم أَخَذَتْ من عَرَقِهِ وشَعْرَهُ فجمعته في قارورة ثم جمعته في سك ، وقال :
فلما حضرت أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يجعل في حَنُوطِهِ من ذلك السك ،
قال : فجعل في حَنُوطِهِ .

وفيه أيضاً حديث أنس في تكثير الطعام ، ولفظه : قال أبو طلحة لأم سليم :
لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع ،

فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خِماراً لها فلقت الخبز ببعضه، ثم دسسته تحت يدي، ولا تثنى ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به فوجدته في المسجد ومعه الناس، فقامت عليهم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم، فقال لمن معه: قوموا، فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئنا إلى أبي طلحة، فأخبرته، قال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلمي يا أم سليم ما عندك، فأنت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتت وعصرت أم سليم عسكة فأدمته، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول، ثم قال: أئذن لعشرة، الحديث، وفي آخره: فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

قلت: وأم سليم والدة أنس وزوجة أبي طلحة، فذلك إما في دار أنس وإما في دار أبي طلحة، وكلاهما بجهة بني جديلة.

دار أم حرام وفي الصحيح من حديث أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل يوماً فأطعمته، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ يضحك، الحديث.

قلت: أم حرام هي خالة أنس أخت أم سليم المتقدم ذكرها، وزوجها عبادة ابن الصامت، كان بيني سالم؛ لأنه من بني نوفل إخوة بني سالم، ويدل لذلك قوله «إذا ذهب إلى قباء» فإن بني سالم بطريق قباء، فيندفع ما توهمه بعضهم من أن دار أم سليم وأم حرام واحدة لكونهما أختين، والله أعلم.

الفصل الخامس

في فضل مقابرها ، وإتيان النبي صلى الله عليه وسلم البقيع ، وسلامه على أهله واستغفاره لهم .

خروج النبي
ليلاً إلى البقيع

روينا في صحيح مسلم والنسائي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما كان ليلى التي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عندي انفلت فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أني قد رقدت ، فأخذ إزاره رويداً ، وانتعل رويداً ، وفتح الباب ، فخرج ، ثم أجأه زويداً ، وجعلت درعي في رأسي ، واختمرت ، وتقمعت إزاري ، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع فأقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فأنحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهورل بهرولت ، فأحضر فأحضرته ، فسبقته ، فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : مالك يا عائش حشياً رابية ، قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، فأخبرته ، قال : فأنت السواد الذي رأيت أمامي ؟ قلت : نعم ، فلهزني في صدري لهزة أوجعتني ، ثم قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : مهما يكتم الناس بعلمه الله ، قال : نعم ، قال : فإن جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأخفيتك منك ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك ، وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشيني ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم ، قال : قلت كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولي السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين .

وفي رواية له أيضاً قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلى منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ،

وأناكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر
لأهل بقيع الغرقد .

وخرجه في الموطأ بلفظ : قالت عائشة : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة ، فلبس ثيابه ، ثم خرج ، فأمرت جارية تتي بريرة تتبعه ، فتبعته حتى
جاء البقيع ، فوقف في أدناه ما شاء الله أن يقف ، ثم انصرف فسبقته ، فأخبرتني ،
فلم أذكر شيئاً حتى أصبح ، ثم ذكرت له ، فقال : إني بعثت إلى أهل البقيع
لأصلي عليهم .

وفي رواية للنسائي : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا وإياكم متواعدون
غدا ومواكلون .

وفي رواية لابن شبة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندي ،
فظننت أنه خرج إلى بعض نسائه ، فتبعته ، حتى جاء البقيع ، فسلم ودعا ثم
انصرف ، فسألته : أين كنت ؟ فقال : إني أمرت أن آتي أهل البقيع فأدعولهم .
وفي رواية له أنه قال في دعائه : اللهم لا تحرماً أجرهم ، ولا تفتننا بعدهم .

وفي رواية للبيهقي قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع
عنه ثوبيه ، ثم لم يستم أن قام فلبسهما ، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنه يأتي
بعض صويجاتي ، فخرجت أتبعه ، فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين
والمؤمنات والشهداء ، الحديث ، وفيه بيان أن ذلك كان في ليلة النصف من شعبان
وفي جامع الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرّ بقبور أهل المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه فقال : السلام
عليكم يا أهل القبور ، ويغفر الله لنا ولكم ، وأنتم لنا سلف ونحن بالأثر .

وروى ابن شبة عن أبي موهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
أهينني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : إني أمرت أن
أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال :

السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لکم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ،
أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم
استغفر لهم طويلاً .

وفي رواية : ثم استغفر لهم ، ثم قال : يا أبا موهبة إني قد أوتيت مفاتيح
خزائن الدنيا والخلد فيها ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي ثم الجنة ، قلت : بأبي
وأبي خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا موهبة ،
لقد اخترت لقاء ربي ثم الجنة ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبديء به
وجعه الذي قبض فيه .

وعن عطاء بن يسار قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم البقيع فقال : السلام
عليكم قوم موجلون ، أتانا وأتاكم ما توعدون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد .

وعن الحسن قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم على بقيع الغرقد فقال :
السلام عليكم يا أهل القبور ، ثلاثاً ، لو تعلمون ما الذي نجاكم الله منه مما هو كائن
بعدكم ، قال : ثم التفت فقال : هؤلاء خير منكم ، قالوا : يا رسول الله إنما هم
إخواننا آمنّا كما آمنوا ، وأنفقنا كما أنفقوا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على
أجلهم ونحن ننتظر ، فقال : إن هؤلاء قد مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، وقد
أكلتم من أجوركم ، ولا أدري كيف تصنعون بعدى .

وروى ابن زبالة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج إلى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم
لاحقون ، وددت أني قد رأيت إخواننا ، قالوا : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟
قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم على الحوض ،
قالوا : يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ؟ قال : رأيت لو كان
لرجل خيل غرٌّ مججلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنهم
يأتون يوم القيامة غرّاً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، وليؤذّن

رجالٌ عن حوضي كما يُدَادُ البعيرُ الضال ، فأناديهم : ألا هلم ، ألا هلم ،
ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدَّلُوا ، فأقول : فسُخِّقَا ، فسُخِّقَا ، فسُخِّقَا .

من فصل البقيع وروى الطبراني في الكبير ومحمد بن سنجر في مسنده وابن شبة في أخبار
المدينة من طريق نافع مولى حمزة عن أم قيس بنت محسن ، وهي أخت عكاشة ،
أنها خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى البقيع ، فقال : يحشر من هذه المقبرة
سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وكان وجوههم القمر ليلة البدر ، فقام
رجل فقال : يا رسول الله وأنا ، فقال : وأنت ، فقام آخر فقال : يا رسول الله
وأنا ، قال : سبقك بها عكاشة ، قال : قلت لها : لم لم يقل للآخر ؟ فقالت :
أراه كان منافقا .

وذكر الهيثمي تخريج الطبراني له وقال : في إسناده من لم أعرفه .

وذكره الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ، وسكت عليه .

ودخول سبعين ألفا الجنة بغير حساب من هذه الأمة من غير تقييد بالبقيع
موجود في الصحيح ، بل جاء أزيد منه .

فروى أحمد والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا : سألتُ ربي عز وجل ، فوعدني
أن يدخل الجنة من أمتي ، وذكر محور رواية الصحيح ، وزاد : فاستزدت ربي ،
فزادني مع كل ألف سبعين ألفا ، قال الحافظ ابن حجر : وسنده جيد ، قال :
وفي الباب عن أبي أيوب عند الطبراني ، وعن حذيفة عند أحمد ، وعن أنس عند
البخاري ، وعن ثوبان عند أبي عاصم ، قال : فهذه طرق يقوى بعضها بعضها في
الزيادة المذكورة .

قال : وجاء في أحاديث أخرى أكثر من ذلك أيضاً ، فأخرج الترمذي
وحسنه والطبراني وابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة رفعه : وعدني ربي أن
يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا ، لا حساب عليهم
ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي .

وفي صحيح ابن حبان والطبراني بسند جيد نحوه .
ثم ذكر الحافظ ابن حجر ما يقتضى زيادة على ذلك أيضاً ، وأن مع كل
واحد سبعين ألفاً ؛ فيتأيد بذلك رواية اختصاص البقيع بسبعين ألفاً لا حساب
عليهم ؛ فالكرم عميم ، والجاه عظيم .
وروى ابن شبة عن ابن المنكدر رفعه مرسلًا : يُحشَرُ من البقيع سبعين ألفاً
على صورة القمر ليلة البدر ، كانوا لا يكتونون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون
قال : وكان أبي يخبرنا أن مُصْعَبَ بن الزبير دخل المدينة من طريق البقيع
ومعه ابن رأس الجالوت ، فسمعه مصعب وهو خلفه حين رأى المقبرة يقول :
هي هي ، فدعاه مصعب فقال : ماذا تقول ؟ فقال : نجد هذه المقبرة في التوراة بين
حَرَ تَيْنَ محفوفة بالثخيل اسمها كفتة ، يبعث الله منها سبعين ألفاً على صورة القمر .
وسألتني من رواية ابن زباله عن المقبري نحوه .

وروى ابن زباله عن جابر مرفوعاً : يبعث من هذه المقبرة - واسمها كفتة -
مائة ألف كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يَسْتَرِقُونَ ، ولا يكتونون ،
ولا يتداوون ، وعلى ربهم يتوكلون .

وعن المطلب بن حنطب رفعه مرسلًا : يحشر من مقبرة المدينة - يعنى
البقيع - سبعون ألفاً لا حساب عليهم ، تضىء وجوههم نمدان النين .

وجاء ما يقتضى أن هذا العدد يبعث من مقبرة بنى سامة ، وهى عند منزل
بنى حرام منهم ، فروى ابن شبة عن أبي سعيد المقبري أن كعب الأحبار قال :
وجد مكتوباً فى الكتاب أن مقبرة بغربى المدينة على حافة سيل يحشر منها
سبعون ألفاً ليس عليهم حساب .

وقال أبو سعيد المقبري لابنه سعيد : إن أنا هلكت فاذفنى فى مقبرة بنى
سامة التى سمعت من كعب ، وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مقبرة بغربى المدينة يعترضها السيل يسارا يبعث

منها كذا وكذا لا حساب عليهم ، قال عبد العزيز بن مبشر : لا أحفظ العدد .
وعن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، وعن ابن أبي عتيق وغيرهما من
مَشِيخَةِ بنِي حَرَامٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَقْبَرَةٌ مَا بَيْنَ سَيْلَيْنِ
غَرَبِيَّةٍ يَضِيءُ نُورُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ .

وروى ابن زبالة عن سهل عن أبيه عن جده قال : دفن قتلى من قتلى أحد في
مقبرة بنى سلمة .

وعن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة قال : أصيب أبو عمرة بن سكن يوم
أحد ، فأمر به رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنقل ، فكان أول مَنْ دُفِنَ فِي
مقبرة بنى حرام .

وفي الكبير للطبراني - وفيه يعقوب بن محمد الزهري فيه كلام كثير ، وقد
وثق - عن سعد بن خيثة قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رأيت كأن
رحمة وقعت بين بنى سالم وبنى بياضة ، قالوا : يا رسول الله أفننتقل إلى موضعها ،
قال : لا ، ولكن اقبروا فيها ، فقبروا فيها موتاهم .

قلت : وهذه المقبرة لا تعرف اليوم ، وكذا مقبرة بنى سلمة ، لكن تعرف
جهتهما مما تقدم في المنازل .

وتقدم في الحث على الموت بالمدينة حديث « ما على الأرض بقعة أحبُّ إلى
مَنْ أن يكون قبري بها منها » يعني المدينة ، يرجعها ثلاث مرات ، وحديث « مَنْ
استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنني أشفع لمن يموت بها » .

وفي رواية « فإنني أشهد لمن يموت بها » . وفي أخرى « فإنه من مات بها
كنت له شهيدا ، أو شفيعا ، يوم القيامة » .

ورواه رزين بنحوه ، وزاد « وإني أول من تنشق عنه الأرض ، ثم أبو بكر ،
ثم عمر ، ثم آتى البقيع فيحشرون ، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين » .
وفي رواية لابن النجار « فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى البقيع فيبعثون ، ثم
يبعث أهل مكة » .

وروى ابن شبة وابن زباله عن ابن كعب القرظي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من دفن في مقبرتنا هذه شفعمنا له ، أو شهدنا له » وسيأتي في الفصل الأول من الباب الثامن قوله صلى الله عليه وسلم « ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

وروى ابن زباله عن أبي عبد الملك يرفعه قال : « مقبرتان يضيآن لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا ، مقبرتنا بالبقيع بالمدينة ، ومقبرة بعسقلان » .

وعن كعب الأحبار قال : نجدها في التوراة كفتة محفوفة بالنخيل وموكل بها الملائكة ، كلما امتلات أخذوا بأطرافها فكفوها في الجنة .

قال ابن النجار : يعني البقيع .

وعن المقبري قال : قدم مصعب بن الزبير حاجاً أو معتمراً ومعه ابن رأس الجالوت فدخل المدينة من نحو البقيع ، فلما مر بالمقبرة قال ابن رأس الجالوت : إنها لهي ، قال مصعب : وما هي ؟ قال : إنا نجد في كتاب الله صفة مقبرة في شرقها نخل وفي غربها بيوت يبعث منها سبعون ألفاً كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، فطفت مقابر الأرض فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة .

وعن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : أقبل ابن رأس الجالوت فلما أتمرف على البقيع قال : هذه التي نجدها في كتاب الله كفتة ، لأطوها ، قال : فانصرف عنها إجلالاً لها .

وفي كتاب الحرة للواقدي عن عثمان بن صفوان قال : لما حج مصعب ابن الزبير ومعه ابن رأس الجالوت فانهى إلى حرة بنى عبد الأشهل وقف ثم قال : بهذه الحرة مقبرة ؟ فقالوا : نعم ، فقال : هل من وراء المقبرة حرة أخرى سوى هذه الحرة ؟ قالوا : نعم ، قال : إنا نجد في كتاب الله أنها تسمى كفتة .

قال الواقدي : يعني تسرع البلى - وكفيتها ، يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً كلهم وجوههم على صورة البدر ليلة أربع عشرة من الشهر .

وروى ابن زبالة عن خالد بن عوسجة : كنت أدعو ليلةً إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلي باب الدار ، فربى جعفر بن محمد يريد العريض معه أهله ، فقال لي : أعنْ أثر وقفت ههنا ؟ قلت : لا ، قال : هذا موقف نبي الله صلى الله عليه وسلم بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع .

قلت : وسيأتى أن من دار عقيل الموضع المعروف بمشهده ، وأن به قبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر على ما ذكره ابن النجار .

وقال عقب إيراد هذا الخبر : ودار عقيل الموضع الذي دُفن فيه ، قال الزين المراغى : فينبغي الدعاء فيه . قال : وقد أخبرني غير واحد أن الدعاء عند ذلك القبر مستجاب ، ولعل هذا سببه . أو لأن عبد الله بن جعفر كان كثير الجود فأبقى الله قضاء الحوائج عند قبره .

ومن غريب ما اتفق ما أخبرني به من أنق بدينه أنه دعا في هذا المكان ، وتذاكر مع رفيق له ذلك ، فرأى ورقة على الأرض مكتوبة ، فأخذها تقاؤلاً لذلك ، فإذا فيها (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) من جهتها ، انتهى .

قلت : ولم أقف في كلام المتقدمين على أصل في دفن عبد الله بن جعفر هناك ، بل اختلف في أنه دفن بالمدينة أو بالأبواء ، والمعتمد في سبب الاستجابة هناك ما ذكر أولاً ، ولهذا يستحب الدعاء في جميع الأماكن التي دعا بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلها مواطن إجابة .

الفصل السادس

في تعيين قبور بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت ، والمشاهد المعروفة بالمدينة .

بيان قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكونه عند قبر عثمان ابن مظعون ، وما جاء فيهما ، ومن دفن عندهما .

قبر إبراهيم ابن رسول الله

روى ابن شبة بإسناد جيد عن البراء رضى الله تعالى عنه قال : مات إبراهيم — يعنى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو ابن ستة عشر شهرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادفنوه في البقيع ، فإن له مرضعة في الجنة تم رضاعه .

وعن مكحول قال : توفي إبراهيم عليه السلام ، فلما وُضِعَ في اللحد وُصِفَ عليه اللبنُ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرجة من اللبن ، فأخذ بيده مدرة فناولها رجلا فقال : ضعها في تلك الفرجة ، ثم قال : أما إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكنها تقر بعين الحي .

وعن محمد بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رَشَّ على قبر ابنه إبراهيم ، وأنه أول من رش عليه ، قال : ولا أعلم إلا أنه قال : وحَتَا عليه بيده من التراب ، وقال حين فرغ من دفنه عند رأسه : السلامُ عليكم .

وروى الشافعي عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم رَشَّ قبر ابنه إبراهيم ووضع عليه الحصى .

وروى أبو داود في المراسيل والبيهقي ورجاله ثقات مع إرساله نحوه عن محمد ابن عمر بن على ، وزاد أنه أول قبر رش عليه ، وقال بعد فراغه : سلام عليكم ، ولا أعلمه إلا قال : حَتَا عليه بيده .

وروى ابن زبالة عن قدامة بن موسى أن أول من دَفَنَ رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالبقيع عثمان بن مظعون ، فلما توفي ابنه إبراهيم قالوا : يا رسول الله أين نحفر له ؟ قال : عند فرطنا عثمان بن مظعون .

وروى أبو غسان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : لما توفي إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون ، فرغب الناس في البقيع ، وقطعوا الشجر ، فاختارت كل قبيلة ناحية ، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها .

وروى ابن شبة عن قدامة بن موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذفنوا عثمان بن مظعون بالبقيع يكون لنا سلفا ، فنعم السلف سلفنا عثمان ابن مظعون » .

وعنه أيضاً : كان البقيع غرقداً ، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع ، وقطع الغرقد عنه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للموضع الذي دفن فيه عثمان : هذه الرؤحاء ، وذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى زاوية دار عقيل اليمانية ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : هذه الروحاء ، للناحية الأخرى ، فذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع يومئذ .

قلت : قد تلخص لنا أن دار عقيل كان بالمشهد المعروف به ، ودار محمد ابن زيد في شريقها وشرقي مشهد سيدنا إبراهيم ؛ فالروحاء الأولى ما بين المشهدين وتمتد إلى شرقي مشهد سيدنا إبراهيم ، والثانية في شرقي الأولى إلى أقصى البقيع ، والأولى هي المرادة بما سيأتي في قبر أسعد بن زرارة من قول أبي غسان ، والروحاء : المقبرة التي وسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع ، وكأنها اشتهرت بذلك دون الثانية لاقتصاره على الأولى .

وروى ابن زبالة عن عبيد الله بن أبي رافع قال : بلغني أن إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات قالوا : يا رسول الله ، أين ندفن إبراهيم ؟

قال: عند فرطينا عثمان بن مظعون، ودفن عثمان بن مظعون عند كتاب بن عمرو ابن عثمان.

وروى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن سعيد بن جبيرة قال: دفن إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزوراء موضع السقاية التي على يسار من سلك البقيع مضعدا إلى جنب دار محمد بن زيد بن علي.

وعن سعيد بن جبيرة قال: رأيت قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم في الزوراء؛ فيستفاد منه تسمية ذلك الموضع بالزوراء أيضا. وروى ابن زبالة عن سعيد بن محمد بن جبيرة أنه رأى قبر إبراهيم عند الزوراء.

قال عبد العزيز بن محمد: وهي الدار التي صارت لمحمد بن زيد بن علي. وعن جعفر بن محمد أن قبر إبراهيم وجاه دار سعيد بن عثمان التي يقال لها الزوراء بالبقيع، فهدمت مرتفعا عن الطريق.

وعن قدامة قال: دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم ابنه إلى جنب عثمان بن مظعون، وقبره حذاء زاوية دار عقيل بن أبي طالب من ناحية دار محمد بن زيد

وروى ابن شبة عن سعد بن جبيرة بن مطعم قال: رأيت قبر عثمان بن مظعون قبر عثمان بن مظعون عند دار محمد بن علي بن الحنفية.

وعن محمد بن قدامة عن أبيه عن جده قال: لما دفن النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه، قال قدامة: فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون. قال عبد العزيز بن عمران: وسمعت بعض الناس يقول: كان عند رأس عثمان بن مظعون ورجليه حجران.

وعن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر قال: كان عثمان بن مظعون أول من مات من المهاجرين، فقالوا: يا رسول الله أين تدفنه؟ قال: بالبقيع، قال: فلجد له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفضل حجر من حجارة حده، فحمله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه عند زجليه ، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مرَّ على ذلك الحجر فأمر به فرمى به ، وقال : والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به ، فأنته بنو أمية فقالوا : بئس ما صنعت ، عمدت إلى حجر وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فرميت به ، بئس ما عملت ، فمرُّ به فليرد ، فقال : أما والله إذ رميتُ به فلا يرد .

وسيدائتي في قبر عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه من رواية ابن زبالة أن مروان جعل ذلك الحجر على قبر عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .

وروى أبو داود بإسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، ولم يسم الصحابي الذي حدثه ، قال : لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنارته فدفن ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً أن يأتي بحجر فلم يستطع حمله ، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسرت عن ذراعيه — قال المطلب : قال الذي يخبرني : كأنني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حسر عنهما — ثم حمله فوضعه عند رأسه ، وقال : أتعلم به قبر أخي ، وأدفن إليه من مات من أهلي . ورواه ابن شبة وابن ماجه وابن عدي عن أنس والحاكم عن أبي رافع .

وروى ابن زبالة عن عائشة بنت قدامة قالت : كان القائمُ يقوم عند قبر عثمان ابن مظعون فيرى بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس دونه حجاب .

قبر رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبر رقية
بقت الرسول

روى الطبراني برجال ثقات ، وفي بعضهم خلاف ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في حديث قال فيه : فلما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحقِّي بسلفنا عثمان بن مظعون .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحقِّي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ، قال : وبكى النساء ، فجعل عمر يضرهن بسوطه ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده وقال :

دَعُونِ يَا عَمْرُ ، وَإِنَّا كُنْ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ فَمَنْ اللَّهُ
وَمِنَ الرَّحْمَةِ ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ اللِّسَانِ وَمِنَ الْيَدِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، قَالَ : فَبَكَتْ فَاطِمَةُ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ
الْدُمُوعَ عَنْ عَيْنِهَا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ .

قال ابن شبة عقبه : وروى خلفه ، أى من حيث حضوره صلى الله عليه وسلم لذلك ، ثم روى عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عثمان بن عفان وأسماء بن زيد على رقية وهى وجعة أيام بدر .
وعن الزهرى أن يزيد بن حارثة جاء بشيراً بوقعة بدر ، وعثمان قائم على قبر رقية يدفنها .

قلت : هذا هو المشهور ، والثابت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم حضر دفن ابنته أم كلثوم زوجة عثمان رضى الله تعالى عنه ، فلعل الخبر الأول فيها ، أو فى زينب أختها ، فإنها توفيت سنة ثمان بالمدينة ، والظاهر أنهم جميعاً عند عثمان ابن مظعون ؛ لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « وأدفن إليه مَنْ مات من أهلى » ويحتمل أن بعضهن هى التى وجد قبرها عند حفر الدعامة التى أمام المصلى الشريف ، كما سيأتى فى قبر فاطمة الزهراء ، وحصل الوهم فى نسبته لفاطمة ، والله أعلم .

قبر فاطمة
بنت أسد

قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها

أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

روى ابن زبالة عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال : دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكانت مهاجرة مبايعة ، بالرَّوْحَاءِ مقابل حمام أبى قطيفة ، قال : وثمَّ قبرُ إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقبر عثمان بن مظعون .

وسياتى ما نقله ابن شبة في قبر العباس من قول عبد العزيز بن عمران : إنه
دفن عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في
دار عقيل .

قلت : وهذا كله صريح في مخالفة ما عليه الناس اليوم من أن قبرها في
المشهد الآتي ذكره ، وأول من ذكر أنها بذلك المشهد ابن النجار ، وتبعه من
بعده ، ولم أقف له على مستند في ذلك ، والأثبت عندى ما هنا ؛ إذ يبدو أن
يدفنها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع القاصي ويترك ما قرب من عثمان
ابن مظعون وقد قال « وأدفن إليه من مات من أهلي » ، وأيضاً فلا يظهر أن
الموضع المعروف بمشهدها من البقيع ؛ لأن مشهد عثمان كما سياتى ليس من البقيع ،
وهذا المشهد بطرف زقاق في شاميه إلى المشرق .

فإن قيل : النخيل التي تقابل هذا المشهد قال ابن النجار : إنها تعرف بالحمام ،
وقد قال في الرواية الأولى « مقابل حمام أبي قطيفة » .

قلت : الظاهر أن ذلك منشأ الوهم في ذلك ، وبقية الرواية
المذكورة .

وما نقله ابن شبة يدفع ذلك ويبين أن المراد موضع كان يعرف بحمام أبي قطيفة
بجهة مشهد سيدنا إبراهيم ، وكان ابن النجار لم يقف إلا على صدر الرواية الأولى ؛
فإنه قال : قبر فاطمة بنت أسد وعليها قبة في آخر البقيع ، ثم ذكر صدر الرواية
الأولى إلى قوله : مقابل حمام أبي قطيفة ، ثم قال : واليوم يقابلها نخل يعرف
بالحمام ، انتهى .

على أن النخيل التي يقرب هذا المشهد هي التي تقابله من جهة المشرق والشام ،
وإنما يعرف قديماً وحديثاً بالخضاري ، وإنما يعرف بالحمام الفجل الذي في شامى
مشهد سيدنا إبراهيم عند السكومة ، وهو بعيد من المشهد المعروف بفاطمة ، وإن
كان في جهة مقابلته من المغرب ، ومن تأمل ذلك علم أن التعريف به لما

هو في جهة مشهد سيدنا إبراهيم أقرب ، فهو شاهد لنا ، وأيضاً فاسم الحمام مذكور لموضع بالمدينة ، ولهذا أضافه إلى أبي قطيفة .

وقد روى ابن زباله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بموضع حمام عبید الله ابن حسين الذي اشترى محمد بن زيد ، فقدمه إلى البقيع قليلاً ، فقال : نعم موضع الحمام .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران ما حصله أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل في قبر أحد قط إلا خمسة قبور ، ثلاث نسوة ورجلين ، منها قبر خديجة بمكة ، وأربع بالمدينة : قبر ابن خديجة كان في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وتربيته ، وهو على قارعة الطريق بين زقاق عبد الدار وبين البقيع الذي يتدفن فيه بنو هاشم ، وقبر عبد الله المزني الذي يقال له ذو البجادين ، وقبر أم رومان أم عائشة بنت أبي بكر ، وقبر فاطمة بنت أسد أم عليّ ، فأما ذو البجادين فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل مهاجراً وسلك ثنية الغابر وعمرت عليه الطريق وغلظت ، فأبصره ذو البجادين فقال لأبيه : دعني أدلهم على الطريق ، فأبى ، فنزع ثيابه وتركه عرياناً ، فاتخذ عبد الله بجادا من شعر فطرحه على عورتها ، ثم عدا نحوهم ، فأخذ بزمام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر قدومه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وموته ودفنه .

ثم قال : وأما قبر فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما فإن عبد العزيز حدث ، وذكر سنده إلى محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، قال : لما استقر بفاطمة وعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا توفيت فأعلموني ، فلما توفيت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بقبورها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة ، ثم لحد لها لحداً ، ولم يصرح لها صريحاً ، فلما فرغ منه نزل فاضطجع في اللحد ، وقرأ فيه القرآن ، ثم نزع قميصه فأمر أن تكفن فيه ، ثم صلى عليها عند قبرها ، فكبر تسعاً

وقال : ما أعنى أحد من ضعطة القبر إلا فاطمة بنت أسد ، قيل : يا رسول الله ولا القاسم ؟ قال : ولا إبراهيم ، وكان إبراهيم أصغرهما .
قلت : وقوله في موضع المسجد إلى آخره يقتضى أنه كان على قبرها مسجد يعرف به في ذلك الزمان .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت فقال : يا رسول الله ، إن أم علي وجعفر وعقيل قد ماتت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى أمي ، فقمنا وكان علي رؤوس من معه الطير ، فلما اتهمنا إلى الباب تزَعَ قميصَه فقال : إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكفانها ، فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ، ومرة يتقدم ، ومرة يتأخر ، حتى اتهمنا إلى القبر فتمكك في اللحد ثم خرج فقال : أدخِلوها باسم الله وعلى اسم الله ، فلما أن دفنوها قام قائماً فقال : جَزَاكَ اللهُ من أم وربيبه خيراً ، فنعمة الأم ونعمة الربيبه كنت لى ، قال : فقلنا له أو قيل له : يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط ، قال : ما هو ؟ قلنا : نزعك قميصك وتمكك في اللحد ، قال : أما قميصى فأريد أن لا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى ، وأما تمككى في اللحد فأردت أن يوسّع الله عليها في قبرها .

وروى بن عبد البر عن ابن عباس قال : لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ، واضطجع معها في قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ! فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر لى منها ، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حُلل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها .
وفي الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس عند رأسها ،

فقال : رحمة الله يا أمي بعد أمي ، وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرد ، قال :
 ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن
 الخطاب وغلاما أسودا يحفرون ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فاضطجع فيه ، ثم قال : الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ،
 أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من
 قبلي ، فإنك أرحم الراحمين ، وكبر عليها أربعا ، فأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر
 الصديق رضي الله تعالى عنهم .

قبر عبد الرحمن
 ابن عوف

قبر عبد الرحمن بن عوف

روى ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن قال : أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن
 ابن عوف حين نزل به الموت أن هلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى
 أخويك ، فقال : ما كنت مُصَيِّفًا عليك بيتك ، إني كنتُ عاهدت ابن مضعون
 أينما مات دفن إلى جانب صاحبه ، قالت : فمروا به على ، فمروا به عليها فصلت عليه .
 وروى ابن شبة عن حفص بن عثمان بن عبد الرحمن نحوه ،

وعن عبد الواحد بن محمد عن عبد الرحمن بن عوف أنه أوصى إن هلك بالمدينة
 أن يدفن إلى عثمان بن مضعون ، فلما هلك حفر له عند زاوية دار عقيل الشرقية ،
 فدفن هناك ، عليه ثوب حبرة من العصب ، أتمارى أن يكون فيه لحمة ذهب أولاً .

قبر سعد بن
 أبي وقاص

قبر سعد بن أبي وقاص

روى ابن شبة عن ابن دهقان قال : دعاني سعد بن أبي وقاص فخرجت معه
 إلى البقيع ، وخرج بأوتاد ، حتى إذا جاء من موضع زاوية عقيل الشرقية الشامية
 أمرني فحفرت ، حتى إذا بلغت باطن الأرض ضرب فيها الأوتاد ثم قال : إن هلكت
 فادلهم على هذا الموضع يدفنونني به ، فلما هلك قلت ذلك لولده ، فخرجنا حتى
 دللهم على ذلك الموضع ، فوجدوا الأوتاد ، فحفروا له هناك ودفنوه .

قبر عبد الله
ابن مسعود

قبر عبد الله بن مسعود
روى ابن سعد في طبقاته عن أبي عبيدة بن عبد الله أن ابن مسعود قال :
أدْفِنُونِي عِنْدَ قَبْرِ عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ .
وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : مات عبد الله بن مسعود بالمدينة ،
وَدْفِنَ بِالْبَقِيعِ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ .

قبر خنيس
ابن حذافة

قبر خنيس بن حذافة السهمي
كان زوج حفصة بنت عمر قَبْلَ رَسُوْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَصْحَابَ الْمُهْجَرَتَيْنِ ، نَالَتْهُ جِرَاحَةٌ يَوْمَ أَحَدَ ، فَمَاتَ بِسَبَبِهَا
بِالْمَدِينَةِ .

قال أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرندي المدني في سيرته : توفي في السنة
الثالثة من الهجرة ، ودفن عند عثمان بن مظعون ، قال : وكان عثمان بن مظعون
توفي قبله في شعبان من السنة المذكورة ، ونقل ابن الجوزي أن عثمان توفي في
السنة الثانية ، اه . وما قدمناه من موت خنيس بعد أحد من جراحة نالته يوم
أحد هو ما جزم به ابن عبد البر ، وتبعه عليه الذهبي ، ويشكل عليه ما سبق في
الفصل الثاني عشر من الباب الثالث من أن أحدا كانت في شوال سنة ثلاث
باتفاق الجمهور ، وقيل : أربع ، وأنه صلى الله عليه وسلم تزوج بحفصة بنت عمر في
شعبان من السنة الثالثة على الأصح ، وقيل : في الثانية ؛ فلا يصح ما جزم به
ابن عبد البر ، إلا أن يكون خنيس قد طلقها كما أشار إليه الذهبي ، لكن قد وهم
الحفاظ ابن عبد البر في قوله « إن خنيساً استشهد بأحد بسبب تلك الجراحة »
وإنما توفي قبلها بالمدينة ، قال ابن سيد الناس : المعروف أنه مات بالمدينة على
رأس خمسة وعشرين شهرا ، وذلك بعد رجوعه من بدر ، اه .

قبر أسعد
ابن زرارة

قبر أسعد بن زرارة أحد بني غنم بن مالك بن النجار
شهد العقبتين كما تقدم ، وتوفي في الأولى من الهجرة والمسجد ببني .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرني بعض أصحابنا قال : لم أزل أسمع
أن قبر عثمان بن مظعون وأسعد بن زرارة بالروحاء من البقيع ، والروحاء : المقبرة
التي بوسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع .

قلت : فينبغي أن يسلم على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهك سيدنا إبراهيم بالبقيع
بيان قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنيتها ، ومن عرف
جهة قبره بالبقيع من بني هاشم ، وأمهاة المؤمنين ، وغيرهم .

روى ابن شبة عن محمد بن علي بن عمر أنه كان يقول : إن قبر فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم زاوية دار عقيل اليمانية الشارعة في البقيع .
وعن منبوذ بن حويطب والفضل بن أبي رافع أن قبرها وجاه زقاق نبيه ،
وأنه إلى زاوية دار عقيل أقرب .

وعن عمر بن علي بن حسين بن علي أن قبرها حدو الزقاق الذي يلي زاوية
دار عقيل ، قال غسان بن معاوية بن أبي مزرد : إنه ذرع من حيث أشار له عمر بن
علي فوجده خمسة عشر ذراعا إلى القناة .

وعن عمر بن عبد الله مولى عفرة أن قبرها حدو زاوية دار عقيل مما يلي
دار نبيه .

وعن عبد الله بن أبي رافع أن قبرها مخرج الزقاق الذي بين دار عقيل ودار
أبي نبيه .

وذكر إسماعيل راويه أنه ذرع الموضع الذي ذكر له أبوه فوجد بين القبر
وبين القناة التي في دار عقيل ثلاثة وعشرين ذراعا ، وبين القناة الأخرى سبعة
وثلاثين ذراعا .

قال أبو غسان : وأخبرني مخبرقة قال : يقال : إن المسجد الذي يصل إلى
جنبه شرقياً على جناز الصبيان كان خيمة لامرأة سوداء يقال لها رقية ، جعلها
هناك حسين بن علي تبصر قبر فاطمة ، وكان لا يعرف قبر فاطمة غيرها .
قال : وأخبرني عبد العزيز بن عمران عن حماد بن عيسى عن جعفر بن محمد

قبر فاطمة بنت
الرسول

عن أبيه قال : دفن علي فاطمة ليلا في منزلهما الذي دخل في المسجد ، فقبرها عند باب المسجد المواجه دار أسماء بنت حسين بن عبد الله ، أي وهو الباب الذي كان في شامى باب النساء في المشرق كما تقدم .

قال ابن شبة عقبه : وأظن هذا الحديث غلطا ؛ لأن الثبت جاء في غيره . ثم روى بسند جيد عن فائد مولى عبادل ، وهو صدوق ، أن عبيد الله بن علي أخبره عن مضي من أهل بيته أن الحسن بن علي قال : ادفنوني في المقبرة إلى جنب أمي ، فدفن في المقبرة إلى جنب فاطمة مَواجه الخوخة التي في دار نبيه بن وهب ، طريق الناس بين قبرها وبين خوخة نبيه ، أظن الطريق سبعة أذرع . قال فائد : وقال لي منقذ الحفار : إن في المقبرة قبرين مطابقين بالحجارة ، قبر حسن بن علي وقبر عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فنحن لانجر كها ، فلما كان زمن حسن بن زيد وهو أمير على المدينة استعدى بنو محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب على آل عقيل في قناتهم التي في دورهم الخارجية في المقبرة ، وقالوا : إن فاطمة رضى الله تعالى عنها عند هذه القناة ، فاختصموا إلى حسن ، فدعاني حسن فسألني فأخبرته عن عبيد الله بن أبي رافع ومن بقي من أهلي وعن حسن ابن علي وقوله « ادفنوني إلى جنب أمي » ثم أخبرته عن منقذ الحفار وعن قبر الحسن أنه رآه مطابقا ، فقال حسن بن زيد : أنا على ماتقول ، وأقر قناة آل عقيل .

ثم ذكر ابن شبة أن أبا غسان حدثه عن عبد الله بن إبراهيم بن عبيد الله أن جعفر بن محمد كان يقول : قبر فاطمة في بيتها الذي أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد ، قال : ووجدت كتابا كتب عن أبي غسان فيه أن عبد العزيز بن عمران كان يقول : إنها دفنت في بيتها ، وصنع بها ما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنها دفنت في موضع فراشها ، ويحتج بأنها دفنت ليلا ، ولم يعلم بها كثير من الناس .

ثم أشار ابن شبة إلى رد ذلك بما حدثه أبو عاصم النبيل قال : حدثنا كهمس ابن الحسن قال : حدثني يزيد قال : كمدت فاطمة رضي الله تعالى عنها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم سبعين بين يوم وليلة ، فقالت : إني لأستحي من جلالة جسمي إذا أخرجت على الرجال غدا ، وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء فقالت أسماء بنت عميس أو أم سلمة : إني رأيت شيئا يصنع بالحبشة ، فصنعت البعش ، فاتخذ بعد ذلك سنة .

وسأني من رواية ابن عبد البر ما يؤيده .

وروى ابن شبة عن سلمى زوج أبي رافع قالت : اشتكت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت يوما كأمثل ما كانت تكون ، وخرج علي فقالت : يا أمتاه اسبكي لي غسلا ، ثم قامت فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ثم قالت : هات ثيابي الجدد ، فأعطتها إياها ، فلبستها ثم جاءت إلى البيت الذي كانت فيه فقالت : قدّمي الفراش إلى وسط البيت ، فقدّمته فاضطجعت واستقبلت القبلة ووضعت يدها تحت خدها ثم قالت : يا أمتاه إني مقبوضة الآن ، وإني قد اغتسلت فلا يكشّفني أحد ، قال : فقبضت مكانها ، وجاء علي فأخبرته فقال : لا جرم والله لا يكشّفها أحد ، فحملها بغسلها ذلك فدفنها .

ثم روى ابن شبة عقبه عن أسماء بنت عميس قالت : غسلت أنا وعلي ابن أبي طالب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقي بإسناد حسن عن أسماء بنت عميس أن فاطمة أوصت أن تغسلها هي وعلي ، فغسلاها .

ثم تعقبه بأن هذا فيه نظر ؛ لأن أسماء في هذا الوقت كانت عند أبي بكر الصديق ، وقد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة ؛ لما في الصحيح أن عليا دفنها ليلا ، ولم يُعلم أبا بكر ، فكيف يمكن أن تغسلها زوجته وهو لا يعلم ؟ وأجاب في الخلافات باحتمال أن أبا بكر علم بذلك ، وأحب أن لا يرد غرض

على في كتمانها منه ، قال الحافظ ابن حجر : ويمكن أن يجمع بأن أبا بكر علم بذلك وظن أن عليا سيدعوه لحضور دفنها ليلا ، وظن على أنه يحضر من غير استدعاء منه .

وقد احتج بحديث بنت عميس هذا أحمد وابن المنذر ، وفي جزمهما بذلك دليل على صحته عندهما فيبطل ما روى أنها غسلت نفسها وأوصت أن لا يعاد غسلها وقد رواه أحمد ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وأخس القول في ابن إسحاق راويه .

وتولى رد ذلك عليه ابن عبد الهادي في التنقيح .

قلت : وعلى كل تقدير فحديث بنت عميس أرجح ؛ للأدلة الدالة على وجوب غسل الميت مطلقا ، وليس في حديث الصحيح أن أبا بكر ما علم بوفاة فاطمة ، بل أن عليا دفنها ولم يُعلمه .

وقد روى ابن عبد البر خبر أسماء بآتم من ذلك ، وفيه علم أبي بكر بموتها ، وذلك من طريق عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أمه أم جعفر بنت محمد ابن جعفر .

وعن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لأسماء بنت عميس : يا أسماء ، إني قد استقيحت ما يصنع بالنساء إنه يُطرح على المرأة الثوب فيصْفُها ، قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فخنثها ثم طرحت عليها ثوبا ، فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ؟ تُعرفُ به المرأة من الرجل ، فإذا أنامت فاعسليني أنت وعلى ، ولا تدخليني على أحدا ، فلما توفيت جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء : لا تدخليني ، فشكت إلى أبي بكر قالت : إن هذه الخُممية تحُولُ بيننا وبين بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جعلت لها مثل هودج العروس فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال : يا أسماء ، ما حملك على أن تمنعت أزواج

الذي صلى الله عليه وسلم أن يدخل علي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت لها مثل هودج العروس ؟ فقالت : أمرتني أن لا يدخل عليها أحد ، وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها ، قال أبو بكر : فاصنعى ما أمرتك ، ثم انصرف ، وغسلها عليّ وأسماء رضى الله تعالى عنهما .

وقد خرج الدولابي معنى ذلك مختصراً ، وفيه أنها لما أرتها النعش تبسمت ، وما رؤيت متبسمه - يعنى بعد النبي صلى الله عليه وسلم - إلا يومئذ .

وخرج أيضاً أن الوصية كانت إلى عليّ بأن يغسلها هو وأسماء ، ويجوز أن تكون أوصت إلى كل منهما .

قال ابن عبد البر : فاطمة أول من غطى نعشها من النساء في الإسلام علي الصفة المذكورة في الخبر المتقدم ، ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك . وتوفيت فاطمة يوم الثلاثاء لثلاث خلت من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وكانت أشارت علي زوجها أن يدفنها ليلاً .

قلت : لعلمها أرادت بذلك المبالغة في التستر ، وهو السبب في عدم إعلام أبي بكر رضى الله تعالى عنه . ويتأيد بذلك رواية دفنها بالبقيع ، وهو مقتضى صنيع ابن زبالة في إيراد الروايات الدالة على ذلك .

وقال المسعودي في مروج الذهب : إن أبا عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضى الله تعالى عنهم توفي سنة ثمان وأربعين ومائة ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده ، قال : وعلي قبورهم في هذا الموضع من البقيع رُخامة عليها مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مبيد الأمم ، ومُحْيِي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وقبر الحسن بن علي ، وعلي بن الحسين بن علي ، وقبر محمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، عليهم السلام ، انتهى . وذكر ما يقتضى أنه حين ذكر هذا كان في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

قبر بعض أبناء الإمام علي بن أبي طالب

المتوكل يأمر
بهدم قبر
الحسين بن علي

وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضی الله تعالى عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتخصيصها ، مع ما عرض لأهل البيت رضی الله تعالى عنهم من مُعاداة الولاية قديماً وحديثاً ، حتى ذكر المسعودي أن المتوكل أمر في سنة ست وثلاثين ومائتين المعروف بالزبرج بالمشير إلى قبر الحسين ابن علي رضی الله تعالى عنهما ومحو أرضه وهدمه وإزالة أثره ، وأن يعاقب مَنْ وجد به ، فبذل الرغائب لمن يقدم على ذلك ، فشكل خشى عقوبة الله فأحجم ، فتناول الزبرج مسحاة وهدم أعلى قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفعلة على العمل فيه ، واتهوا إلى الحفيرة وموضع اللحد فلم يجدوا فيه أثر رمة ولا غيرها ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى استخلف المنتصر ، انتهى .

ويتلخص مما تقدم أن المعتمد أن قبرها بالبقيع عند قبر الحسن ، وقيل : في بيتها ، ويتفرع عليه قولان : أحدهما ما تقدم عن عبد العزيز من أن محله من المسجد ما يقابل الباب الذي يواجه دار أسماء بنت حسين ، يعنى شامى باب النساء وهو بعيد جداً ، وثانيهما حكاة العز بن جماعة وقال : إنه أظهر الأقوال ، وهو أنه في بيتها ، وهو مكان الحراب الخشب الذى داخل مقصورة الحجر الشريفة من خلفها ، وقد رأيت خُدَّام الحجره يجتنبون دؤس ما بين الحراب المذكور وبين الموضع المزور من الحجره الشريفة الشبيهة بالثلث ، ويزعمون أنه قبر فاطمة رضی الله تعالى عنها .

وقد سبق في الفصل التاسع والعشرين من الباب الرابع أنهم لما أسسوا دعائم القبة الكبرى الحاذية لأعلى الحجره الشريفة أسسوا أسطوانة هناك زادوها عند الصفحة الشرقية من الموضع الشبيهة بالثلث خلف الحجره ، فوجدوا قبراً بدا لحداه وبعضُ عظامه ، وحصل للناس في ذلك اليوم أمر عظيم ومشقة زائدة فيما أخبرني به شيخ الخدام السيفي قائم وغيره .

وحكى ابن جماعة في قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها قولين آخرين :
أحدهما : أنه الصندوق الذى أمام مصلى الإمام بالروضة الشريفة ، قال :
وهو بعيد جداً .

قلت : لم أفف له على أصل ، ولعله اشتبه على قائله بالحراب المتقدم ذكره
في بيتها ؛ لأن عنده مصلى شبه حوض كالمصلى بالروضة ، وأمامه صندوق هو
الحراب المذكور ، لكن سبق في الفصل الثالث من الباب الرابع أنهم لما أسسوا
في محل الصندوق المحترق الدعامة التى بها محراب المصلى النبوى ، وهو مصلى
الإمام ، وجدوا هناك قبراً بدا لحدده مسدوداً باللبن أخرجوا منه بعض العظام ،
وأن الأقدمين حرفوا أساس الأسطوانة التى عنده عنه ، فالله أعلم .

وثانیهما : أنه بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع ، يعنى الذى بالقرب من قبة
العباس رضى الله تعالى عنه من جهة القبلة جانحاً إلى المشرق .

وقد ذكر الغزالي هذا المسجد في زيارة البقيع فقال : ويستحب له أن يخرج
كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر
القبور التى تزار ، وقال عند ذكر قبر الحسن : ويصلى في مسجد فاطمة ، وذكره
أيضاً غيره .

وقال : إنه المعروف ببيت الحزن ؛ لأن فاطمة رضى الله تعالى عنها أقامت به
أيام حزنها على أبيها صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر دفنها به ، والقول بذلك من
فروع القول بدفنها بالبقيع ، لكنه بعيد من الروايات السابقة لبعده جداً من دار
عقيل وعن قبر الحسن .

وقال الحب الطبرى في « ذخائر العقبي ، في فضائل ذوى القربى » : أخبرني
أخ لي في الله أن الشيخ أبا العباس المرسى رحمه الله تعالى كان إذا زار البقيع وقف
أمام قبلة قبة العباس وسلم على فاطمة عليها السلام ، ويذكر أنه كشف له عن
قبرها هناك .

قال الطبري : فلم أزل أعتقد ذلك لاعتقادي صدق الشيخ ، حتى وقفت على ما ذكره ابن عبد البر من أن الحسن لما توفي دفن إلى جنب أمه فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فازددت يقيناً .

قلت : وهو أرجح الأقوال ، والله أعلم .

قبر ابنها الحسن بن علي ، ومن معه

قبر الحسن
ابن علي

وما روى من نقل بَدَن علي ورأس الحسين إلى البقيع رضي الله تعالى عنهم وروى ابن شبة عن فائد مولى عبادل أن عبید الله بن علي أخبره عن مضي من أهل بيته أن حسن بن علي رضي الله تعالى عنهما أصابه بطن ، فلما حز به وعرف من نفسه الموت أرسل إلى عائشة رضي الله تعالى عنهما أن تأذن له أن يُدْفَنَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : نعم ، ما كان بقي إلا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بذلك بنو أمية استلأمواهم وبنو هاشم للقتال ، وقالت بنو أمية : والله لا يُدْفَنُ فيه أبداً ، فبلغ ذلك حسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ، فأرسل إلى أهله أما إذا كان هذا فلا حاجة لي به ، ادفنوني في المقبرة إلى جنب أمي فاطمة ، فدفن في المقبرة إلى جنب فاطمة رضي الله تعالى عنها .

وعن نوفل بن الفرقات نحوه ، وفيه أن الحسن قال للحسين : لعل القوم أن يمنعوك إذا أردت ذلك كما منعنا صاحبهم عثمان بن عفان ، ومروان بن الحكم يومئذ أمير على المدينة ، وقد كانوا أرادوا دفن عثمان في البيت فمنعوهم ، فإن فعلوا فلا تلاحهم في ذلك وادفني في بقيع الغرقد ، ثم ذكر منع مروان ، وأن الحسين لما بلغه ذلك استلأم في الحديد واستلأم مروان في الحديد أيضاً ، فأتى رجل حسيناً فقال : يا أبا عبد الله ، أتعصى أخاك في نفسه قبل أن تدفنه ؟ قال : فوضع سلاحه ، ودفنه في بقيع الغرقد .

وفي رواية لابن عبد البر أنهم لما استلأوا في السلاح بلغ ذلك أبا هريرة
رضي الله تعالى عنه ، فقال : والله ما هو إلا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه ؟
والله إنه لابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق إلى الحسين وكلمه وناشده
الله وقال له : أليس قد قال أخوك إن خفت أن يكون قتال فردوني إلى مقبرة
المسلمين ؟ فلم يزل به حتى فعل .

تسمية من دفن
مع الحسن

وذكر ابن النجار أن مع الحسن رضي الله تعالى عنه في قبره ابن أخيه زين
العابدين علي بن الحسين ، وأبا جعفر الباقر محمد بن زين العابدين ، وجعفر
الصادق ابن الباقر ، رضوان الله عليهم أجمعين . وذكر الغزالي نحوه .

دفن علي
بالقيع

وروى الزبير بن بكار من طريق شريك بن عبد الله عن أبي روق قال :
حمل الحسن بدن علي بن أبي طالب فدفنه بالقيع .

قلت : وقد اتفق في سنة بضع وستين وثمانمائة حفر قبر بمشهد الحسن والعباس
أمام قبلته ، فوجدوا فسقية فيها تابوت من خشب مَغشَّى بشيء أحمر يشبه اللباد
الأحمر مسمر بمسامير لها بريق وبياض لم تصدأ ، وتعجب الناس لكونها لم تصدأ
ولعدم بلاء ذلك الغشاء .

وأخبرني جمع كثير ممن شاهد ذلك ، وأن علي مدخل تلك الفسقية أحجاراً
من المسن ، فلعله بدن علي رضي الله تعالى عنه .

دفن رأس

الحسين بن علي

وذكر محمد بن سعيد أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين رضي الله تعالى
عنه إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان عامله على المدينة ، فكفنه ودفنه بالقيع
عند قبر أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكن ذكر ابن
أبي الدنيا أنهم وجدوا في خزانة ليزيد رأس الحسين فكفنوه ودفنوه بدمشق
عند باب الفراديس . وقيل غير ذلك ، ولا بأس بالسلام على هؤلاء كلهم عند
زيارة هذا المشهد .

قبر العباس بن
عبدالمطلب

* قبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه *
قال ابن شبة فيما نقله عن أبي غسان : قال عبد العزيز : دفن العباس بن
عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في
دار عقيل ، فيقال : إن ذلك المسجد بنى قبالة قبره ، قال : وقد سمعت من يقول :
دفن في موضع من البقيع متوسطا .

قبر صفية بنت
عبدالمطلب

* قبر صفية بنت عبد المطلب رضى الله تعالى عنها *
قال عبد العزيز فيما نقله ابن شبة : توفيت صفية فدفنت في آخر الزقاق الذي
يخرج إلى البقيع عند باب الدار التي يقال لها دار المغيرة بن شعبة التي أقطعها عثمان
ابن عفان لازقا بجدار الدار ، قال عبد العزيز : فيبلغني أن الزبير بن العوام اجتاز
بالمغيرة وهو يبني داره ، فقال : يا مغيرة ارفع مطمرك^(٢) عن قبر أمي ، فأدخل المغيرة
جداره ، فالجدار اليوم منحرف فيما بين ذلك الموضع وبين باب الدار .
قال عبد العزيز : وقد سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبة أبي أن يفعل ذلك
لمسكانه من عثمان ، فأخذ الزبير السيف ثم قام على البناء ، فيبلغ الخبر عثمان ،
فأرسل إلى المغيرة يأمره بالمصير إلى ما أمره به الزبير ، ففعل .
وروى ابن زبالة عن محمد بن موسى بن أبي عبد الله قال : كان قبر صفية بنت
عبد المطلب عند زاوية دار المغيرة بن شعبة الوضوء عليه^(١) ، فلما بنى المغيرة داره
أراد أن يقيم المطمرك عليه^(٢) ، قال : فقال الزبير : لا ، والله لا تبني على قبر أمي ،
فكف عنه .

قلت : والمعروف أن ذلك هو المشهد الآتي ذكره خارج باب البقيع ،
والله أعلم .

قبر أبي سفيان
ابن عبدالمطلب

* قبر أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وما قيل في قبر عقيل وابن
أخيه عبد الله بن جعفر ، رضى الله تعالى عنهم *

(١) كذا ، ولا معنى له ولم يتجه لى تصحيحه

(٢) للمطمرك - كمنبر - والمطمرك أيضا : خيط البناء التي يقدر به

قال ابن شبة : قال عبد العزيز : بلغني أن عقيل بن أبي طالب رأى أبا سفيان ابن الحارث يحول بين المقابر ، فقال : يا ابن عمّ مالي أراك هنا ؟ قال : أطلب موضع قبر ، فأدخله داره وأمر بقبر فحفر في قاعها ، فقعده عليه أبو سفيان ساعة ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يومين حتى توفي فدفن فيه .

وقال الموفق بن قدامة : قيل عن أبي سفيان : إنه حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام ، قال : وكان سبب موته أنه حجّ فلما حلق الحلاق رأسه قطع ثؤلولاً كان في رأسه ، فلم يزل مريضاً حتى مات بعد مقدّمه من الحج سنة عشرين ، ودفن في دار عقيل ، وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنهم .

قلت : والظاهر أنه بالمشهد المنسوب اليوم لعقيل ؛ لأن ابن زبالة وابن شبة لم يذكر قبر عقيل بالبقيع ، وكذا الغزالي لما ذكر في الإحياء من يزار بالبقيع لم يذكره ، بل المنقول الذي ذكره ابن قدامة وغيره أن عقيلاً توفي بالشام في خلافة معاوية ، فكان سبب اشتهار ذلك المشهد به كون الدار التي هو بها له ؛ ويحتمل على بُعد أنه نقل من الشام ودفن بذلك الحل أيضاً ، وأول من رأته ذكر أنه بذلك المشهد ابن النجار ، فقال : وقبر عقيل بن أبي طالب أخى على رضى الله تعالى عنهما في قبة أول البقيع ، ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب ، وهو الجواد المشهور رضى الله تعالى عنه .

وقد ذكر أبو اليقظان أن عبد الله بن جعفر الجواد كان أجود العرب ، قبر عبد الله بن جعفر الطيار وأنه توفي بالمدينة وقد كبر ، وقال غيره : توفي ودفن بالأبواء سنة تسعين ، ويقال : إنه كان ابن عشر سنين حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قبور أمهات
المؤمنين

* قبور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله تعالى عنهن *
روى ابن زبالة عن محمد بن عميد الله بن على قال : قبور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من خوخة نبيه إلى الزقاق الذى يخرج إلى البقال مستطيرة ؛ وترجم ابن شبة لقبر أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم روى عن زيد بن

السائب قال : أخبرني جدي قال : لما حفر عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه « قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب » فدفن عقيل البئر ، وبنى عليه بيتا ، قال ابن السائب : فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر .

قلت : فهذا وما قبله أصل في زيارتهن بالمشهد المعروف بهن في قبلة مشهد عقيل رضي الله عنه ، والظاهر أن خوخة نبيه في غربى المشهد المذكور ، وكذا الرقاق الذي يخرج إلى البقال ؛ لما سيأتى في ترجمته ، فيكون بعضهم بقرب الحسن والعباس رضي الله تعالى عنهما ، ولهذا روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال : سمعت من يذكر أن قبر أم سلمة رضي الله تعالى عنها بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي قريبا من موضع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان حفر فوجد على ثمانية أذرع حجرا مكسورا مكتوبا في بعضه « أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم » فبذلك عرف أنه قبرها .

وقد أمر محمد بن زيد بن علي أهله أن يدفنوه في ذلك القبر بعينه ، وأن يحفروا له عمقا ثمانية أذرع ، فحفر كذلك ودفن فيه .

وروى ابن زباله عن إبراهيم بن علي بن حسن الرافعي قال : حفر لسالم البانكي مولى محمد بن علي فأخرجوا حجرا طويلا فإذا فيه مكتوب « هذا قبر أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم » وهو مقابل خوخة آل نبيه بن وهب ، قال : فأهيل عليه التراب وحفر لسالم في موضع آخر .

وعن حسن بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي أنه هدم منزله في دار علي بن أبي طالب ، قال : فأخرجنا حجرا مكتوبا فيه « هذا قبر رَمَلَة بنت صخر » قال : فسألنا عنه فأنشأ مولى عبادل فقال : هذا قبر أم حبيبة ابنة أبي سفيان ، ويخالفه ما تقدم من أن قبرها في دار عقيل ، ولعله تصحف بعلي . وفي صحيح البخاري أن عائشة رضي الله تعالى عنها أوصت عبد الله بن

الزبير لا تدفني معهم ، تعنى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، وادفني مع صَوَاحِبِي بِالْبَقِيعِ .

وروى ابن زباله عن فائد مولى عبادل قال : قال لى متقد الحفّار : فى المقبرة قيران مطابقان بالحجارة : قبر حسن بن على ، وقبر عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فنحن لا نحر كهما .

قلت : وأمّهات المؤمنين كلهن بالمدينة ، إلا خديجة فبمكة ، وإلا ميمونة فبِسْرِفِ .

* قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه *

قبر الشهيد
عثمان بن عفان

وروى ابن شبة عن الزهرى قال : جاءت أم حَبِيبَةَ بنتُ أبي سفيان رضى الله تعالى عنهما فوقفت على باب المسجد ، فقالت : لَتَحُلَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ دَفْنِ هَذَا الرَّجُلِ أَوْ لَا كُشِفَنَّ سِتْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فخلوها ، فلما أُمْسُوا جاء جُبَيْر بن مطعم وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وأبو الجهم بن حذيفة وعبد الله بن حسبل ، فحملوه فانتهوا به إلى البقيع ، فمنعهم من دَفْنِهِ ابنُ بَجْرَةَ ، ويقال : ابن نَجْرَةَ الساعدى ، فانطلق به إلى حش كوكب ، وهو بستان بالمدينة ، فصلى عليه جُبَيْر ودفنوه وانصرفوا .

وعن عروة بن الزبير قال : منعهم من دَفْنِ عُثْمَانَ بِالْبَقِيعِ أُسْلَمُ بن أوس بن بَجْرَةَ الساعدى ، فانطلقوا به إلى حش كوكب ، فصلى عليه حكيم بن حزام ، وأدخل بنو أمية حش كوكب فى البقيع .

وعن عثمان بن محمد الأخنسى عن أم حَكِيمَةَ قالت : كنت مع الأربعة الذين دَفَنُوا عُثْمَانَ بن عفان : جُبَيْر بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهم بن حذيفة ، ونيّار بن مكرم الأسلمى ، وحملوه على بابِ أَسْمَعَ قرع رأسه على الباب كأنه دابة ، ويقول : دب دب ، حتى جاؤا به حش كوكب فدفن به ، ثم هد عليه الجدار وصلى عليه هناك .

قال : وحش كوكب : موضع في أصل الحائط الذي في شرقي البقيع الذي يقال له خضراء أبان ، وهو أبان بن عثمان .

قلت : ولذلك تسمى تلك الناحية إلى اليوم بالحضاري .
وفي طبقات ابن سعد عن مالك بن أبي عامر قال : كان الناس يتوقَّونَ أن أن يدفنوا موتاهم في حُشِّ كوكب ، فكان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يقول : يوشك أن يهلك رجل صالح فيدفن هناك فيأتسى الناسُ به ، قال : فكان عثمان أول من دفن به .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن فروج قال : كنا مع طلحة فقال لي ولابن أخيه عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله : انطلقا فانظرا ما فعلَ الرجل ، قال : فدخلنا فإذا هو مُسَجَّى بثوب أبيض ، فرجعنا إلى طلحة فأخبرناه ، فقال : قوموا إلى صاحبكم فواروه ، فانطلقنا فجمعنا عليه ثيابه كما يصنع بالشهيد ، ثم أخرجناه ليصلى عليه ، فقالت المصرية : والله لا يُصَلَّى عليه ، فقال أبو الجهم بن حذيفة : والله إن عليكم أن لا تصلوا عليه ، قد صلى الله عليه ، فَتَغَزَّوه ساعةً بنعال سيوفهم حتى ظننت أن قد قتلوه ، ثم أرادوا دفنه مع نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد استوهب من عائشة رضي الله تعالى عنها موضعَ قبر فوهبت له ، فأبوا ، فدفن في مقبرة كان قد اشتراها فزادها في المقبرة ، فكان أول من دفن فيها .
وقيل : إن عمرو بن عثمان صلى عليه يومئذ .

وروى ابن زبالة عن ابن شهاب وغيره أن عثمان منع من البقيع ، فدفن في حش كوكب ، وكان عثمان بن مظعون أول من دفن بالبقيع ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل مهراس علامة على قبره ليدفن الناس حوله ، وقال : لأجعلنَّك لمتقين إماما ، فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة في ملكه أدخل الحش في البقيع ، وحمل المهراس فجعله على قبر عثمان ، وقال : عثمان وعثمان ، فدفن الناس حول عثمان رضي الله تعالى عنه .

قبر سعد بن معاذ

* قبر سعد بن معاذ الأشملى رضى الله تعالى عنه *

نقل ابن شبة عن عبد العزيز أنه أصيب يوم الخندق ، فدعا فحسب الله عنه الدم ، حتى حَكَمَ في بني قريظة ، ثم انفجر كله ؛ فمات في منزله في بني عبد الأشهل ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه في طرف الزقاق الذى بلزق دار المقداد بن الأسود ، وهو المقداد بن عمرو ، وإنما تَبَنَّاهُ الأسود ابن عبد يغوث الزهرى ، وهى الدار التى يقال لها دار ابن أفلح في أقصى البقيع عليها جُنَيْذَةٌ ، ^(١) انتهى . وهذا الوصف صادق بالمشهد المنسوب لفاطمة بنت أسد ؛ لكونه بطرف زقاق في أقصى البقيع ، وفي شرقيه ناحية بني ظفر وبني عبد الأشهل ، فلعله قبره ، ولكن وقع الاشتباه في نسبه لفاطمة رضى الله تعالى عنها لما قدمناه في قبرها ، والله أعلم .

قبر أبى سعيد
الحدري

* قبر أبى سعيد الحدري رضى الله تعالى عنه *

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الحدري قال : قال لى أبى : يا بنى ، إنى قد كبرت ، وذهب أصحابى وحان منى ، فَخُذْ بيدي ، فأخذت بيده حتى جئت إلى البقيع ، فجئت أقصى البقيع مكانا لا يدفن فيه ، فقال : يا بنى ، إذا هلكت فأخفر لى ههنا ، لا تبك على باكية ، ولا يضر بن على فسطاط ، ولا يمشى معى بنار ، ولا تؤذن أحدا ، واسلك بى زقاق عمقة ، وليكن مشيك بى خَبَبًا ، وفي رواية ثم اتسكأ على فأتى البقيع حيث لا يدفن أحد ، فقال : إذا مت فادفنى ههنا ، واسلك بى زقاق عمقة ، وزاد : ولا تبك على نائحة ، وأمشوا بى الخَبَبَ ، ولا تؤذنوا بى أحدا ، قال : فيأتينى الناس متى يخرج ، فأكره أن أخبرهم لما قال لى ، فأخرجته في صدر النهار ، فأتيت البقيع وقد ملئ ناسًا .

(١) جنيدة - هى بضم الجيم وسكون النون وضم الباء - شئ يشبه القبعة

بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة الشريفة

اعلم أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم - كما قال المطري - ممن توفى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده وافته مدفنون بالبقيع ، وكذلك سادات أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وسادات التابعين .

وفي مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف ، وباقيهم تفرقوا في البلدان .

وقال المجد : لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة ، غير أن اجتناب السلف الصالح من المبالغة في تعظيم القبور وتخصيصها أفضى إلى انطاس آثار أكثرهم ، فلذلك لا يعرف قبر معينين منهم إلا أفرادا معدودة .

قلت : وقد اتبني عليها مشاهد : منها مشهد على يمينك إذا خرجت من باب البقيع قبلي المشهد المنسوب لعقيل بن أبي طالب وأمهاث المؤمنين ، تحوى العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحسن بن علي ، ومن تقدم ذكره معه ، وعليهم قبة شائخة في الهواء ، قال ابن النجار : وهي كبيرة عالية قديمة البناء وعليها بابان يفتح أحدهما في كل يوم ، ولم يذكر الذي بناها ، وقال المطري : بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضيء .

قلت : وفيه نظر ؛ لأن الناصر هذا كان معاصرا لابن النجار ؛ لأنه توفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ووفاته ابن النجار سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقد قال ابن النجار : إن هذه القبة قديمة البناء ، ووصفها بما هي عليه اليوم . ورأيت في أعلى محراب هذا المشهد : أمر بعمله المنصور المستنصر بالله ، ولم يذكر اسمه ولا تاريخ العمارة ، فلعله المنصور الذي هو ثاني خلفاء بني العباس ، لكنه لا يلقب بالمستنصر بالله ، ولم أر من جمع بين هذين اللقبين ، وعلى ساح قبر العباس أن الأمر بعمله المسترشد بالله سنة تسع عشرة وخمسمائة ، ولعل عمارة القبة قبله ، وقبر العباس وقبر الحسن مرتفعان من الأرض متسعان مُغشَّيانِ بألواح ملصقة

أبدعَ إصراق مصفحة بصفائح الصُّفْر مكوكة بمسامير على أبدع صفة
وأجمل منظر .

وينبغي أن يسلم زارهما على من قدمنا ذكر دفنه عندهما في قبر فاطمة والحسن
رضى الله تعالى عنهما ، وهناك قبور كثيرة لأمرء المدينة وأقاربهم من الأشراف
يدفنون بهذا المشهد .

وفي غربيه قبر ابن أبي الهيجاء وزير العميديين ، عليه بناء ، وقبر آخر يعرف
بابن أبي النصر عليه بناء أيضا .

وفي شرقي المشهد بعيداً منه حظيرتان في إحداهما الأمير جوبان صاحب
المدرسة الجوبانية ، وفي الأخرى بعض الأعيان ممن نقل إلى المدينة ، وإنما نهبت
على ذلك خوفاً من الالتباس على طول الزمان .

ومنها: مشهد في قبلة المشهد المنسوب لعقيل متصل به ، قال المطري : يقل :
إن فيه قبور أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن النجار - في القبور المعروفة في زمانه - ما لفظه : وقبور أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم وهن أربعة قبور ظاهرة ، ولا يعلم تحقيق مَنْ
فيها منهن .

قلت : باطن هذا المشهد كله أرض مستوية ليس فيها علامة قبور ، وكان
حظيراً مبدياً بالحجارة كما ذكره المطري ، فابتنى عليه قبّة الأمير بردبك المعمار
سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة .

ومنها: مشهد عقيل بن أبي طالب على ما ذكره ابن النجار ، وتبعه مَنْ بعده ،
قال : ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله الجواد بن جعفر الطيار ، كما قدمناه عنه في
قبر أبي سفيان بن الحارث ، مع بيان أن ذلك المشهد من دار عقيل ، وأن الذي
نقل دفنه هناك إنما هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأن عقيل مات
بالشام خلاف قول المطري إن المنقول دفنه في داره ، وجوزنا أن يكون نقل من

الشام إليها ، فينبغي السلام على الثلاثة المذكورين هناك ، وتقدم استجابة الدعاء عند زاوية الدار المذكورة .

ومنها : روضة بقرب مشهد عقيل ، يقال : إن فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، كذا قاله المجد ، وجعله مما يعرف في زمنه بالبقيع ، ولم أره في كلام غيره ، ولولا ذكره لمشهد سيدنا إبراهيم قبل ذلك لحملنا كلامه عليه ، وليس بقرب مشهد عقيل إلا القبة المتهدمة التي في غربي مشهد أمهات المؤمنين ، ولا يعرف من بها ، فلعلها مراده ، وأالقبة الآنى ذكرها في مشهد الإمام مالك رضى الله تعالى عنه في ركنه الشرقى الشمالى ، فإن كلا منهما يصح وصفها بالقرب من مشهد عقيل ، ثم تبين أن مراده الأولى التي في غربي مشهد أمهات المؤمنين ، فإن ابن جُبَيْر ذكر في رحلته روضة عقيل ، ثم روضة أمهات المؤمنين ، ثم قال : ويازأها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويلها روضة العباس بن عبد المطلب ، إلى آخره ، فهذا مأخذ المجد .

ومنها : مشهد سيدنا إبراهيم بن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبره على نعت قبر الحسن والعباس ، وهو ملصق إلى جدار المشهد القبلى ، وفي هذا الجدار شباك ، قال المجد : وموضع تربته يعرف ببيت الحزن ، يقال : إنه البيت الذى أوتت إليه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، والتزمت الحزن فيه بعد وفاة أبيها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

والمشهور ببيت الحزن إنما هو الموضع المعروف بمسجد فاطمة في قبلة مشهد الحسن والعباس ، وإليه أشار ابن جُبَيْر بقوله : وبلى القبة العباسية بيت لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ببيت الحزن ، يقال : إنه الذى أوتت إليه والتزمت الحزن فيه عند وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وفيه قبرها على أحد الأقوال كما قدمناه ، وأظنه في موضع بيت علي بن أبى طالب الذى كان اتخذ بالبقيع ، وفيه اليوم هيئة قبور .

وفي شامى قبر سيدنا إبراهيم بمشهده صورة قبرين حادثين لم يذكرهما ابن النجار ، ولا من تبعه ، إنما ذكروا ما قدمناه من كونه إلى جانب عثمان بن مظعون وأن عبد الرحمن بن عوف أوصى أن يدفن هناك ، وأنه ينبغي زيارتهما معه . قلت : وكذا كل من قدمنا ذكر دفنه هناك .

ومنها : مشهد صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم الزبير بن العوام ، على يسارك عند ما تخرج من باب البقيع ، وهو بناء من حجارة لا قبة عليه ، قال المطرى : وأرادوا عقد قبة صغيرة عليه فلم يتفق ذلك . ومنها : مشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وعليه قبة عالية ابتناها أسامة بن سنان الصالحى أحدُ أمراء السلطان السعيد صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة إحدى وستائة ، قاله المطرى ، قال الزين المراغى : ونقل أبو شامة أن البانى لها عز الدين سلمة .

قلت : ولم يذكر ابن النجار هذه القبة ، مع ذكره لقبة الحسن والعباس وسيدنا إبراهيم وغيرها مما كان فى زمنه ، وقد أدرك التاريخ الذى ذكره المطرى وبعده بكثير .

وبمشهد سيدنا عثمان قبر خلف قبره يقال : إنه قبر متولى عمارة القبة . وقد حدث فى زماننا أمام المشهد فى المغرب بناء مربع عليه قبو فيه امرأة كانت أم ولد لبعض بنى الجيعان توفيت بالمدينة الشريفة ، وإلى جانبه حظيرة فيها امرأة لبعض الأتراك ، وبين هذا البناء وبين المشهد أيضاً حظيرة أخرى بها أخت صاحبتنا قاضى الحرمين العلامة محيى الدين الحنبلى متع الله به .

ومنها : مشهد قاطمة^(١) بنت أسد أم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، على ما فيه مما تقدم فى ذكر قبرها ، وينبغى أن يسلم هناك على سعد بن معاذ لما سبق .

(١) وبالْبقيع فى آخر شامى مشهد عثمان رضى الله عنه قبة يزعم الناس أنها لحليمة السعدية مرضعة النبي (ص) ولم نر لتلك أصلاً (حسب الله)

ومنها : مشهد الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة
إذا خرجت من باب البقيع كان مواجهاً لك عليه قبة صغيرة وإلى جانبه في المشرق
والشام قبة لطيفة أيضاً ، لم يتعرض لذكرها المطري ومن بعده ، فيحتمل أن تكون
حادثة ، ويقال : إن بها نافعاً مولى ابن عمر .

مشهد مالك
ابن أنس
الأصبحي

وفي كلام ابن جبير عند ذكر المشاهد المعروفة في زمنه ما يؤخذ منه أن بين
مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين مشهد مالك تربة عن يمين مشهد سيدنا
إبراهيم ، وأنها تربة ابن لعمر رضى الله عنه اسمه عبد الرحمن الأوسط ، قال : وهو
المعروف بأبي شحمة ، وهو الذي جلدته أبوه الحدّ فرض ومات ، وما ذكره
ينطبق على القبة المذكورة .

ومنها : مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو كبير يقابل مشهد العباس في
المغرب ، وهو ركن سور المدينة اليوم من القبلة والمشرق ، بنى قبل السور ، فاتصل
السور به ، فصار بابه من داخل المدينة ، قال المطري : بنّاه بعض العبيديين من
ملوك مصر .

مشهد إسماعيل
ابن جعفر
الصادق

قلت : على باب المشهد الأوسط الذي أمامه الرحبة التي بها البئر التي يتبرك
بها حجر فيه أن حسين بن أبي الهيجاء عمّره سنة ست وأربعين وخمسة ، ولعل
المطري نسب ذلك لبعض العبيديين ؛ لأن ابن أبي الهيجاء كان من ورأيهم .
قال المطري : ويقال إن عرصة هذا المشهد وما حوله من جهة الشمال إلى
الباب كانت دار زين العابدين ، وبجانب المشهد الغربي مسجد صغير مهجور
يقال : إنه مسجد زين العابدين .

قلت : على يمين الداخل إلى المشهد بين الباب الأوسط والأخير حجر
منقوش فيه وقف الحديقة التي بجانب المشهد في المغرب على المشهد : وقفها ابن
أبي الهيجاء ، ونسبة المسجد الذي بطرف الحديقة بجانب المشهد لزين العابدين ،
وأن عرصة المشهد داره ، وأن بئر تلك يتداوى بها .

ويقال : إن ابنه جعفر الباقر سقط بها وهو صغير ، وزين العابدين يصلى ، فلم يقطع صلواته .

وفي كلام ابن شبة ما يصلح أن يكون مستنداً في نسبة تلك العرصة لزين العابدين ؛ لذكره داراً تقرب من وصفها ، ونسبها لولده ، فقال : واتخذت صفية بنت حُبي دارَ زيد بن علي بن حسين بن علي ، وقد صارت دارين ، وهما جميعاً دار واحدة ، بنى زيد بن علي شقها الشرقي الذي يلي البقيع ، وبنى آل أبي سويد الثقفي شقها الغربي الذي يلي دار السائب مولى زيد بن ثابت ، فيحتمل أنه نسبها لولده لكونه بناها وكانت لأبيه ، وقال أيضاً : واتخذ جعفر بن أبي طالب داراً بين دار أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع وبين دار أسماء بنت عميس التي في شامي دار أبي رافع تحت سقيفة محمد بن زيد بن علي بن حسين . وبين ابن شبة أن دار أبي رافع ناقل بها سعد بن أبي وقاص أبا رافع فدفع لأبي رافع داره بالبقال .

وقد تقدم ذكر الشارع الذي يخرج إلى البقال في قبور أمهات المؤمنين ، وأنه في غربي المشهد المعروف بهن ؛ لما سيأتي في ترجمة البقال ، وقد جدد مسجد زين العابدين سنة أربع وثمانين وثمانمائة .

وأما المشاهد المعروفة بالمدينة في غير البقيع فثلاثة :

أحدها : مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضى الله تعالى عنه . وسيأتي ذكره مع شهداء أحد في الفصل بعده ، وعليه قبة عالية حسنة مُتقنة ، وبابه مصفح كله بالحديد . بنته أم الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضي ، كما قاله ابن النجار ، وذلك في سنة تسعين وخمسمائة ، قال : وجعلت على القبر ملبناً من ساج ، وحوله حصباء ، و باب المشهد من حديد ، يفتح كل يوم خميس ، وقريب منه مسجد يذكُر أنه موضع مقتله ، انتهى .
(١٠ - وفاء الوفا ٣)

وتبعه عليه من بعده . ووصفه القبر بأن عليه ملبن خشب ، يعني أنه كهيئة قبر سيدنا إبراهيم ، فإنه عبر فيه بذلك أيضاً ، وقبر سيدنا إبراهيم على ذلك الوصف اليوم ، وكذلك الحسن والعباس .

وأما قبر حمزة فإنه اليوم مبنيٌ مَجَصَّصٌ بالقَصَّة لا خشب عليه ، وفي أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » هذا مَصْرَعُ حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ، ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، عمَّره العبدُ الفقير إلى رحمة ربه حسين بن أبي الهيثم ، غفر الله له ولوالديه سنة ثمانين وخمسمائة ، انتهى .

وهذا قبل عمارة أم الناصر بعشر سنين ، وابن النجار إنما قدم المدينة بعد ذلك ؛ لأنه ألف كتابه سنة مجاورته بها ، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، فقتضى ذلك أن ابن النجار أدرك القبر وهو بهذه الهيئة من الكتابة ، وقد صرح بخلافها ، وأيضاً فالتعبير في تلك الكتابة بِمَصْرَعِ حمزة وتصديره بالآية دليل الخطأ في إثبات ذلك المسن هناك ، فانصوب أن ذلك المسن كان بالمسجد المعروف اليوم بالمصرع ، وكأنه لما تهدم نقل إلى المشهد لقربه منه ، ثم لما تكسر الخشب الذي ذكر ابن النجار أنه كان على القبر بنوا القبر على هذه الهيئة ، وظنوا أن ذلك المسن لوضعه بالمشهد يتعلق به ، فأثبتوه بالقبر . ويؤيد ذلك أن نسبة عمارة القبة لأم الخليفة في التاريخ المذكور موجودة اليوم بالكتابة الكوفية نقشاً في جدار المشهد بالحصص ، واقتلع الشجاعى شاهين شيخ الحرم المسن المذكور وأعادته إلى محله بالمصرع ، ومقتضى ما سبق عن ابن النجار ومن تبعه أن أم الخليفة الناصر لدين الله هي أول من اتخذ المشهد المذكور على سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه ، وسيأتي في الفصل بعده عند ذكر قبر حمزة رضى الله تعالى عنه عن عبد العزيز بن عمران أنه كان على قبر حمزة قديماً مسجداً ، وذلك في المائة الثانية ، فكان أم الخليفة وسعته وجعلته على

هذه الهيئة الموجودة اليوم ، وقد زاد فيه سلطان زماننا الأشرف قايتباي أعز الله نصره زيادةً من جهة المغرب أدخل فيها البئر التي كانت خارجة في غربيه ، واتخذ هناك أخليّة لمن يريد الطهارة ، وجعل بعضها بالسطح ، فعمّ النفع بذلك ، واحتفر بئراً خارجةً بجهة المغرب أيضاً يرتفق بها المارة ، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة تسعين وثمانمائة على يد الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الحرم الشريف النبوى ، وشاد عمّاره ، عظم الله شأنه .

واعلم أن القبر الذى بالمشهد عند رجلى سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه قبر رجل تركى اسمه سنقر ، كان متولى عمارة المشهد ، والقبر الذى بصحن المسجد قبر بعض أمراء المدينة من الأشراف ، فلا يظن أنهما من قبور الشهداء رضوان الله عليهم ، وسيأتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه أنه ينبغى أن يسلم معه على مُصعب ابن عمير وعبد الله بن جحش ؛ لما سيأتى فيه .

مشهد مالك بن
سنان الخدرى

ثانيها : مشهد مالك بن سنان ، والد أبى سعيد الخدرى ، فى غربى المدينة ملاصقاً للسور ، وسيأتى ما جاء فيه فى الفصل بعده ، وعليه قبة قديمة البناء بها محراب ، وعن يمينه باب خزانة صغيرة فيها بناء أصغر من صفة القبور يظن الناس أنه محل القبر ، والظاهر أن القبر بالقبة المذكورة ، لما سيأتى فى ذكر من قيل إنه نقل من شهداء أحد من قول ابن أبى فديك إنه بالمسجد الذى عند أصحاب العباء فى طرف الحنّاطين ، لكن فى رواية ابن زباله أنه دفن عند مسجد أصحاب العباء : أى الذين يبيعون العبي ، وذلك المحل من سوق المدينة القديم .

مشهد
النفس الزكية

ثالثها : المشهد المعروف بالنفس الزكية ، وهو السيد الشريف الملقب بالمهدى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضوان الله تعالى عليهم ، قتل فى أيام أبى جعفر المنصور ، وهذا المشهد شرقى جبل سلع ، وعليه بناء كبير بالحجارة السود ، قصدوا أن يبنوا عليه قبة فلم يتفق ، وهو داخل مسجد كبير مهجور ، وفى قبلة المسجد منهل من عين الأزرق مدرج من شرقيه وغربيه .

والعين تجرى في وسطه ، وتقدم في سوق المدينة أن ابن زباله عبر عن ذلك
ببركة السوق ، ولعل ذلك المسجد هو المنسوب إلى الأعرج كما تقدم في مصلي
العيد .

وما ذكرناه من كون النفس الزكية بهذا المشهد ذكره المطري ومن تبعه ،
وهو المستفيض بين أهل المدينة ، لكنه مخالف لما ذكره سبط ابن الجوزي في
رياض الأفهام ، فإنه ذكر خروجه على المنصور بعد حبسه لأبيه وأقاربه ، فبايعه
كثير من الناس ، قال : فجهز إليه المنصور عيسى بن موسى عم المنصور في أربعة
آلاف ، فجاء ووقف على سلع وقال : يا محمد ، لك الأمان ، فصاح به : والله
ما تفوز ، والموت في عزٍّ خيرٌ من الحياة في ذل ، فاغتسل هو ومن بقي من أصحابه
وتحنطوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر وحملوا على عيسى وأصحابه ، فهزموا ثلاثاً ،
ثم تكاثروا عليهم فقتلوه ، وأتوا عيسى بن موسى برأس محمد . ووارت أخته
زينب وابنته فاطمة جسده بالبقيع ، وكان قتله عند أحجار الزيت ، وكان
معه ذو الفقار سيفُ علي رضي الله تعالى عنه ، فأخذه عيسى بن موسى ، ثم انتقل
إلى الرشيد .

قال الأصبغي : أنا رأيته ، وفيه ثمانى عشرة فقارة ، اه .

وقال محمد - أعنى النفس الزكية - في يوم قتلهم لعبد الله بن عامر السلمي :
تعبنا سحابة ، فإن أمطرنا ظفرونا ، وإن تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمي عند أحجار
الزيت ، قال عبد الله : فوالله لقد أظلمتنا سحابة فلم تمطرنا ، وتجاوزتنا إلى عيسى بن
موسى وأصحابه ، فظفروا ، وقتلوا محمداً ، ورأيت دمه عند أحجار الزيت ،
وبسبب محمد هذا ضرب عيسى بن موسى الإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى
عنه ، فقل ذلك المقر بزي .

الفصل السابع

في فضل أحد والشهداء به

الأحاديث
الواردة في
فضل أحد

روينا في الصحيحين وغيرهما عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له : هذا جبل يحبنا ونحبه .

وفي رواية للبخاري بيان أن ذلك كان عند القدوم من خيبر ، ولفظ رواية ابن شبة عنه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فلما بدا لهم أحد قال ، الحديث .

وفي رواية له عن سويد الأنصاري قال : قفمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر ، فلما بدا له أحد قال : الله أكبر ، جبل يحبنا ونحبه .

ورواه أحمد والطبراني برجال الصحيح إلا عقبه بن سويد ، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا .

وفي فضائل المدينة للجندی عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « طلع أحدا فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه » وفي رواية له « طلع علينا أحدا » وفي رواية

أخرى للبخاري أن ذلك كان في رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحج . وفي رواية عن أبي حميد الساعدي قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، فلما أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابئة ، وهذا أحد ،

جبل يحبنا ونحبه » ورواه ابن شبة أيضا .

وفي رواية له قال : أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من منزله ، حتى إذا كنا بغرابات نظر إلى أحد فكبر ثم قال « جبل يحبنا ونحبه ، جبل سائر ليس

من جبال أرضنا » . وروى أيضا بإسناد جيد عن أنى قلابة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم

إذا جاء من سفر فبدا له أحد قال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، ثم قال : آيئون نائبون ساجدون لربنا حامدون .

وروى أيضا عن أبي هريرة قال : لما قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر بدا لنا أحد ، فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، إن أحدا هذا لعلى باب من أبواب الجنة .

وروى الطبراني فى الكبير والأوسط عن أبي عبيس بن جبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحدٍ : هذا جبل يحبنا ونحبه ، على باب من أبواب الجنة ، وهذا غير جبلٍ يبعثنا ونبعثه ، على باب من أبواب النار .

وفى الأوسط - وفيه كثير بن زيد : تكلم فيه ، ووثقه أحد وغيره - من حديث أنس بن مالك مرفوعا « أخذُ جبلٍ يحبنا ونحبه ، فإذا جئتموه فكلُّوا من شجره ولو من عَصَاهُ » ورواه ابن شبة بلفظ « أحد على باب من أبواب الجنة ، فإذا مررتم به فكلُّوا من شجره ، ولو من عَصَاهُ » .

وروى أيضا عن زينب بنت نبيط ، وكانت تحت أنس بن مالك ، أنها كانت ترسل ولأئدها فتقول : اذهبوا إلى أحدٍ فأتوني من نباته ، فإن لم تجدن إلا عَصَاهَا فأتني به ، فإن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « هذا جبلٌ يحبنا ونحبه » قالت زينب : فكلُّوا من نباته ولو من عَصَاهُ ، قال : فكانت تعطينا منه قليلا قليلا فتمضغه .

وعن رافع بن خديج قال : نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُخْتَشَّ أحدٌ إلا يوما بيوم .

وعن داود بن الحصين مرفوعا « أحدٌ على ركنٍ من أركان الجنة ، وغير على ركنٍ من أركان النار » .

وعن إسحاق بن يحيى بن طلحة مرسلا رفعه « أحد وورقان وقدس ورضوى من جبال الجنة » .

وروى أبو يعلى والطبراني فى الكبير عن سهل بن سعد مرفوعا « أحد ركنٍ من أركان الجنة » .

وفي السكبير أيضاً عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أربعة أجيال من أجيال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم
من ملاحم الجنة ، قيل : فما الأجيال ؟ قال : أحد يحبنا ونحبه جبل من جبال
الجنة ، وورقان جبل من جبال الجنة ، والطور جبل من جبال الجنة ، ولُبْنَانُ جبل
من جبال الجنة ، والأنهار الأربعة النيلُ والفُرَاتُ وسَيْحَانُ وَجَيْحَانُ ، والملاحم
بَدْرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ وَحُنَيْنٌ . »

ورواه ابن شبة مختصراً ، وروى عن أبي هريرة نحوه ، وقال فيه : وسكت
عن الملاحم ، وعن أبي هريرة أيضاً قال : خير الجبال أحد والأشعر وورقان .
ونقل الحافظ ابن حجر اختلاف الروايات في الأَجْبُلِ التي بنى منها البيت
الحرام ، وفي بعضها أنه أسس من ستة أجيال : أبي قبيس ، والطور ، وقدس ،
وورقان ، ورضوى ، وأحد .

وروى ابن شبة عن أنس بن مالك مرفوعاً « لما تجلّى الله عز وجل للجبل
طارت لعظمته ستة أجيال ، فوَقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ، وقع بالمدينة أحد
وورقان ورضوى ، ووقع بمكة حِراءُ وَثَبِيرٌ وَثَوْرٌ . »

قال أبو غسان راويه : فأما أحد فبناحية المدينة على ثلاثة أميال منها في
شاميا ، وأما ورقان فبالروحاء من المدينة على أربعة بُرْد ، وأما رَضْوَى فببينبع
على مسيرة أربع ليال ، وأما حِراءُ فبمكة وَجَاهُ بئر ميمون ، وَثَوْرٌ أسفل مكة هو
الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غاره .

قلت : ولم يبين ثبيرا ، وما ذكره من المسافة إلى أحد يقرب مما حررته ،
فإني ذَرَعْتُ ما بين عتبة باب المسجد النبوي المعروف بباب جبريل وبين المسجد
الملاصق لجبل أحد المعروف بمسجد الفتح فكان ذلك ثلاثة أميال وزيادة خمسة
وثلاثين ذراعا ، وأما ما بين باب المدينة المعروف بباب البقيع وبين أول جبل أحد
ففيلان وأربعة أسباع ميل يزيد يسيراً ، وبين باب البقيع ومشهد سيدنا حمزة

ميلان وثلاثة أسباع ميل وخمس سبع ميل ، وأذرع يسيرة ، وقد علم بذلك التسامح الذى فى قول النووى فى تهذيبه : أحد بجانب المدينة على نحو ميلين ، وكذا قول المطرى ومن تبعه : بين مشهد حمزة والمدينة ثلاثة أميال ونصف أو ما يقارب به ، وإلى جبل أحد نحو أربعة أميال ، وقيل : دون الفرسخ ، انتهى .
وقال السهيلي : سمي هذا الجبل أحدا لتوحدته وانقطاعه عن جبال أخرى هناك ، ولما وقع من أهله من نصر التوحيد .

وجه تسمية
أحد وجه

وللعلماء فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « يحبنا ونحبه » أقوال :
أحدها : أنه على حذف مضاف ، أى أهل أحد ، وهم الأنصار ؛ لأنهم جيرانه .

ثانيها : أنه للمسرة بلسان الحال ؛ لأنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم بالقرب من أهله ، وذلك فعل الحب .

ثالثها : أن الحب من الجانبين على الحقيقة ، وأنه وضع فيه الحب كما وضع فى الجبال المسبحة مع داود ، وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها (وإن منها لما يهبط من خشية الله) سيما وقد جاء أنه طار من الجبل الذى تجلى الله عز وجل له كما سبق ، وهذا الثالث هو الذى صححه النووى ، وقال الحافظ ابن حجر : إن الظاهر أن ذلك لكونه من جبال الجنة ، كما ثبت فى حديث أبى عبس بن جبر مرفوعا « جبل أحد يحبنا ونحبه ، وهو من جبال الجنة » أخرجه أحمد ، ولا مانع فى جانب الجبل من إمكان المحبة ، كما جاز التسبيح منها ، وقد خاطبه صلى الله عليه وسلم مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب « استكن أحد » الحديث .
وقال الحافظ المنذرى : قال البغوى : الأولى إجراء الحديث على ظاهره ، ولا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء وأهل الطاعة كما حنت الأسطوانة لمفارقة صلى الله عليه وسلم حتى سمع القوم حنينها ، وكما أخبر أن حجرا كان يسلم عليه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي ؛ فلا ينكر أن يكون جبل أحد وجميع أجزاء

المدينة تحبه وتحنّ إلى لقائه ، قال المنذرى : وهو جيد .
قلت : ويرجحه قوله في الحديث المتقدم « فإذا جئتموه فكلوا من شجره »
فإن عبرا يجاوره أهل قباء ، ويظهر للقدام من جهة مكة قبل أحد ، بل ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء .

وقال السهيلي : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ، والاسم
الحسن ، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحادية ، ومع ذلك فخر كاته الرفع ،
وذلك مشعر بارتفاع دين الأحد ، فتعلق الحب به من النبي صلى الله عليه وسلم لفظا
ومعنى ، فخص بذلك .

وليضاف إليه أن المحبة لما تعلقت من الجانبين ، وكان المرء مع من أحب ،
كان هذا الجبل معه صلى الله عليه وسلم في الجنة إذا بُسَّت الجبال أسا .

وأيضاً لما انقسم أهل المدينة إلى محب مَوْحِدٍ وهم المؤمنون وإلى منافق
مبغض وهم الجاهلون الجاحدون كأبي عامر الراهب وغيره من المنافقين ، وكانوا
ثلث الناس يوم أحد رجعوا مع ابن أبي ولم يحضروا أحداً ؛ انقسمت بقاع المدينة
كذلك ، فجعل الله تعالى هذا الجبل حبيباً محبوباً كمن حضر به ، وجعله معه
في الجنة ، وخصه بهذا الاسم ، وجعل عبراً مبغوضاً إن صح الحديث فيه ، وجعل
بجهته المنافقين من أهل مسجد الضرار فرجعوا من جهة أحد إلى جهته فكان
معهم في النار ، وخصه باسم العير الذي هو الحمار المذموم أخلاقاً وجهلاً ، والله أعلم .
وروى ابن شبة كما سبق في سكنى اليهود بالمدينة عن جابر بن عبد الله
صرفوعاً : خرج موسى وهرون عليهما السلام حاجين أو معتمرين ، حتى إذا قدما
المدينة خافا اليهود فزلا أحداً وهرون مريضاً ، فحفر له موسى قبراً بأحد ، وقال :
يا أخى ادخل فيه فإنك ميت ، فدخل فيه ، فلما دخل قبضه الله ، فحسناً موسى
عليه التراب .

زعموا أن هرون مدفون بأحد
قلت : بأحد شعب يعرف بشعب هرون ، يزعمون أن قبر هرون عليه السلام في أعلاه ، وهو بعيد حسا ومعنى ، وليس ثم ما يصلح للحفر وإخراج التراب . وفي أعلى أحد بناء اتخذه بعض الفقراء قريبا والناس يصعدون إليه ، ولم يرَ دُ تعيينُ المحل الذي صعده النبي صلى الله عليه وسلم من أحد ، نعم وَرَدَ صَلَاتُهُ بالمسجد الملاصق به المعروف بمسجد الفتح كما سبق في المساجد .

مزامع في مواضع من جبل أحد
وقال ابن النجار : وفي جبل أحد غار يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم اختفى فيه ، ومسجد يذكرون أنه صلى فيه ، وموضع في الجبل أيضاً منقور في صخرة منه على قدر رأس الإنسان يذكرون أنه صلى الله عليه وسلم قعدَ - يعني على الصخرة التي تحته - وأدخل رأسه هناك ، كل هذا لم يرد به نقل فلا يعتمد عليه .

قلت : أما المسجد فقد ثبت النقل به من رواية ابن شبة كما سبق ، لسكن لم يقف عليه ابن النجار .

وأما الغار فقال المطري : إنه في شمالي هذا المسجد ، والموضع المنقور والصخرة التي تحته بقرب المسجد ، وروى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل الغار بأحد .

وسياتي في ترجمة المهراس قول ابن عباس : ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، إنما كان تحت المهراس ، ومقتضاه أن الغار بعد المهراس ، وسياتي في ترجمة شعب أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى يوم أحد إلى فم الشعب وأسند فيه .

قال ابن هشام : وبلغني عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب ، انتهى . وكان من بناها ظن أن الصخرة التي نهض النبي صلى الله عليه وسلم ليعلوها ، وجلس له طلحة بن عبيد الله كانت هناك ، ولهذا أورده ابن هشام عند ذكرها .

وروى يحيى أنه لما انكشف الناس يوم أحد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُضْعَب بن عمير فقال (من المؤمنين رجال) إلى قوله (وما بدلوا تبديلا) اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، فاتوهم وساموا عليهم ، فلن يسلم عليهم أحدا ما قامت السموات والأرض إلا ردوا عليه ، ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفاً آخر فقال : هؤلاء أصحابي الذين أشهد لهم يوم القيامة ، فقال أبو بكر : فما نحن بأصحابك ؟ فقال : بلى ، ولكن لا أدري كيف تكونون بعدى ، إنهم خرجوا من الدنيا ختماً .

ورواه الثعلبي المفسر إلا أنه قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد مرَّ على مُضْعَب بن عمير ، فوقف عليه ، ودعاه ، ثم قرأ ، وذكر الآية وما بعدها بنحوه ، إلى قوله ثم وقف .

وروى أبو داود والحاكم في صحيحه حديث « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خُضْرُ ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب مُعلّقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب ما كلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : مَنْ يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لثلاً يزهدوا في الجهاد ولا يكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأُنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) الآية » .

وفي صحيح البخارى حديث « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض » .

وروى ابن شبة وأبو داود عن طلحة بن عبيد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء ، حتى إذا أشرفنا على حرّة واقم ، فلما تدلينا منها فإذا قبور بمحنية ، فقلنا : يا رسول الله ، أقبور إخواننا هذه ؟ قال : قبور أصحابنا ، فلما جئنا قبور الشهداء قال : هذه قبور إخواننا .

وروى ابن شبة عن عباد بن أبي صالح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يأتي قبور الشهداء بأحد على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبي الدار ، قال : وجاءها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، رضى الله تعالى
عنهم ، فلما قدم معاوية بن أبي سفيان حاجا جاءهم ، قال : وكان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا واجه الشعب قال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين .
وعن أبي جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزور
قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ترمه وتصلحه ، وقد تعلمته بحجر .

زيارة النبي
وخلقائه قبور
الشهداء على
رأس كل حول

وروى رزين عنه أن فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت تزور قبور الشهداء
بين اليومين والثلاثة .

ورواه يحيى بنحوه عن أبي جعفر عن أبيه على بن الحسين ، وزاد : فتصلى
هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت .

وروى الحاكم عن على رضى الله تعالى عنه أن فاطمة كانت تزور قبر عمها
حمزة كل جمعة فتصلى وتبكي عنده .

وروى ابن شبة عن ابن عمر أنه قال : من مر على هؤلاء الشهداء فسلم عليهم
لم يزالوا يردون عليه إلى يوم القيامة .

وروى يحيى عن العطف بن خالد قال : حدثتني خالة لى - وكانت من
العوابد - قالت : ركبت يوماً معي غلام حتى جئت إلى قبر حمزة ، فصليت
ما شاء الله ، ولا والله ما فى الوادى دأع ولا مجيب يتحرك ، وغلامي قائم آخذ
برأس دابتي ، فلما فرغت من صلاتي قمت فقلت : السلام عليكم ، وأشرت بيدي
فسمعت رد السلام على من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله خلقنى ،
واقشعرت كل شعرة منى ، فدعوت الغلام فقلت : هات دابتي ، فركبت .

وروى البيهقي فى الدلائل من طريق العطف بن خالد عن عبد الأعلى بن
عبد الله بن أبي فروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « زار قبور الشهداء

بأحد ، فقال : اللهم إن عبدك ونيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، وأنهم من زارهم أو سلم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه .

وقال العطف : وحدثتني خالتي أنها زارت الشهداء فسلمت عليهم ، فسمعت رد السلام ، وقالوا : والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا ، قالت : فاقشعررتُ . وذكر البيهقي أيضا رواية يحيى ، وأن الواقدي قال : كانت فاطمة الخزاعية تقول : لقد رأيتني وغابت الشمسُ بقبور الشهداء ومعى أخت لي ، فقلت لها : تعالني نسلم على قبر حمزة ، فوقفنا على قبره ، فقلنا : السلام عليكم يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعنا كلاما رد علينا : وعليكم السلام ورحمة الله ، قالت : وما قرُبنا أحد من الناس .

ثم روى البيهقي عن هاشم بن محمد العمري من ولد عمر بن علي قال : أخذني أبي بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء في يوم الجمعة بين الفجر والشمس ، فكنت أمشي خلفه ، فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته فقال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ، قال : فأجيب وعليك السلام يا أبا عبدالله ، فالتفت أبي إلي فقال : أنت الحبيب ؟ فقلت : لا ، فجعلني على يمينه ، ثم أعاد السلام ، ثم جعل كلما سلم يُرد عليه ، حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فخرَّ ساجدا شكرا لله تعالى .

وقد تقدم في غزوة أحد أن الذين أكرمهم الله بالشهادة يومئذ سبعون رجلا ، تسمية شهداء
أحد
وقيل : أكثر ، وقيل : أقل ، وقد سرد ابن النجار أسماءهم فتبعته ليسلم عليهم من شاء بأسمائهم ، فقال : حمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله بن جحش ، ومضعب ابن عمير ، وشماس بن عثمان ، هؤلاء الأربعة من المهاجرين .

ومن الأنصار : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمار بن زياد بن السكك ، وساه بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، وثابت بن وقش ، ورفاعة بن وقش ، وحُسَيل بن جابر ، وهو اليان أبو حذيفة ، وصيفي بن قيظي بن عمرو ، والحباب بن قيظي ، وعباد بن سهل ، والحارث بن

أوس بن مُعَاذ ، وإياس بن أوس بن عَتِيك ، وعبيد بن التيهان ، ويقال عتيك ،
وحبيب بن زيد بن تيم ، ويزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ، وأبو سفيان بن
الهارث بن قيس بن زيد ، وأنيس بن قَتَادَة ، وحَنْظَلَة النَسِيل ابن أبي عامر ،
وأبو حبة بن عمرو بن ثابت أخو سعد بن خيثمة لأمه ، وعبيد الله بن جبير بن
النعمان ، وخَيْثَمَة أبو سَعْد بن خيثمة ، وعبد الله بن مسامة ، وسبيع بن حاطب بن
الهارث ، وعمرون قيس بن زيد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر
ابن مخلد ، وأبو هيبيرة بن الهارث بن علقمة ، وعمرو بن مطرف بن علقمة ، وأوس
ابن ثابت بن المنذر أخو حَسَّان بن ثابت ، وأنس بن النضر ، وقيس بن مخلد ،
وكيسان مولى بنى النجار ، وسليم بن الهارث ، ونعمان بن عبد عمرو ، وخارجة
ابن زيد ، وسعد بن الربيع ، وأوس بن الأرقم بن زيد ، ومالك بن سِنَان والد
أبي سعيد الخدري ، وسعد بن سُوَيْد بن قيس ، وعلمبة بن ربيع بن رافع ، وثلعبية
ابن سعد بن مالك ، ونقيب بن فروة بن البدن ، وعبد الله بن عمرو بن وهب ،
وضَمْرَة الجهني حليف لبني طَرِيف ، ونَوْفَل بن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن نضلة
ونعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمخدر بن زياد ، وعُبَادَة بن الحَسَّاس ، ورفاعة بن
عمرو ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام ، وعمرو بن الجَوْح ، وابنه خلاد ، وأبو أيمن
مولاد ، وعبيدة بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنتره ، وسَهْل بن قيس بن أبي
كعب ، وذَكْوَان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلّى بن لوذان ، ومالك بن نميلة ،
والهارث بن عدى بن خرشة ، ومالك بن إياس ، وإياس بن عدى ، وعمرو
ابن إياس .

فهؤلاء الشهداء السعداء الذين صدّقوا القتال بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم وقالوا وقتلوا ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ولنذكر ما علمناه من خبر قبورهم وتعيينها ، فنقول :

سيد الشهداء
حمزة بن
عبد المطلب
ومصرعه

قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذكر أنه معه
أخرج البخاري أن وَحْشِيًّا قال في خبر : فلما خرج الناس عام عنين ، وعينين
جبل بحمال أحد بينه وبينه وادٍ ، خرجتُ مع الناس إلى القتال ، فلما أن اصطفوا
للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب
فقال : ياسباع يا ابن أم أثمار مُقطعة البطور ، أتحدُّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟
ثم شدَّ عليه فكان كأمسٍ الذاهب ، قال : وكنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا
منى رميته بجررتي فأضعها بين يديه حتى خرجتُ من بين وركيه ، فكان ذلك
[آخر] العهد به ، ثم ذكر بحبيبه للنبي صلى الله عليه وسلم - يعني لما أسلم - وقوله له : أنت
قتلت حمزة ؟ قال : قلت : قد كان من الأمر ما بلغك ، قال : فهل تستطيع أن
تُغيَّب وجهك عنى ؟

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة رضى الله تعالى عنه ، وقد
مُثل به ، جُدِعَ أنفه وأذناه وُبقر بطنه عن كبده ، فقال صلى الله عليه وسلم :
« لوَلا أن تحزَنَ صفيية ويكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون في بطون السباع
وحواصل الطير ، لَنَ أصابَ بمثلك أبدأ ، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلى من
هذا ، ثم قال : جاءني جبريلُ وأخبرني أن حمزة مكتوبٌ في أهل السموات
السَّبْعِ » حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله « وأمر به النبيُّ صلى الله
عليه وسلم فسجىَ بِبُرْدَةٍ ثم صلى عليه فكَبَّرَ عليه سبعين ودفنه .

واختلاف الروايات في الصلاة على شهداء أحدٍ مشهور ، والذي في الصحيح
عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانَ يَجْمَعُ بين الرجلين
من قَتلى أحد في الثوب الواحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذًا للقرآن ؟ فإذا
أشير له إلى أحدٍ قدَّمه في اللحد ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يُصلِّ عليهم
ولم يغسلوا .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز عن ابن سميان عن الأعرج قال : لما قُتِلَ
حمزة رضى الله تعالى عنه أقام في موضعه تحت جبل الرِّمَّاة ، وهو الجبل الصغير

الذى ببطن الوادى الأحمر ، ثم أمر به النبي صلى الله عليه وسلم فحمل عن بطن الوادى إلى الرَبْوَةِ التى هو بها اليوم ، وكفنه فى بردة ، وكفن مصعب بن عمير فى أخرى ، ودفنهما فى قبر واحد

قال عبد العزيز : وسمعت مَنْ يذكر أن عبد الله بن جَحْش بن رثاب قتل معهما ، ودفن معهما فى قبر واحد ، وهو ابن أخت حمزة أمه أميمة بنت عبد المطلب .

قال عبد العزيز : والغالب عندنا أن مُصْعَب بن عُمَيْر وعبد الله بن جَحْش دفنا تحت المسجد الذى بنى على قبر حمزة ، وأنه ليس مع حمزة أحدٌ فى القبر . قلت : ينبغى أن يُسَلَّم عليهما مع حمزة بمشده ؛ لأنهما إن لم يكونا معه فبقربه ، ولعل المشهدَ اليوم أوسعُ من ذلك المسجد ، وسبق فى المساجد ذكْرُ المسجد الذى بمَصْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، والمسجد الذى فى جهة قبيلته بطرف جبل الرَّمَاة ، وما جاء فيهما .

قبر عمرو بن الجُمُوح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام والِد جابر بن عبد الله ، ومَنْ ذكر معهما .

عمرو بن
الجُمُوح
وعبد الله بن
عمرو بن حرام

روى مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعَة أنه بلغه أن عمرو بن الجُمُوح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام الأنصاريين ثم السَّامِيِّين كانا فى قبر واحد ، وكانا ممن استشهد يوم أحد ، وكان قبرهما مما يلي السيل ، فحفر عنهما ليغيرا عن مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جُرح فوضع يده على جرحه ، فدفن وهو كذلك ، فأميّط يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين يومٍ وأحدٍ يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة .

وقال مالك : إن عمرو بن الجُمُوح وعبد الله بن عمرو كفنوا فى قبر واحد وقبر واحد ، رواه ابن شبة ، ثم روى بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضى الله

تعالى عنه قال : دُفِنَ مع أبي رجلٍ يومَ أحدٍ في القبرِ فلمَ تَطِيبُ نفسى حتى أخرجته فدفنته على حِدَةٍ .
قلت : يحتمل أن سبب الإخراج ما تقلِّم من أمر السيل ، ووافق ذلك ما فى نفس جابر ؛ فتكون القصة واحدة ، لكن روى البخارى فى صحيحه خبرَ جابر مطولا ، وفيه ما لفظه « قال : ودفنت معه آخر فى قبره ، فلم تَطِيبُ نفسى أن أتركه مع أحد ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته غير هنية عند أذنه » .

فقوله « بعد ستة أشهر » يقتضى أن ذلك ليس هو قصة أمر السيل ؛ لأن المدة فى تلك ست وأربعون سنة .

وروى ابن شبة عن جابر أيضا قال : صرخ بنا إلى اقتلانا يومَ أحدٍ حين أجرى معاوية العين ، فأتيناهم فأخرجناهم رطاباً تنثنى أجسادهم ، قال سعيد بن عامر أحدُ رواته : وبين الوقتين أربعون سنة .

وقال ابن إسحاق : حدثنى أبى عن رجال من بنى سَلَمَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - حين أصيب عمرو بن الجوح وعبد الله بن عمرو يوم أحد - أجمعوا بينهما ؛ فإنهما كلنا متصافيين فى الدنيا ، قال أبى : فحدثنى أشياخ من الأنصار قالوا : لما ضرب معاوية عينه التى مرت على قبور الشهداء استضرخنا عليهم ، وقد انفجرت العين عليهما فى قبورهما ، فحُثْنَا فأخرجناهما وعليهما بردتان قد غطى بهما وجوههما ، وعلى أقدامهما شئ من نبات الأرض ، فأخرجناهما يثنيمان ثنيا كأنهما دُفِنَا بالأمس ، نقله البيهقى فى دلائل النبوة .

وعن جابر من حديث طويل قال : فبينما أنا فى النظائر إذ جاءت عمى بأبى وخالتى عادتهما على ناضح ، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا إذ لحق رجل ينادى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمركم أن ترجعوا بالقتلى ، فيدفنوا فى مصارعهم حيث قتلوا ، فرجعناهما ، فدفنناهما حيث قتلا ، فبينما أنا فى خلافة

معاوية بن أبي سفيان إذ جاء في رجل فقال : يا جابر ، لقد أثار أباك عمالُ معاوية ، فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتال ، فواريته ، الحديث ، رواه أحمد برجال الصحيح خلا نبیح الغنوي وهو ثقة .

قلت : فهذه قصة الثالثة ؛ فيؤخذ من مجموع ذلك أن جابراً حفر عن أبيه ثلاث مرات :

الأولى : لعدم طيب نفسه بدفنه مع غيره ، ولعله استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فأذن له ؛ لما يترتب عليه من ظهور ما يشهد حياة الشهداء وسلامة أبدانهم ، وكان دفنهم مجتمعين للضرورة في ذلك اليوم ، أو فهم جابر جواز ذلك عند زوال تلك الضرورة واتساع الوقت ففعله ، وكأنه لما أخرجه دفنه بإزاء قبر صاحبه وصهره محافظةً على القرب من مصرعه ، فقد جاء الأمر بدفنهم في مصارعهم .

والثانية : لما أجرى معاوية رضى الله تعالى عنه العين ، وكان في ذلك أيضاً ظهور المعجزة بحياة الشهداء ، فقد أسند ابن الجوزي في مشكله عن جابر قال : صرخ بنا إلى قتلنا يوم أحد حين أجرى معاوية رضى الله تعالى عنه العين ، فأخرجناهم بعد أربعين سنة تثنى أطرافهم لينة أجسادهم ، وفي بعض طرقه : كأنهم نُومٌ ، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة بن عبد المطلب فانبعث دم .

والثالثة : لحفر السيل عنه وعن صاحبه .

وقد روى الواقدي أن قبرهما كان مما يلي السيل ، فحفر عنهما وعليهما نمرتان ، وعبدُ الله قد أصابه جرح في يده فيده على جرحه فأميطت يده عن جرحه فانبعث الدم ، فردت إلى مكانها فسكن الدم ، قال جابر : فرأيت أبي في حفرته فكأنه نائم ، وبين ذلك ست وأربعون سنة .

قال : ويقال : إن معاوية لما أراد أن يُجرى الكظامة نادى مُناديه بالمدينة :

مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ بِأَحَدٍ فَلْيَشْهَدْ ، فُخْرِجِ النَّاسُ إِلَى قَتْلَاهُمْ ، فَوَجِدُوهُمْ رِطَابًا
يَتَثَنُونَ ، فَأَصَابَتِ الْمَسْحَاةَ رَجُلًا رَجُلًا مِنْهُمْ فَانْبَعَثَ دَمٌ ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ :
لَا يَنْكُرُ بَعْدَ هَذَا مَنْكُرٌ ، وَوَجَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَعَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ
فَنَقَلَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَنَاءَةَ كَانَتْ تَمُرُ عَلَى قَبْرِهِمَا ، وَلَقَدْ كَانُوا يَجْهَزُونَ التُّرَابَ لِحْفَرُوا
تَبْرَةً مِنْ تَرَابٍ فَاحَ عَلَيْهِمْ رِيحُ الْمَسْكِ .

قلت : وفيه مخالفة لما تقدم عن الصحيح ؛ لاختصاصه بقاءهما في قبر واحد
حتى كان إجراء العين ، وفي ذلك كله ظهور المعجزة ، وهو السر في تكرار ذلك .
وروى ابن شبة عن أبي قتادة قال : أتى عمرو بن الجُمُوحِ إلى رسولِ الله
صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إن قاتلتُ حتى أقتلَ في سبيلِ الله
تراني أمشي برجلي هذه في الجنة ؟ قال : نعم ، وكانت عَرَجَاءُ ، فقتل يوم أحد
هو وابن أخيه ، فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كَأَنِّي أُرَاكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ
هذه صحيحةً في الجنة ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما وبمولاها ففعلوا
في قبر واحد .

قال أبو غسان : قال الواقدي : مع عمرو في القبر خارجة بن زيد ، وسعد
ابن الربيع ، والنعمان بن مالك ، وعبد الله بن الحُسْحَاسِ ، قال أبو غسان : وقبرهم
مما يلي المغرب من قبر حمزة رضي الله تعالى عنه نحو خمسمائة ذراع .

قال : وأما ما يعرف اليوم من قبور الشهداء فقبر حمزة بن عبد المطلب ، وهو
في عُدُوَّةِ الْوَادِي الشَّامِيَةِ مِمَّا يَلِي الْجَبَلِ ، وَقَبْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرَامِ بْنِ جَابِرٍ وَمَعَهُ عَمْرٍو
ابن الجُمُوحِ أَيْ فِي الْمَوْضِعِ الْمَتَقَدِّمِ وَصَفِهِ ، وَقَبْرُ سَهْلِ بْنِ قَيْسِ بْنِ أَبِي كَعْبِ بْنِ
الْقَيْنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَوَادٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُوَ دَبْرُ قَبْرِ حَمْزَةَ شَامِيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ .
قال : فأما القبور التي في الحِطَّارِ بِالْحِجَارَةِ بَيْنَ قَبْرِ حَمْزَةَ وَبَيْنَ الْجَبَلِ فَإِنَّهُ
بَلَّغْنَا أَنَّهَا قُبُورُ أَعْرَابٍ أَقْحَمُوا زَمَانَ خَالِدٍ إِذْ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَاتُوا هُنَاكَ فَدَفَنَهُمْ ،
سُؤَالَ كَانُوا يَسْأَلُونَ عِنْدَ قُبُورِ الشَّهْدَاءِ .

قال : وقال الواقدي : هم ماتوا زمن الرمادة .
قلت : زمن الرمادة عام نجذب مشهور ، كان في خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه .

وأما زمن خالد فيعني به خالد بن عبد الملك بن الحارث ، كان والياً لهشام
ابن عبد الملك ففحط المطر في ولايته سمع سنين ، وفيها جلا الناس من بادية
الحجاز إلى الشام ، ولا يعرف اليوم من قبور الشهداء غير قبر حمزة رضي الله تعالى
عنه كما قاله ابن النجار .

قال : وأما بقية الشهداء فهناك حجارة مرصوفة يقال : إنها قبورهم .
قلت : ينبغي أن يسلم على بقيتهم عند قبر حمزة وفي غريبه وشاميه على
النحو المتقدم

وقال المطري ومتابعوه : وشمالى مشهد حمزة رضي الله تعالى عنه آرام من
حجارة يقال : إنها من قبور الشهداء ، ولم يثبت ذلك بنقل صحيح .
وقد ورد في بعض كتب المغازي أن هذه القبور قبور أناس ماتوا عام
الرمادة ، ولا شك أن قبور الشهداء رضي الله تعالى عنهم حول قبر حمزة ؛ إذ
لا ضرورة أن يبعدوا عنه ، انتهى .

قلت : قد تقدم النقل يبعد بعضهم عنه على نحو خمسمائة ذراع في المغرب ،
والمقتضى للبعد الأمر بدفنهم في مصارعهم ، والقبور التي قيل إنها ليست قبورهم
هي التي عليها حائر قصير من الأحجار قرب الجبل .

ذكر قبور من قيل إنه نقل من شهداء أحد ودفن بقبره

من دفن بالمدينة
من قتلى أحد

قال ابن إسحاق : وكان ناس من المسلمين قد احتملوا قتلاهم إلى المدينة
فدفنواهم بها ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال :
ادفنوهم حيث صرعوها .

وتقدم في فضل مقبرة بني سلمة ما روى من دفن بعض قتلى أحد بها ، منهم
أبو عمرو بن سكن .

وتقدم في فصل قبل هذا أن خُنَيْسَ بنَ حُدَافَةَ تأخرت وفاته فمات بالمدينة ،
ودفن عند عثمان بن مظعون .

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن عمران عن أبيه قال : نقلنا عبد الله بن
سامة والمخدر بن زياد فدفنهما بقباء .

وقال عبد العزيز : إن رافع بن مالك الزرقى قتل بأحد فدفن في بني زريق ،
قال : وقيل : إن موضع قبره في دار آل نوفل بن مساحق التي في بني زريق التي
في كتاب عروة .

وعن أبي سعيد الخدري قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل
من شهداء أحد إلى المدينة أن يدفنوا حيث أدركوا ، فأدرك أبي مالك بن سنان
عند أصحاب القباء فدفن ، ثم قال ابن أبي فديك : فقبره في المسجد الذي عند
أصحاب القباء في طرف الخناطين .

ورواه ابن زباله بنحوه ، إلا أنه قال : فوافوه بالسوق ، فدفن مالك عند
مسجد أصحاب القباء ، وهناك أحجار الزيت .

قلت : وقد قدمنا بيان مشهده في المشاهد ، ولكن روى الترمذي وقال
حسن صحيح عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كنا حملنا القتلى يوم أحد لندفنهم ،
فجاءنا منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرنا بدفن القتلى في مصارعهم ،
فرددناهم ، وأُيْحَمِلُ على من لم يبلغوا به المدينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب السادس

في آبارها المباركات ، والعين ، والغراس ، والصدقات التي هي للنبي
صلى الله عليه وسلم منسوبات ، وما يعزى إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد ،
والمواضع التي صلى فيها في الأسفار والغزوات ، وفيه خمسة فصول : (١)

الفصل الأول

في آبارها المباركات

ورتبها على حروف المعجم ، معتمداً للأول فالأول من الاسم الذي تضاف إليه البئر ، وختمته بتممة في العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، والعين الموجودة اليوم ، وغيرها :

بئر أريس - بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون المثناة التحتية وإهمال آخره -

بئر أريس

نسبة إلى رجلٍ من يهود يقال له أريس ، ومعناه بلغة أهل الشام الفلاح .

روينا في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أنه توضأ

في بيته ، ثم خرج فقال : **لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا كَوْنَنَّ مَعَهُ**

يَوْمِي هَذَا ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَسَأَلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا :

خَرَجَ ، وَجَّهَهُ هُنَا ، قَالَ : فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْرَ أَرَيْسَ ،

قَالَ : فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَبِأُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ ، فَجَمَعْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بَيْرِ أَرَيْسَ وَتَوَسَّطَ قَفِّهَا ^(١) وَكَشَفَ

عَنْ سَاقِيهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبَيْرِ ، قَالَ : فَسَأَمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ انصرفت فجلست عند

الباب ، فقلت : **لَأَكُونَنَّ بَوَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ ، فَجَاءَ**

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ ،

فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ ، قَالَ : ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ ،

فَقَالَ : ائْذِنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ، قَالَ : فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قَلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْشُرُكَ بِالْجَنَّةِ ، قَالَ : فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَجَلَسَ

عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ فِي الْقَفِّ وَدَلَّيْ رَجْلَيْهِ فِي الْبَيْرِ كَمَا صَنَعَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَشَفَ عَنْ سَاقِيهِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ

أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي ، فَقُلْتُ : إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بَفْلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يَحْرُكُ

الْبَابَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ ، ثُمَّ جِئْتُ

(١) القف - بالضم - حجارة عظام ، وأراد ما أحاط بالبئر من بناء أو نحوه .

النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وقلت : هذا عمر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فجمت عمر فقلت : ادخل وبيشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، قال : فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجله في البئر ، ثم رجعت فجلست فقلت : إن يُرِدِ اللهُ بفلان خيرا يعني أخاه يأت به ، فجاء إنسان فحزب الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رسلك ، قال : وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه ، فجمت فقلت : ادخل وبيشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مع بلوى تصيبك ، قال : فدخل فوجد القف قد ملئ ، فجلس وجأهم من الشق الآخر ، قال شريك : فقال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم . قلت : وسيأتي في ترجمة الأسواق واقعة مثل هذه كان البواب فيها بلالا . وروى أحمد والطبراني من وجوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة نحوها أيضا كان هو البواب فيها ، وقال : بُحْسٌ من حشان للمدينة ، وبعض أسانيد رجاله رجال الصحيح ، ولا مانع من تعدد ذلك .

وقد غاير رزين بين بئر أريس وبين البئر التي وقع الجلوس بقفها ، فقال في ذكر الآبار المعروفة بالمدينة : بئر أريس التي سقط فيها الخاتم ، وبئر القف التي أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، وذكر بقية الآبار . وروينا في صحيح البخاري من حديث أنس قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده وفي يد أبي بكر بعده وفي يد عمر بعد أبي بكر ، قال : فلما كان عثمان جلس على بئر أريس ، فأخرج الخاتم ، فجعل يعبث به ، فسقط ، فقال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ، فنزح البئر فلم نجده ، وفي مسند الحميدي عن ابن عمر أنه سقط من معيقيب ، وثبت ذلك من روايته في صحيح مسلم . ورواه ابن زباله عنه على الشك ، فقال : فهو الخاتم الذي سقط من عثمان أو من معيقيب في بئر أريس .

وروى عنه النسائي وابن شبة واللفظ له حديث اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتمه من الورق، ونقشه فيه « محمد رسول الله » وصيرورته في يد عثمان سنين من عمله، ثم قال فيه: فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار فكان يختم به، فخرج إلى قليب عثمان فوقع فيها، فالتمس فلم يوجد، فأمر بخاتم من ورق فعمل عليه، ونقش « محمد رسول الله ».

ومعيقب دؤسي من أصحاب المهجرتين، لكن قد يوصف المهاجري بالأنصاري بالمعنى الأعم، والجمع بأن نسبة السقوط إلى عثمان رضي الله تعالى عنه مُحَاذِيَةٌ لِنِيَابَةِ مَعِيقِبٍ عَنْهُ بَعِيدٌ جَدًّا؛ لقوله في رواية البخاري السابقة « فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط ».

وكان سقوطه بعد ست سنين من خلافته، وكان فيه سر مما كان في خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام؛ لذهاب ملكه عند فقدده، ولما فقد عثمان الخاتم انتقض عليه الأمر، وخرج عليه من خرج، وكان ذلك مبتدأ الفتنة المتصلة إلى آخر الزمان.

وروى ابن زبالة عن ابن كعب القرظي قال: سقط - يعني الخاتم - من عثمان في بئر الخريف التي في بئر أريس، فعلق عليها اثني عشر ناضحاً فلم يقدر عليه حتى الساعة، فاقتضى أنه لم يكن في بئر أريس نفسها، ولهذا نقل ابن شبة عن أبي غسان سقوط الخاتم في بئر أريس وأنه قال: وقد سمعت من يقول: إنا سقط في بئر في صدقته يقال لها بئر خريف أي من آبار المال المسمى ببئر أريس؛ لأن ابن شبة قال أيضاً: قال أبو غسان: ابتاع عثمان بئر أريس وفيها مال يقال له الدومة، ابتاعه من حي من الأنصار وفيه سهمه الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير، وفيها كيدمة مال لعبد الرحمن بن عوف، ثم روى أن عبد الرحمن بن عوف باع كيدمة من عثمان بأربعمائة دينار، وأمر عثمان عبد الله بن سعد

ابن أبي سرح فدفعها إليه ، وأنه تصدق بها على أمهات المؤمنين وغيرهن .
وفي رواية أن عبد الرحمن أوصى بكريمة لأمهات المؤمنين ، فبِعَها من
عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

ثم قال : قال أبو غسان : وأما أريس الذي نسب إليه المال فإن عبد العزيز
ابن عمران حدثني عن عنبس العقبي قال : أريس رجل من يهود بني نهم ،
وكان له ذلك المال ، وفيه بئر عاضر التي يقول فيها اليهودي :

أمرتُ بلالاً أن يعلّق دلوهُ على الأعلىين اليوم من بئر عاضرٍ

فجمعها عثمان رضي الله تعالى عنه في حِطّارٍ واحد ، وهي سبعة أموال ، فتصدق
بها ، قال : فحدث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن إبراهيم بن عبد الله بن فروخ عن
أبيه عن جده قال : دخل علينا عثمان بئر أريس ، وقد لققنا له عدقا منها ، فقال :
ما هذا ؟ فقلنا : لققناه لك يا أمير المؤمنين ، قال : إنما تصدّقتُ بها على ذوى القربى
والفقراء واليتامى والمساكين وابن السبيل ، حتى العافية عافية الطير والسباع ، قال :
وقد كان لصدقة عثمان رضي الله تعالى عنه فيما بلغني ذكر في حجر منقوش على
باب بئر أريس فطرّحه بعض ولاة المدينة في بئر من تلك الآبار ، انتهى ما نقله
ابن شبة عن أبي غسان ملخصاً .

وسياتي في ترجمة كريمة أنها سَمَّهمُ عبد الرحمن بن عوف من بني النضير ،
وأن بقرب المشرية والجرع المعروف بالحسينات موضع يعرف بكيامم بلفظ الجمع ،
والدومة معروفة اليوم بالعالية قرب بني قريظة ، وبقربها موضع يعرف
بالدويمية أيضاً .

وهذا يشكّل على ما هو معروف اليوم ، وبه صرح ابن النجار كالغزالي ،
وتبعه من بعده ، من أن بئر أريس هي المقابلة لمسجد قباء في غربيه ، ويزيد
الإشكال قوة أن بني النضير وبني محم لم يكونوا بقباء ، بل بجهة الدومة المذكورة

وما والاها ، كما يعلم مما تقدم في المنازل .
وكنت قد أجبْتُ عن ذلك باحتمال أن يكون بعضُ أموالهم كان بقاءً وأن
يكون منها ما يسمى بالدومة وبكيدمة في تلك الجهة ثم نسي تسميته بذلك .
ثم رأيت في كلام ابن زبالة ما يردُّ ذلك ، ويزيد الإشكالَ قوةً فإنه قال
في صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ما لفظه : وأما الدلال والصفاية فإنهما يشربان
من سرح عثمان بن عفان الذي يشقُّ من مهزور في أمواله ، يأتي على أريس
وأسفل منه حتى يتبطنَّ السورين ، فصرفه - أي عثمان رضی الله تعالى عنه -
مخافة على المسجد في بئر أريس ، ثم في عقد أريم في بلد حارث بن الخزرج ، ثم
صرفه إلى بطحان ، انتهى .

والموضع المعروف بقاء لا يمكن وصولُ شيء من مهزور إليه ، كما يعلم مما سيأتي
في وصف وادي مهزور ، فالله أعلم .

قال الجحد : ومما يُذكر في فضل بئر أريس ما روينا عن زيد بن خزيمة أنه
عاش بعد الموت وذكر أموراً : منها ما يدل على فضل هذه البئر ، وسياق الخبر
عن النعمان بن بشير قال : لما توفي زيد بن خزيمة انتظر به خروجُ عثمان ،
فكشفت الثوب عن وجهه وقال : السلامُ عليكم ، قال : وأنا أصلي ، فقلت :
سبحان الله ، فقال : أنصتوا أنصتوا ، محمد رسول الله ، كان ذلك في الكتاب
الأول ، صدق صدق صدق ، أبو بكر الصديق ، ضعيف في جسده قوى في أمر الله
كان ذلك في الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عمر بن الخطاب ، قوى في
أمر الله كان ذلك في الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عثمان بن عفان ،
اثنان وبؤ أربع ، وأبيحت لإحى بئر أريس وماء بئر أريس .

من فضل بئر
أريس

وقد رويت هذه القصة من وجوه عن النعمان بن بشير ، ذكره الذهبي
في التذهيب .

قلت : رواها ابن شبة بنحوه ، إلا أنه قال في آخرها : بئر أريس اختلف الناس ، ارجعوا إلى خليفتمكم فإنه مظلوم .

وقال في رواية أخرى : ثم قال : أخذت بئر أريس ، ثم خَفَتَ الصوت .

وروى البيهقي في دلائل النبوة هذه القصة من وجوه ، وقال في بعضها : إسنادها صحيح ، وفسر قوله « اثنتان » بأن ذلك كان بعد مضي سنتين من خلافة عثمان ، والأربع البواقى من خلافته ، والأمر في بئر أريس سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم فيها بعد ست سنين من خلافة عثمان ، فعند ذلك تغيرت عماله ، وظهرت أسباب الفتن ، انتهى .

قال المجد : وفي الإحياء للغزالي أن النبي صلى الله عليه وسلم « تَقَلَّ في بئر أريس » ولم أجد ذلك عند غيره ، وأعاد المجد ذكر بئر أريس في ترجمة قباء وقال : إنها التي تَقَلَّ فيها النبي صلى الله عليه وسلم فَعَدَّتْ بعد أن كان ماؤها أجاجاً ، ولم ينسبه للغزالي ، وهو في ذلك متابع لابن جُبَيْر في رحلته .

وقال الحافظ العراقي في تخریج أحاديث الإحياء : إنه لم يقف على أصل الحديث [في] تَقَلَّه صلى الله عليه وسلم في بئر أريس .

قلت : ومن الغريب قول ابن جماعة في مناسكه الكبرى في باب الفضائل « فضل بئر أريس : قد صحَّ أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تَقَلَّ فيها ، وأنه سقط فيها خاتمته » انتهى .

وخرج البيهقي من حديث إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك رضى الله عنه أتاهم بقباء يسأله عن بئر هناك ، فدلتته عليه ، فقال : لقد كانت هذه وإنَّ الرجلَ لَيَسْتَضِحُّ على حماره فتنزح فيستخرجها له ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأمرَ بَدَّ نوب فسقى ، فأما أن يكون تَوْضاً منه أو تَقَلَّ فيه ، ثم أمر به فأعيد في البئر ، فما نزحت بعدُ ، فرأيتَه صلى الله عليه وسلم بال ثم جاء فتوضاً ومَسَحَ على خُفَّيه ثم صلى ، لكن سيأتى في بئر غَرْس

ما يبين أنها المرادة بذلك ، ولم يعد ابن شبة ولا ابن زباله بئر أريس في الآبار التي كان يُسْتَقَى منها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكرها ابن شبة في صدقة عثمان ، وذكر سقوط الخاتم فيها مع ما تقدم .

وهذه البئر المعروفة اليوم بقباء من أعذب آبار المدينة .

وذكر ابن النجار أنه ذَرَعَ طولها فكان أربعة عشر ذراعاً وشبراً ، منها ذراعان ونصف ماء ، وعرضها خمسة أذرع ، قال : وطول قفها الذي جلس عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباها ثلاثة أذرع تشف كفا ، قال : وهي تحت أُطْمِ عالٍ ، خَرَابٌ من جهة القبلة ، وقد بنى في أعلاه مسكن .

قال المطري ، عقب ذكره أن ذلك المسكن يسكنه مَنْ يقوم بالحديقة ويخدم

مسجد قباء .

قلت : وهو اليوم بيد المتكلم على الحديقة صاحبنا الشيخ برهان الدين القطان ، ووقع بينه وبين صاحبنا الفخر العيني مشاجرة بسببه وسبب البئر ؛ لأن الفخر بيده قطعة تحت الحصن المذكور وقطعة أخرى في مقابلة المسجد أنشأها بعض أقاربه هناك ، ثم اصطاحا على السقي بالبئر المذكورة واستمرار الحصن بيد البرهان ، ثم رفعوا قف البئر عما أدركناه عليه نحو ثلاثة أذرع ، وذلك لما بنى متولى العمارة السبيل والبركة المقابلين لمسجد قباء المتقدم ذكرهما فيه ، وذلك ليتأتى وصول الماء إلى البركة ، وصار طول هذه البئر اليوم على ما ذَرَعْتُهُ تسع عشرة ذراعاً ونصف ذراع ، منها أربعة أذرع ماء ، وذلك بعد تبجيرها .

ولهذه البئر درجة ذكرها المطري ، فقال : وقد حدّد الشيخُ صفي الدين

أبو بكر بن أحمد السلامي لهذه البئر درجا ينزل إليهما من يريد الوضوء والشرب من الزوار سنة أربع عشرة وسبعمائة ، انتهى . وهو مخالف لقول البدر ابن فرحون في ترجمة نجم الدين يوسف الرومي وزير الأمير طفيل : إنه هو الذي أنشأ الدرجة الموجودة اليوم لبئر أريس بقباء عمرها في سنة أربع عشرة وسبعمائة ، قال : وكان الجماعة

ذرع
بئر أريس

الخرازون قد ابتدؤا في عمارتها فسألهم أن يتركوا ذلك له ليفوز بحسنتها ، وكان الحامل لهم على ذلك أنهم كانوا إذا جاؤوا إلى مسجد قباء لا يجدون ما يتوضئون به ، إلا من الحديقة الجعفرية ، فكانوا يتحرجون من دخولها لما سمعوا أنها مفضولة من ملاكها ، انتهى .
وجمع المجد بأن الظاهر أن نجم الدين المذكور أنشأ الدرجة وتشمعت ، فأصلحها صفي الدين وجددها .

قلت : ويرده اتخاذ التاريخ كما سبق . والذي يظهر أن جماعة الخرازين - كما ترجمهم به البدر - كانوا يسعون في عمارة المساجد وغيرها ، وكانوا فقراء ؛ فيعينهم الخدم ، وأهل الخير ، وكان صفي الدين له دنيا عظيمة فتخلى عنها ، وله معروف فكذا أنه هو الممد للخرازين بما صرفوا على عمارة الدرج ، وكان المطري يصحب الجميع ، فالظاهر أنه اطّلع على ذلك ، ثم أتم نجم الدين عمارة تلك الدرجة والله أعلم .

بئر الأعواف ، أحد صدقات النبي صلى الله عليه وسلم الآتية

بئر الأعواف روى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفة بئر الأعواف صدقته ، وسال الماء فيها ، ونبتت بابتة على أثر وضوئه صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل فيها حتى الساعة .

وروى ابن زباله عن عثمان بن كعب قال : طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سارقاً ، فهرب منه ، فنكبه الحجر الذي وضع بين الأعواف صدقة النبي صلى الله عليه وسلم وبين الشطبية مال ابن عتبة ، فوقع السارق ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر ومسّه ودعا له ، فهو الحجر الذي فيما بين الأعواف والشطبية يطلع طرفه يمسّه الناس .

قلت : والأعواف اليوم اسم لجرع كبير في قبلة المربع ، وفي شاميته خنافة ، وفيه آبار متعددة ؛ فلا تعرف البئر المذكورة منها ، وكذلك الحجر ؛ لأن

الشطبية غير معروفة اليوم ، ولعلها الموضع المعروف بالعتبي ؛ لقوله في الرواية المتقدمة : مال ابن عتبة ، والعتبي بحسب الأعواف من المشرق ، فإن كان هو الشطبية فبئر الأعواف هي البئر التي فيما يلي حُنافة من جرع الأعواف ، وهي اليوم معطلة لا ماء بها ، ويستأنس لذلك بما نقله ابن زبالة من أن الأعواف كانت لخنافة اليهودي جد ریحانة رضی الله تعالى عنها .

ولم يذكر المطري ومن تبعه هذه البئر ولا الغلالة بعدها ؛ لسكوت ابن النجار عنها .

بئر أنا - بضم الهمزة وتخفيف النون كهنا ، وقيل : بالفتح وكسر النون المشددة بعدها مثناة تحتية ، وقيل : بالفتح والتشديد كحَتَّى ، وضبطه في النهاية بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحدة كحتي ، ذكره في القاموس أيضاً ، وذكره ياقوت في المشترك له ، وقال : كذا هو مضبوط بخط أبي الحسين بن الفرات ، ثم قال : وذكر آخرون أنها بئر أنا بضم الهمزة والنون الخفيفة .

روى ابن زبالة عن عبد الحميد بن جعفر قال : ضَرَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته حين حاصرَ بني قريظة على بئر أنا ، وصلى في المسجد الذي هناك ، وشرب من البئر ، وربطَ دابته بالسُدرة التي في أرض مريم ابنة عثمان .
وقال ابن إسحاق : لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها ، وتلاحقَ به الناس ، وهي بئر أنا .

قلت : وهي غير معروفة اليوم ، وناحية بني قريظة عند مسجدهم .
بئر أنس بن مالك بن النضر ، وتضاف أيضاً لأبيه .

وروى ابن زبالة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى ، فنزع له دلو من بئر دار أنس ، فسكَّب على اللبن فأتى به فشرَب ، وعمر بين يديه وأبو بكر عن يساره ، وأعرابي عن يمينه ، الحديث ، وهو في الصحيح عن أنس

بئر أنا

بئر أنس

بلفظ : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في دارنا هذه ، فاستسقى ، فلبنا شاة لنا ثم شُبْتُه من بئرنا هذه فأعطيته ، الحديث .

وروى ابن شبة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من بئر أنس التي في دار أنس .

وخرج أبو نعيم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بَرَقَ في بئر داره ، فلم يكن بالمدينة بئر أعذبُ منها ، قال : وكانوا إذا حُوصِرُوا استعذب لهم منها ، وكانت تسمى في الجاهلية البرود .

قلت : وهي غير معروفة اليوم ، لكن تقدم عن ابن شبة في البلاط أنه كان له سرب يخرج عند دار أنس بن مالك في بني جديلة ، وتقدم في بيان الحل الذي ضُرِبَ منه اللبنُ للمسجد النبوي أن البئر المعروف اليوم بالرباطية وقف رباط اليمنة في شامى الحديقة المعروفة بالرومية بقرب دار فحل يتبرك بها الفقراء ، كما ذكره الزين المراغى ، وقال : إنها تعرف ببئر أيوب ، وكذلك البئر ذات الدرج التي في شريقها في الحديقة المعروفة بأولاد الصفي تعرف ببئر أيوب أيضاً .

قلت : والمعروف اليوم ببئر أيوب إنما هي الثانية ، والظاهر أنها بئر أبي أيوب الأنصارى ، وأما الأولى فالظاهر أنها بئر أنس ؛ لأنها في جهة السرب الذي ذكره ابن شبة قرب منازل بني جديلة ، ولتبرك الناس بها قديماً ، ولأنها عذبة الماء بحيث يشرب منها كثير من أهل تلك الجهة أيام النقلة في الصيف ، وسيأتى في بئر السقيا أنه كان يستعذب للنبي صلى الله عليه وسلم الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس .

وروى ابن شبة عن أنس في ذكر بئرته قال : كان في دارى بئر تدعى في الجاهلية البرود ، كان الناس إذا حوصروا شربوا منها .

وأعلم أن أنس بن مالك بن النضر بن عدى بن النجار قد روى أهل السير أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر ستِّ سنين خرجت به أمه إلى طيبة

تُرِيْرُهُ أُوْخُوَالَهُ مِنْ بَنِي عَدِي بْنِ النَّجَارِ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَحْسَنْتِ الْعَوْمِ
فِي بَرِّهِمْ .

بئر إهاب

بئر إهاب ، وفي نسخة الابن زباله « بئر الهاب » والأول هو الصواب الذي
اعتمده المجد .

روى ابن زباله عن محمد بن عبيد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتى بئر إهاب بالحرّة وهي يومئذ لسعد بن عثمان ، فوجد ابنته عبادة بن سعد
مر بوطا بين القرنين يقتل ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يلبث
سعد أن جاء فقال لابنته : هل جاءك أحد ؟ قال : نعم ووصف له صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فالحقّه ، وحلّه ،
فخرج عبادة حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسح رسول الله صلى الله
عليه وسلم على رأس عبادة وبرك فيه ، قال : مات وهو ابن ثمانين وما شاب ،
قال : وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في بئرها .

قال : وقال سعد بن عثمان لولده : لو أعلم أنكم لا تتبعونها القبرت فيها ،
فاشترى نصفها إسماعيل بن الوليد بن هشام بن إسماعيل ، وابتقى عليها قصره
الذي بالحرّة مقابل حوض ابن هشام ، وابتاع نصفها الآخر إسماعيل بن أيوب
ابن سلمة ، وتصداقا بما ابتاعا من ذلك .

قلت : وهي المذكورة في حديث أحمد المتقدم في بدء شأن المدينة وما يؤل
إليه أمرها ، لقوله فيه « خرج حتى أتى بئر الإهاب » قال : يوشك أن يأتي البنيان
هذا المكان .

وفي حديث عبادة الزرق أنه يصيد القطأ فيرقى بئر إهاب ، وكانت لهم ،
الحديث المتقدم في صيد الحرم ، وهي بالحرّة الغربية بئر ، غير أنها لا تعرف اليوم
بهذا الاسم ، إلا أن حوض ابن هشام الذي في مقابلتها كان عند فاطمة بنت
الحسين التي رجّح المطري أنها المسماة اليوم بزرم كما سيأتي أيضاً في خبر بئر فاطمة

المذكورة ، فلما بنى إبراهيم بن هشام داره بالحرة بعد وفاة فاطمة وأراد نقل السوق إليها صنع في حفرته التي بالحوض مثل ما صنعت فاطمة ، فلقى جبلا ، فسأل إبراهيم بن هشام بن عبد الله بن حسن بن حسن أن يبيعه دار فاطمة ، فباعه إياها ، أي من أجل البئر التي احتفرتها فاطمة في دارها .

وقال المطري : إن ابن زباله ذكر عدة آبار أتاها النبي صلى الله عليه وسلم وشرب منها وتوضأ ، لا نعرف اليوم شيئا منها .

قال : ومن جملة ما ذكره بئر بالحرة الغربية في آخر منزلة النقاء ، وذكر ماسياتي في بئر السقيا .

ثم قال ما لفظه : ومنها بئر أخرى إذا وقفت على هذه - يعني بئر السقيا - وأنت على جادة الطريق وهي - يعني السقيا - على يسارك كانت هذه علي يمينك ، ولكنها بعيدة عن الطريق قليلا في سند من الحرة قد حوَّطَ حولها ببناء مخصص ، وكان على شفيرها حوض من حجارة تكسر ، ولم يزل أهل المدينة قديما وحديثا يتبركون بها ، ويشربون من مأها ، وينقل إلى الآفاق منها ، كما ينقل من ماء زمزم ، ويسمونها زمزم أيضا لبركتها .

ثم قال : ولم أعلم أحدا ذكر فيها أثرا يُعتمد عليه ، والله أعلم أيتهما هي السقيا ؟ الأولى لقربها من الطريق ، أم هذه لتواتر التبرك بها ؟ أو لعلها البئر التي احتفرتها فاطمة بنت الحسين حين أخرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى ، وذكر القصة الآتية في حفرها لبئرها ، ثم قال : إن الظاهر أن هذه هي بئر فاطمة ، والأولى هي السقيا .

قلت : قوله « إن الأولى هي السقيا » هو الصواب كما سيأتي ، وأما قوله « إن الثانية هي بئر فاطمة » فمجهول ؛ لأن مقتضى قوله ومنها أنها من جملة الآبار التي ذكر ابن زباله أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاها وشرب منها ، وبئر فاطمة بنت الحسين هي التي احتفرتها بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكرها ابن

زبالة في خير بناء المسجد ، وذكر في آبار النبي صلى الله عليه وسلم ما قدمناه في بئر إهاب مع بئر السقيا وغيرها من الآبار ، ثم أفردنا ثانيا في سياق ما جاء في الحرة الغربية ، وأيضا فقد ذكر المطري أن البئر المذكورة لم تنزل يتبرك بها قديما وحديثا ، وينقل منها الماء إلى الآفاق ، فكيف ترجح أنها المنسوبة لابنة الحسين مع وجود بئر في تلك الجهة ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم إتيانها والبصق فيها ؟ فالذي ترجح عندي أن هذه البئر المعروفة بزمرم هي بئر إهاب ، وقد رأيت عندها مع طرف الجدار الذي بجانبها الدائر على الحديقة آثار قصرٍ قديم كان مبنيا عليها الظاهر أنه قصر إسماعيل بن الوليد الذي ابتناه عليها ، وفي شامها بئر أخرى في الحديقة المذكورة يحتمل أنها هي المنسوبة لابنة الحسين ، ولعل حوض ابن هشام كان هناك ، والله أعلم .

بئر البصة

بئر البصة - بضم الموحدة وفتح الصاد المشددة آخره هاء ، كأنها من بص الماء بصا رشح ، كذا قاله المجد - قال : وإن روى بالتخفيف فن وبص يبيص وبصا وبصة كوعد يعد وعدا وعدة إذا بلغ ، أو من وبص لي من المال أي أعطاني . قلت : المعروف بين أهل المدينة التخفيف .

وروى ابن زبالة وابن عدى من طريقه عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الشهداء وأبناءهم ، ويتعاهد عيالاتهم ، قال : فجاء يوما أبا سعيد الخدري فقال : هل عندك من سدرٍ أغسل به رأسي فإن اليوم الجمعة ؟ قال : نعم ، فأخرج له سدرًا ، وخرج معه إلى البصة ، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فصب غسله رأسه ومراقة شعره في البصة .

قال ابن النجار : وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق الماضي إلى قباء ، وهي بين نخل ، وقد هدمها السيل وطمها ، وفيها ماء أخضر ، وقفت على قفها ، وذرعت طولها ، فكان أحد عشر ذراعا ، منها ذراعان ماء ، وعرضها سبعة أذرع ، وهي مبنية بالحجارة ، ولون مائها إذا انفصل منها أبيض ، وطعمه حلو ، إلا أن

الأجون غلب عليه . وذكر لي النقة أن أهل المدينة كانوا يَسْتَفُونَ منها قبل أن يَطْمَهَا السيلُ ، اه .

وقد أصلحت بعده ، ولذا قال المطري : إنها في حديقة كبيرة محوط عليها بحائط ، وعندها في الحديقة أيضا بئر أصغر منها ، والناس يختلفون فيهما أنهما بئر البصة ، إلا أن ابن النجار قَطَعَ بأنها الكبرى القبلية ، وذكر ما تقدم عنه في طولها وعرضها ، ثم قال : والصغرى عرضها ستة أذرع ، وهي التي تلي أطم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنهما . قال : وسمعت من أدركت من أكابر الخدام وغيرهم من أهل المدينة يقولون : إنها الكبرى القبلية ، وإن الفقيه الصالح القدوة أبا العباس أحمد بن موسى بن عجيل وغيره من صلحاء اليمن إذا جاؤا لل تبرك بالبصة لا يقصدون إلا الكبرى القبلية .

قلت : الظاهر أن ذلك كله ناشئ عما ذكره ابن النجار في وصفها ، لكن يُرَجَّحُ أنها الصغرى كونها إلى جانب الأطم المذكور ، وقد قال فيه ابن زباله كما تقدم في المنازل : إنه المسمى بالأجرد ، وإنه الذى يقال لبئر البصة ، كان للملك ابن سنان ، والكبرى بعيدة عن الأطم المذكور .

وقد ابنتى قاضى المدينة زكى الدين بن أبى الفتح بن صالح تعمده الله برحمته على محل هذا الأطم منزلا حسنا ، وجعل للبئر الصغرى درجا ينزل إليها منه ، وعمر البئر الكبرى أيضا لما استأجر الحديقة لولده بعد أن أجزها هو وشريكه فى النظر فى الولاية السلطانية لغيره ، وهى من جملة أوقاف الفقراء ، وقفها شيخ الخدام عزيز الدولة ریحان البدرى الشهاى على الفقراء الواردين والصادرین للزيارة على ما ذكره المطري ، قال : وذلك بعد وفاته بعامين أو ثلاثة ، ووفاته سنة سبع وتسعين وستائة ، اه .

وفى غربى البئر الصغرى بجانب الحديقة من خارجها سبيل للدواب يُمَلَأُ منها ، وعليه موقوف قطعة نخل تعرف بالكبدارية شمالي سور المدينة .

بئر بضاعة - بضم الموحدة على المشهور ، وحكى كسرهما ، وفتح الضاد المعجمة ، وأهلها بعضهم ، وبالعين المهملة ، بعدها هاء - غربى يرحاء إلى جهة الشمال ، بينهما غلوة سهم سبق .

روينا في سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يقال له : إنه يُسْتَقَى لك من بئر بضاعة ، وهى بئر تلقى فيها لحوم الكلاب والمخاض وعذر الناس - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الماء طهور لا ينجسه شيء » .

ورواد أحمد ، وصححه النسائي ، والترمذى وحسنه ، والدارقطنى وقال فيه « من بئر بضاعة بئر بنى ساعدة » وابن شبة إلا أنه قال « وعذر النساء » بدل قوله « وعذر الناس » وابن ماجه وزاد « لا ينجسه شيء إلا ما غلب عليه ريحه وطعمه ولونه » .

وفى رواية للنسائي عن أبي سعيد قال : مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ من بئر بضاعة ، فقلت : أتوضأ منها وهى يطرح فيها ما يُكره من التين ؟ فقال « الماء لا ينجسه شيء » .

وروى ابن شبة عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم « بصق على بضاعة » . وعنه أيضا : سقيت النبي صلى الله عليه وسلم بيدي من بضاعة ، ورواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات إلا أنه قال « من بئر بضاعة » وكذا رواه أحمد .

وروى ابن زبالة وأبو يعلى عن محمد بن أبى يحيى عن أمه قالت : دخلنا على سهل بن سعد فى نسوة فقال : لو أنى سقيتكن من بئر بضاعة لكرهت ذلك ، وقد والله سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي منها . وفى الكبير للطبرانى عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم « برآك على بضاعة » .

ورواه ابن زبالة عن أبي أسيد ، لكن بلفظ «دَعَا لِبُرِّ بَضَاعَةَ» . وفي الكبير للطبراني عن مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه عن جده أبي أسيد ، وله بُرٌّ بالمدينة يقال لها بُرٌّ بَضَاعَةَ ، قد بَصَقَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ يَتَبَشَّرُ بِهَا وَيَتَمِيمُنَ بِهَا .

قال : فلما قطع أبو أسيد ثمرَ حائطه جملة في غُرْفَةٍ ، فكانت الغول تخالقه إلى مَشْرِئَتِهِ فتنسرق ثمره وتُفْسِدُهُ عَلَيْهِ ، فشكا ذلك إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال « تِلْكَ الْغُولُ يَا أَبَا أُسَيْدٍ ، فَاسْتَمِعْ عَلَيْهَا ، فَإِذَا سَمِعْتَ اقْتِحَامَهَا فَقُلْ : بِسْمِ اللَّهِ ، أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتِ الْغُولُ : يَا أَبَا أُسَيْدٍ ، أَعْغَيْتَنِي أَنْ تَكْلِفَنِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْطَيْتَ مَوْعِدًا مِنْ اللَّهِ أَنْ لَا أَخَالَفَكَ إِلَى بَيْتِكَ ، وَأَنْ لَا أَسْرِقَ ثَمْرَكَ ، وَأَدَّلَكَ عَلَى آيَةٍ تَقْرُؤُهَا عَلَى بَيْتِكَ فَلَا يُخَالَفُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَتَقْرُؤُهَا عَلَى إِيَّائِكَ فَلَا يُكْشَفُ غَطَاؤُهُ ، فَأَعْطَيْتَهُ الْمَوْعِدَ الَّذِي رَضِيَ بِهِ مِنْهَا ، فَقَالَتْ : الْآيَةُ الَّتِي أَدَّلَكَ عَلَيْهَا هِيَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ ، ثُمَّ حَكَتْ أَسْنَانَهَا تَضْرِبُ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ حَيْثُ دَلَّتْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ » قال الحافظ الهيثمي : رجاله وثقوا كلهم ، وفي بعضهم ضعف .

وقال المجد : وفي الخبر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَتَى بُرِّ بَضَاعَةَ ، فَتَوَضَّأَ مِنَ الدَّلْوِ وَرَدَّهَا إِلَى الْبُرِّ ، وَبَصَقَ فِيهَا ، وَشَرِبَ مِنْ مَائِهَا ، وَكَانَ إِذَا مَرَضَ الْمَرِيضُ فِي أَيَّامِهِ يَقُولُ : اغْسَلُونِي مِنْ مَاءِ بَضَاعَةَ ، فَيَغْسَلُ فَكَأَنَّمَا يَنْشَطُ مِنْ عَمَالٍ » .
وقالت أسماء بنت أبي بكر : كنا نغسل المَرَضَى مِنْ بُرِّ بَضَاعَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَيَعْفُونَ ، اه .

قال أبو داود في سننه : سمعتُ قُتَيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ : سَأَلْتُ قَيْمَ بْنَ بَرِّ بَضَاعَةَ عَنْ عُمُقِهَا أَكْثَرَ مَا يَكُونُ فِيهَا الْمَاءُ ، قَالَ : إِلَى الْقَامَةِ ، قُلْتُ : وَإِذَا نَقَصَ ، قَالَ : دُونَ الْعَوْرَةِ ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ عَقِبَهُ : وَقَدَّرْتُ بُرِّ بَضَاعَةَ بِرَدَائِي ، مَدَدْتُهُ عَلَيْهَا ثُمَّ ذَرَعْتُهُ

فإذا عرضها ستة أذرع، وسألت الذي فتح باب البستان فأدخلني إليه : هل غُيِّرَ بناؤها عما كانت عليه ؟ فقال : لا ، ورأيت فيها ماء متغير اللون .

وقال ابن النجار : هذه البئر اليوم في بستان ، وماؤها عذب طيب ، ولوئها صافٍ أبيض ، وريحها كذلك ، ويستقى منها كثيرا ، قال : وذرعها فكان طولها أحد عشر ذراعا وشبرا ، منها ذراعان راجحة ماء ، والباقي بناء ، وعرضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود .

قلت : وذرعُها فكان ذرعُها كذلك لم يتغير ، إلا أن قُفِّها مرتفع عن الأرض الأصلية ذراعا ونصفا راجحا ، وهي - كما قال المطري - في جانب حديقة عند طرف الحديقة الشامي ، والحديقة في قبلة البئر ، ويستقى منها أهل حديقة أخرى شمالي البئر ، وهي بينهما ، وماؤها عذب طيب مع تعطلها في زماننا وخراب قُفِّها ، وهي المرادة بما في صحيح البخاري عن سهل بن سعد « إن كنا لنفرح بيوم الجمعة ، كانت لنا عجوز تأخذ من أصول الصلق » وفي رواية له « ترسل إلى بضاعة » قال ابن سامة أي شيخ البخاري : محل بالمدينة ، الحديث .

قال الإسماعيلي : في هذا بيان أن بئر بضاعة بئر بستان ؛ فيدل على أن قول أبي سعيد « كانت تلقى فيها الحيض وغيرها » أنها كانت تطرح في البستان فيجرها المطر ونحوه إلى البئر .

قلت : ومن شاهد بضاعة علم أنه كذلك لأنها في وَهْدَة ، وحولها ارتفاع ، سيما في شاميا ؛ إذا قدر اليوم هناك أقدار لسال بها المطر إليها ، وتلقى الرياح فيها ماتلقى ، وادعى الطحاوي أنها كانت سَيْحًا ، وروى ذلك عن الواقدي ، وإن صحَّ فاعل المراد به أن الأرض التي حولها كانت المياه تسيحُ فيها فتجرُّ الأقدار إليها ؛ لإطباق مؤرخي المدينة العالمين بأخبارها على تسميتها ببئر ، لا كما قال بعض الحنفية : إنها كانت عينا جارية إلى بستانين ، إذ المشاهدة تردُّه كما قاله المجد ، قال : ولو كان كذلك لما صلح أن يقول فيها المريض « اغسلوني من

ماء بضاعة» لأن الجربة الأولى سارت بْبِصَاقِ النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيضاً
قلوب كانت قناة جارية وسدت لماخى آثار مجاريها المنسدة ، والمشاهدة مع الإطباق
على أنها البئر المذكورة كافية في الرد .

وقال المجد : بضاعة داربني ساعدة ، وبها هذه البئر ، ونقله الحافظ ابن حجر
عن بعضهم ، ومقتضى كلام شيخ البخارى المتقدم أنها اسم للبستان الذى فيه البئر ،
والظاهر إطلاقها على الثلاثة ، والله أعلم .

بئر جاسوم ، ويقال جاسم -- بالجيم والسين المهملة - لم يذكرها والتي بعدها
ابن النجار ومن بعده ، وتقدم فى مسجد راتج من رواية ابن شبة أن النبي صلى الله
عليه وسلم صلى فى مسجد راتج ، وشرب من جاسوم ، وهى بئر هناك .

وروى هو وابن زبالة أيضاً عن خالد بن رباح أن النبي صلى الله عليه وسلم
« شرب من جاسوم بئر أبى الهيثم بن التيهان » .

وعن زيد بن سعد قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم معه أبو بكر وعمر
رضى الله تعالى عنهما إلى أبى الهيثم بن التيهان رضى الله تعالى عنه فى جاسوم ،
فشرب من جاسوم ، وهى بئر أبى الهيثم ، وصلى فى غائطه^(١) .

وروى الواقدي عن الهيثم بن نصر الأسلمى قال : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم
ولزمت بابه ، فكنت آتية بالماء من بئر جاسم ، وهى بئر أبى الهيثم بن التيهان ،
وكان ماؤها طيباً ، ولقد دخل يوماً صائماً ومعه أبو بكر على أبى الهيثم ، فقال : هل
من ماء بارد؟ فأتاه بشجب^(٢) فيه ماء كأنه الثلج ، فصب منه على لبن عنزله وسقاه
ثم قال له : إن لنا عر يشا بارداً ، فقل فيه يارسول الله عندنا ، فدخله وأبو بكر ،
وأنى أبو الهيثم بألوان من الرطب ، الحديث ، وأشار الحافظ ابن حجر إلى أنه
يؤخذ منه أن هذه القصة هى التى فى الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه
دخَلَ على رجل من الأنصار ومعه صاحب له ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
إن كان عندك ماء بائت هذه الليلة فى شجب^(٢) وإلا كرتنا ، قال : والرجل يحول

(١) الغائط : اسم للمكان المنخفض (٢) الشجب - بفتح فسكون - سقاء يقطع
نصفه فينخذ أسفله دلوا .

الماء في حائطه ، فقال الرجل : يا رسول الله عندنا ماء بئس ، فانطلق إلى العريش ، قال : فانطلق بهما فسكب في قدح ثم حلب عليه من داجن له ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شرب الرجل الذي جاء معه .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، وتقدم بيان جهتها في مسجد رائج .

بئر جمل ، بلفظ الجمل من الإبل - روى ابن زبالة عن ابن عبد الله بن رَوَاحَة وأسامة بن زيد قالا : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر جمل ، وذهبتنا معه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل معه بلال ، فقلنا : لا نتوضأ حتى نسأل بلالا كيف توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالا : فسألناه ، فقال : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح على الخفين والحمار ، وفي صحيح البخاري حديث « أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل ، فلقى رجلا ، فسلم عليه - الحديث » .

وفي رواية للدارقطني « أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط ، فلقى رجلا عند بئر جمل » .

وفي أخرى له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذهب نحو بئر جمل ليقضى حاجته ، فلقى رجلا مقبل فسلم عليه » .

وفي رواية النسائي « أقبل من نحو بئر الجمل » وهو من العقيق ، قاله المجد ، قال : وهي بئر معروفة بناحية الجرف بآخر العقيق ، وعليها مال من أموال أهل المدينة ، قال : ويحتمل أنها سميت بجمل مات فيها ، أو برجل اسمه جمل حفرها . قلت : وهي غير معروفة اليوم ، ولم أر من سبق المجد لكونها بالجرف غير ياقوت .

وقوله « وهو من العقيق » لم أره في السنن الصغرى للنسائي ، ويمعده سَوِّق الروايات السابقة لقوله « ذهب نحو بئر جمل ليقضى حاجته » وفي أخرى أن الرجل توارى في السكة ، والمعروف بقضاء الحاجة إنما هو ناحية بقمع الحجة ، وهو ناحية

بئر جمل

بئر أبي أيوب ، وهناك الموضع المعروف بالمناصع ، وتقدم بيان زُقَاق المناصع شرق المسجد فيما يلي الشام ، وسبق في الفصل الحادى عشر من الباب الثالث أن ناقتة صلى الله عليه وسلم بركت بين أظهر بنى النجار ، أى شرق المسجد النبوى ، ثم نهضت حتى أتت زقاق الحبشى بيئر جمل فبركت ، الحديث ، وهو مؤيد لما قدمناه على أن عند مؤخر المسجد زقاقا يعرف اليوم بخرق الجمل ، وبقرى درب سويقة بئر صغيرة فى زقاق ضيق زعم أهل تلك الناحية أنها هى ، وأظنه غلطا .

وقال المطرى عقب ذكر الآبار التى اقتصر عليها ابن النجار : إنها ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، إلا ما يسمع من قول العامة إنها بئر جمل ، ولم نعلم أين هى ، ولا من ذكرها غير ما ورد فى حديث البخارى ، وذكر ما قدمناه .
ثم قال : ولم يذكر بئر جمل فى السبع المشهورة ، وكأنه لم يقف على ذكر ابن زبالة لها فى الآبار وروايته لما تقدم .

بئر حاء - رويناه فى صحيح البخارى عن أنس قال : كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بئر حاء ، وكانت مستقبله المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت هذه الآية (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل يقول (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ) وإن أحب أموالى إلى بئر حاء ، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بخ ، ذلك مال راجح ، وقد سمعت ما قلت ، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربى » قال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه ، وفى رواية له « فجعلها لأبى وحسان » وكانا أقرب إليه منى ، وفى رواية له أيضاً عقب قوله « وإن أحب أموالى إلى بئر حاء » قال : وكانت حديقة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ، ويستظل فيها ،

ويشرب من مأمها ، قال : فهي إلى الله وإلى رسوله أرجو به وذخره ، فَضَعَهَا
يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بَخَّ يا أبا طلحة
ذلك مال رايح ، قد قبلناه منك ، ورددناه عليك ، فاجعله في الأقر بين » فتصدَّقَ
به أبو طلحة على ذوى قربي رحمه ، قال : وكان منهم أبي وحسان ، قال : فباع
حسان حصته منه من معاوية ، فقيل له : تبيع صدقة أبي طلحة ؟ فقال : ألا أبيع
صاعا من تمر بصاع من دراهم ؟ وكانت تلك الخديقة في موضع قصر بني جديلة
الذي بناه معاوية .

قال الحافظ ابن حجر : وزاد ابن عبد البر في روايته : وكانت دار أبي جعفر
والدار التي تليها إلى قصر بني جديلة حائطا لأبي طلحة يقال له بيرحاء ، قال :
ومراده بدار أبي جعفر الدار التي صارت إليه وعرفت به ، وهو أبو جعفر المنصور
الخليفة العباسي . وقصر بني جديلة هي حصّة حسان ، بني فيها معاوية بن أبي
سفيان هذا القصر ، وأغرب الكرماني فزعم أن معاوية الذي بني القصر المذكور
هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أحد أجداد أبي طلحة .

قلت : منشأ وهمه إضافة القصر إلى بني جديلة ، وجديلة لقب معاوية المذكور
وهو مردود ، بل إضافته إليهم لسكونه بمنزلهم .

قال ابن شبة : وأما قصر بني جديلة فإن معاوية بن أبي سفيان بناه ليكون
حصنا ، وله بابان : باب شارع على خط بني جديلة ، وباب في الزاوية الشرقية اليمانية
عند دار محمد بن طلحة التيمي ، وهو اليوم لعبد الله بن مالك الخزاعي قطعة ، وكان
الذي ولي بناءه لمعاوية الطفيل بن أبي كعب الأنصاري ، وفي وسطه بيرحاء .
ثم روى عقبه عن العطاف بن خالد قال : كان حسان يجلس في أجمّة فارغ ،
ويجلس معه أصحاب له ، ويضع لهم بساطا يجلسون عليه ، فقال يوما وهو يرى
كثرة من يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب يسأمون :
أرأى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن العريفة أمسى بيضة البلد

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مَنْ لِي مِنْ أَصْحَابِ الْبَسَاطِ ؟
فقال صفوان بن المعطل : أُنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ ، فخرج إليهم واختلط سيفه ،
فلما رأوه مقبلاً عرفوا في وجهه الشر ، ففرّوا وتبدّدوا ، وأدرك حسان داخلا بيته ،
فضربه ، فعلق نُذْبَتَهُ ، فبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم عَوَّضَهُ وَأَعْطَاهُ حَائِطًا ،
فباعه من معاوية بن أبي سفيان بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية بن أبي
سفيان قصرا .

وروى أيضاً في خبر الإفك عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قصة ضرب
صفوان لحسان ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أَحْسِنْ يَا حَسَانَ فِي الَّذِي
أَصَابَكَ ، قال : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَوْضًا مِنْهَا بِبِرْحَاءٍ ، وهى قصر بنى جديلة اليوم بالمدينة ، كانت مالا لأبي طلحة
ابن سهل تصدّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه حسان في ضربته
شيرين أمة قبطية .

وروى ابن زباله عن أبي بكر بن حزم أن أبا طلحة تصدّق بمال له كان موضعه
قصر بنى جديلة ، فدفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّه على أقاربه
أبي بن كعب وحسان بن ثابت وثبيط بن جابر وشداد بن أوس أو أبيه أوس بن
ثابت يعنى أخا حسان بن ثابت ، فتقاوموه ، فصار لحسان بن ثابت ، فباعه من
معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم ، قال : وكان معاوية قد بنى قصر خل
ليكون حصنا لما كان يتحدّث أنه نصيب بنى أمية ، وذكر ما سيأتى فى قصر
خل ، ثم قال : فلما اشترى بئر حاء بنى قصر بنى جديلة فى موضعها للذى كان
يخاف من ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : وَيَبْعُ حَسَانَ لِحَصْتِهِ مِنْ مَعَاوِيَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ
أَبَا طَلْحَةَ مَلَكَهُمْ الْحَدِيثَةَ الْمَذْكُورَةَ ، وَلَمْ يَقِفْهَا عَلَيْهِمْ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ وَقَفَهَا وَشَرَطَ
أَنْ مِنْ أَحْتِاجٍ إِلَى بَيْعِ حَصْتِهِ جَازَ لَهُ كَمَا قَالَ بِجَوَازِهِ عَلَى وَغَيْرِهِ .

قلت : وقد اشترط على في صدقته كما حكاها ابن شبة عن نسخة كتاب الصدقة قال ابن النجار : و بير حاء اليوم في وسط حديقة صغيرة جداً ، فيها نخيلات ويزرع حولها ، وعندها بيت مبني على علو من الأرض ، وهي قريبة من سور المدينة ، وهي لبعض أهلها ، وماؤها عذب حلو .

وقال المطري : وهي شمالي سور المدينة بينهما الطريق ، وتعرف الآن بالنورية اشتراها بعض النساء النوريين ووقفها على الفقراء والمساكين فنسبت إليها ، قال ابن النجار : وذرعها فكان طولها عشرين ذراعاً ، منها أحد عشر ذراعاً ماء ، والباقي بنيان ، وعرضها ثلاثة أذرع وشبر .

قلت : وهي اليوم على هذا النعت ، وفي قبلتها مسجد ليس من بناء الأقدمين لم يذكره ابن النجار ولا المطري ، وكأنه لما حدث بعدها . وذكره المجد فقال : وفي بير حاء بير قريبة الرشاء ضيقة القنا طيبة الماء ، وأممامها إلى القبلة مسجد صغير في وسط الحديقة .

قلت : وقوله في حديث الصحيح « وكانت مستقبله المسجد » معناه أن المسجد في جهة قبلتها ، فلا ينافي بعدها عنه على هذه المسافة الموجودة اليوم ، والظاهر أن بعض أرضها كان داخل سور المدينة ؛ لما تقدم من قسمتها وابتناء القصر في بعضها ، ولم أر للفقراء أثراً هناك .

وقد تقدم أن حش أبي طلحة الذي في شامى المسجد منسوب إلى أبي طلحة صاحبها ، فر بما كانت أمواله ممتدة إلى هناك . وأما دار محمد بن طلحة التيمي التي ذكر ابن شبة أنه أحدُ باني القصر المبني عليها عنده فيظهر أنها غير دار إبراهيم ابن محمد بن طلحة التي هي من دار جده طلحة المتقدم ذكرها في الدور المطيفة بالمسجد ، لنسبتها لإبراهيم بن محمد ، ونسبة هذه لأبيه ؛ فلا يقدر ذلك في كون بير حاء هي المعروفة اليوم ، والله أعلم .

تنبيه - في ضبط بير حاء ، وقد أفرده بعضهم مصنفاً ذكر المجد ملخصه ،

وقد اختلف الناس في ضبطه ، قال صاحب النهاية : بير حاء يفتح الباء وكسرها ، ضبط بير حاء و يفتح الراء وضمها ، وبالمد فيهما ، و يفتحهما والقصر ، قال الزمخشري : بير حاء اسم أرض كانت لأبي طلحة ، وكأنها فيعلى من البراح ، وهى الأرض المنكشفة الظاهرة ، وقال مرة : رأيت محدثى مكة يقولون بير حاء على الإضافة ، وحاء : من اسم القبائل ، وقيل : اسم رجل ، وعلى هذا يكون ممنونا ، قال ياقوت : بير حا بوزن خيز لى ، وقيل لى بير حاء مضاف إليه ممدود ، قال : ورواية المغاربة قاطبة الإضافة ، وإعراب الراء بالرفع والجر والنصب ، وحاء على لفظ الحاء من حروف المعجم .

وقال أبو عبيد البكرى : حاء على وزن حرف الهجاء - بالمدينة ، مستقبلة المسجد ، إنها يتسبب بير حاء ، فالاسم مركب .

قال الحافظ ابن حجر : اختلف فى حاء هل هو رجل أو امرأة أو مكان أضيف إليه البير ، أو هى كلمة زجر للإبل ، وكانت الإبل ترعى هناك وترجر بهذه اللفظة فأضيفت البير إلى اللفظة ، قال الباجى : أسكر أبو بكر الأصبم الإعراب فى الراء ، وقال : إنما هو يفتح الراء على كل حال ، قال : وعليه أدركت أهل العلم بالمشرق .

وقال أبو عبد الله الصورى : إنما هو يفتح الباء والراء فى كل حال ، بمعنى أنه كلمة واحدة ، قال عياض : وعلى رواية الأندلسيين ضبطنا هذا الحرف عن أبى جعفر فى كتاب مسلم بكسر الباء وفتح الراء ، وبكسر الراء وفتح الباء والقصر ، ضبطناه فى الموطأ عن أبى عنان وغيره ، و بضم الراء وفتحها معا قيدناه عن الأصيلي ، وقد رواه من طريق حماد بن سلمة بريحا ، هكذا ضبطناه عن شيوخنا فيما قيدوه عن البدرى وغيره ، ولم أسمع فيه خلافا ، إلا أنى وجدت الحميدى ذكر فى اختصاره عن حماد بن سلمة بير حا ، كما قال الصورى ، ورواية الرازى فى مسلم فى حديث مالك بريحا ، وهو وهم ، وإنما هذا فى حديث حماد ، وإنما

لملك بئر حا كما قيد الجميع على اختلافهم . وذكر أبو داود في مصنفه هذا الحديث بخلاف ما تقدم فقال : جعلت أرضي باريحاً ، وهذا كله يدل على أنها ليست ببئر ، انتهى كلام عياض .

قال الحافظ ابن حجر : قول أبي داود باريحاً بإشباع الموحدة ، وهم من ضبطه بكسر الموحدة وفتح الهمزة فإن أريحاء من الأرض المقدسة ، ويحتمل إن كان محفوظاً أن تكون سميت باسمها .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « ذلك مال رايح ، أو قال رايح » فالأول بالموحدة أي ذور ربح ، والثاني بالهمزة التحتيّة ، أي يرُوح نفعه لقربه ، أي يصل إليك في الرواح ، ولا يعزُب ، قال شاعر :

سأطلب مالاً بالمدينة ؛ إنني إلى عازبِ الأموال قلت فَوَضِلُّهُ

بئر حلوة - بالحاء المهملة - لم يذكرها والتي بعدها ابن النجار ومن بعده ، وذكرها ابن زباله ، فروى عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال : نَحَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزوراً ، فبعث إلى بعض نسائه منها بالكنف ، فتكلمت في ذلك بكلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْتِ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ » وهَجَرَهُنَّ ، وكان يقيل تحت أراكة على حُلوة بئر كانت في الزقاق الذي فيه دار آمنة بنت سعد ، وبه سمي الزقاق زقاق حلوة ، وبييت في مشربة له ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة ، فقالت : يا رسول الله ، إنك آليت شهراً ، قال : إن الشهر تسع وعشرون .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بعينها ، وتقدم بيان جملتها في الدور التي في ميسرة البلاط عند ذكر دار حويطب بن عبد العزى .

بئر ذرع - بالذال المعجمة - وهي بئر بني خطمة ، وروى ابن زباله حديث « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني خطمة فصلى في بيت العجوز ،

بئر حلوة

بئر ذرع

ثم خرج منه فصلى في مسجد بني خطمة ، ثم مضى إلى برهم ذريع فجلس في قفها ، فتوضأ و بصق فيها .

وروى ابن شبة عن الحارث بن الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم « تَوَضَّأَ من ذرع بر بنى خطمة التي بفناء مسجدهم » ، وفي رواية : « وصلى في مسجدهم » .

وفي رواية عن رجل من الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم « بَصَقَ في ذرع بر بنى خطمة » .

قلت : وهذه البر غير معروفة اليوم ، ويؤخذ بيان جهتها مما تقدم في مسجد بنى خطمة .

بر رومة - بضم الراء ، وسكون الواو ، وفتح الميم ، بعدها هاء ، وقيل رؤمة بعد الراء همزة ساكنة - روى ابن زبالة حديث : « نعم القليب قليب المزني فاشترها يا عثمان ، فتصدق بها » وحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الحفيرة حفيرة المزني » يعني رومة ، فلما سمع ذلك عثمان بن عفان ابتاع نصفها بمائة بكرة ، وتصدق بها ، فجعل الناس يسقون منها ، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باع من عثمان النصف الثاني بشيء يسير فتصدق بها كلها .

وروى ابن شبة عن عدى بن ثابت قال : أصاب رجل من مزينة برأ يقال لها رومة ، فذكرت لعثمان بن عفان وهو خليفة ، فابتاعها بثلاثين ألف درهم من مال المسلمين ، وتصدق بها عليهم .

قلت : في سنده متروك ، ولذا قال الزبير بن بكار بعد روايته في عتيقة : وليس هذا بشيء ، وثبت عندنا أن عثمان اشتراها بماله وتصدق بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وقال ابن أبي الزناد : أخبرني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« نعم الصدقةُ صدقةُ عثمان » يريد رومةَ .

وقال محمد بن يحيى : أخبرني غير واحد من أهل البلد أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « نعم القليب قليب المزني » .

وروى ابن شبة أيضاً عن أبي قلابة قال : لما كانوا بباب عثمان وأرادوا قتله
أشرفَ عليهم ، فذكر أشياء ، ثم ناشدوا الله فأعظم النشدةَ : هل تعلمون أن
رومةَ كان لفلان اليهودي لا يسقي منها أحداً قطرةً إلا بثمن ، فاشتريتها بمالي
بأربعين ألفاً ، فجعلت شربي فيها وشرب رجل من المسلمين سواء ، ما استأثرتها
عليهم ؟ قالوا : قد علمنا ذلك .

وعن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يشتري رومةَ بشرب
رِواءٍ في الجنة ؟ فاشتراها عثمان رضي الله تعالى عنه من ماله فتصدق بها .

وعن عبد الرحمن بن حبيب السلمي قال : قال عثمان رضي الله تعالى عنه :
أنشدكم الله ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ اشترى بئر
رومةَ فله مثلها من الجنة ، وكان الناس لا يشربون منها إلا بثمن ، فاشتريتها بمالي
فجعلتها للفقير والغني وابن السبيل ؟ فقال الناس : نعم .

وعن أسامة الليثي قال : لما حُصرَ عثمان رضي الله تعالى عنه أرسل إلى عمار
ابن ياسر يطلب أن يدخل عليه رِواياً ماء ، فطلب له ذلك عمار من طلحة ، فأبى
عليه ، فقال عمار : سبحان الله ! اشترى عثمان هذه البئرَ - يعني رومةَ - بكذا
وكذا ألفاً ، فتصدق به على الناس ، وهؤلاء يمنعونه أن يشرب منها ! .

وروى النسائي والترمذي وحسنه عن عثمان أنه قال : أنشدكم بالله والإسلام
هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء
يسْتعذب غير بئرِ رومةَ ، فقال : مَنْ يشري بئرَ رومةَ يجعل دَلْوَهُ مع دلاءِ
المسلمين - الحديث .

وفي صحيح البخارى عن عبد الرحمن السلمى أن عثمان حيث حوِّصَ أشرف عليهم وقال : أنشدكم بالله ، ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مَنْ حفر بئر رومة فله الجنة ؟ فحفرتها - الحديث ، وفيه : وصدَّقوه بما قال .

وللنسائى من طريق الأحنف بن قيس أن الذين صدقوه بذلك على بن أبى طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص . ورواه ابن شبة من حديث الأحنف إلا أنه قال : أنشدكم الله الذى لا إله إلا هو ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يبتاع بئر رومة غفر الله له ، فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إني ابتعت بئر رومة ، فقال : اجعلها سقاية للمسلمين ، وآخرها لك ؟ قالوا : نعم .

وقال ابن بطلال فى الكلام على رواية البخارى قوله : « فحفرها عثمان » وهم فى بعض الروايات ، والمعروف أن عثمان اشتراها ، لا أنه حفرها ، قال الحافظ ابن حجر عقبه : المشهور فى الروايات كما قال ، لكن لا يتعين الوهم ؛ فقد روى البغوى فى الصحابة من طريق بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع منها القرية بمد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعنيها بعين فى الجنة ، فقال : يا رسول الله ليس لى وعيالى غيرها ، ولا أستطيع ذلك ، فبلغ ذلك عثمان ، فاشترها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتجعل لى مثل الذى جعلت له عيناً فى الجنة إن اشتريتها ؟ قال : نعم ، قال : قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين ، قال الحافظ ابن حجر : وإذا كانت أولاً عيناً فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً ، ولعل العين كانت تجرى إلى بئر فوسَّعها أو طولها فنسب حفرها إليه ، انتهى .

قلت : الإشكال ليس فى ذكر وقوع حفر عثمان لها فقط ، بل فى كون

الترغيب فيها بلفظ « مَنْ حفر » إلى آخره ؛ فطريق الجمع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال أولاً : « من اشترى بئر رومة » فاشتراها عثمان ، ثم احتاجت إلى الحفر فقال : « مَنْ حفر بئر رومة » فحفرها ، وتسميتها في هذه الرواية عيناً غريباً جداً ، ولعله لاشتمال البئر على ما ينبع فيها مقابلة لها بعين في الجنة .

وقال المجد : قال أبو عبد الله بن منده : رومة الغفاري صاحب بئر رومة ، وروى حديثه ، وساق السنن إلى بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون ، وساق الحديث المتقدم ، ثم قال المجد : كذا قال رومة الغفاري ، ثم قال : عين يقال لها رومة .

وقال أبو بكر الحازمي أيضاً : هذه البئر تنسب إلى رومة الغفاري ، ولم يسمها عيناً ، والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث المتقدم « نعم الحفير حفيرة المزني » يعنى رومة أن الذي احتفرها كان من مزينة ثم ملكها رومة الغفاري ، وذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية ليهودي يبيع ماءها من المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشترى رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة ؟ فأتى عثمان اليهودي فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثني عشر ألف درهم ، فجعله للمسلمين ، فقال له عثمان : إن شئت جعلت لنصيبى قر بين ، وإن شئت فلي يوم ولك يوم ، فقال : بل لك يوم ولي يوم ، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين ، فلما رأى اليهودي ذلك قال : أفسدت على ركيتي ، فاشترى النصف الآخر ، فاشتراها بثمانية آلاف درهم .

قلت : وهي بئر قديمة جاهلية ؛ لما رواه ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم أن تبعاً اليماني لما قدم المدينة كان منزله بقمّاة ، واحتفر البئر التي يقال لها بئر الملك ، وبه سميت ، فاستووا بئرهم تلك ، فدخلت عليه امرأة من بني زريق ، يقال لها فكهة ، فشكا إليها وباء بئرهم ، فانطلقت فأخذت حمارين أعرايين ،

فاستقت له من بئر رومه ، ثم جاءت به ، فشرب فأعجبه وقال : زيد يني من هذا الماء ، فكانت تصير إليه به مقامه ، فلما خرج قال لها : يا فكهية إنه ليس معنا من الصفراء والبيضاء شيء ، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا ، فلما خرج نقلت ما بقي من أزوادهم ومتاعهم ، فيقال : إنها كانت لم تزل هي وولدها أكثر بني زريق مالا حتى جاء الإسلام .

وهذه البئر في أسفل وادي العقيق ، قريبة من مجتمع الأسيال ، في براح واسع من الأرض ، وعندها بناء عال بالحجارة والجص قد تهدم .

قال ابن النجار : قيل : إنه كان دارا لليهودي ، وحوها مزارع وآبار كثيرة ، وهي قبلي الجرف وشمالى مسجد القبلتين بعيدة منه ، قال ابن النجار : وقد انقضت خرزتها وأعلامها ، إلا أنها بئر مليحة جدا ، مبنية بالحجارة الموجهة ، قال : وذرعها فكان طولها ثمانية عشر ذراعا ، منها ذراغان ماء وبقايا مطموم بالرمال الذى تسفيهه الرياح فيها ، وعرضها ثمانية أذرع ، وماؤها طاف ، وطعمه حلو ، إلا أن الأجون غلب عليه .

وقال المطري : وقد خربت ، ونقضت حجارتها ، وانطمت ، ولم يبق منها اليوم إلا أثرها .

قال الزين المراغى : وقد جددت بعد ذلك ، ورفع بناؤها عن الأرض نحو نصف قامة ، ونزحت فكثر ماؤها ، أحيها كذلك القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المحب الطبري قاضي مكة المشرفة في حدود الخمسين وسبعائة ، قال : فتناوله إن شاء الله تعالى عموم حديث « من حفر بئر رومه فله الجنة » انتهى .

ومن الغريب قول عياض في مشاركته : بئر رومه بضم الراء بتران مشهوران بالمدينة ، انتهى ، ولم أقف له على أصل .

بئر السقيا - بضم السين المهملة ، وسكون القاف ، من سقاها الغيث وأسقاها - بئر السقيا

تقدم ذكرها في مسجد السقيا في حديث ابن زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم
عَرَضَ جَيْشَ بَدْرِ بِالسَّقِيَا ، وَصَلَّى فِي مَسْجِدِهَا ، وَدَعَا هُنَاكَ ، الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ
وَاسْمُ الْبَيْرِ السَّقِيَا ، وَاسْمُ أَرْضِهَا الْفَلْجَانُ .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : قال أبي : يا بني إنا اعترضنا ههنا
بالسقيا ، حين قاتلنا اليهود بحسيكة ، فظفرنا بهم ، ونحن نرجو أن نظفر ، ثم
عرضاً النبي صلى الله عليه وسلم بها متوجهاً إلى بدر ، فإن سلمت ورجعت ابتعتها
وإن قتلت فلا تفوتنك ، قال : فخرجت أبتاعها ، فوجدتها لذكوان بن عبد قيس ،
ووجدت سعد بن أبي وقاص قد ابتاعها وسبق إليها ، وكان اسم الأرض
الفلجان ، واسم البئر السقيا .

قال ابن شبة : قال محمد بن يحيى : وسألت عبد العزيز بن عمران عن حسيكة ،
وذكر ما سألني فيها ، ثم قال : قال أبو غسان : وأخبرني عبد العزيز بن عمران
عن راشد بن حفص عن أبيه قال : كان اسم أرض السقيا الفلج ، واسم بئرها
السقيا ، وكانت لذكوان بن عبد قيس الزرقى ، فابتاعها منه سعد بن أبي وقاص
بمعيرين .

وروى أيضاً عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان
يُسْتَقَى لَهُ الْمَاءُ الْعَذْبُ مِنْ بئرِ السَّقِيَا » وفي رواية « من بيوت السقيا » ورواه
أبو داود بهذا اللفظ ، وسنده جيد ، وصححه الحاكم .

وروى الواقدي من حديث سلمة امرأة أبي رافع قالت : كان أبو أيوب — حين
نزل عنده النبي صلى الله عليه وسلم — يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر والد
أنس ، ثم كان أنس وهند وحارثة أبناء أسماء يحملون الماء إلى بيوت نساءه من
بيوت السقيا ، وكان رباح الأسود عنده صلى الله عليه وسلم يستقي له من بئر
غرس مرةً ومن بيوت السقيا مرةً .

وتقدم في رابع فصول الباب الثاني مارواه الترمذي وقال حسن صحيح عن

على بن أبي طالب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بحرة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اثتوني بوضوء ، فتوضأ فقام ثم قام فاستقبل القبلة ، الحديث .
وتقدم أيضا حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى بِأَرْضِ سَعْدِ بِأَرْضِ الْحَرَّةِ عِنْدَ بِيُوتِ السَّقِيَا - الْحَدِيثُ » .

قلت : وبئر السقيا هذه هي التي ذكر المطري أنها في آخر منزلة النقاء على يسار السالك إلى بئر علي بالحرم ، قال : وهي بئر مليحة ، كبيرة ، متنورة في الجبل ، وقد تعطلت وخربت ، وعلى جانبها الشمالي - يعني من جهة المغرب - بناء مستطيل محصص .

قلت : والظاهر أنه كان حوضا أو بركة لورود الحجاج ، كانوا ينزلون بها أيام عمارة المدينة ، ولهذا سمي المطري محلها منزلة النقاء ، وما سيأتي عنه في النقاء مُصْرَحٌ بذلك ، وكان بعضُ فقهاء العجم قد جدّدها وعمرها في سنة ثمان وسبعين وسبعائة فصارت تعرف ببئر الأبحام ، كما رأيتُه بخط الزين المراغي .

قلت : وقد تهدمت وتَشَعَّتْ بعد ذلك ، فجدها الجناب الخواجكي البدرى بدر الدين بن عليبة سنة ست وثمانين وثمانائة ، تقبل الله منه وأثابه الجنة بمنه وكرمه .

وتقدم في بئر إهاب أن المطري تردّد في أن هذه السقيا لقربها من الطريق أم هي البئر المعروفة اليوم بزرم ؛ لتواتر التبرك بها ، ثم قال : إن الظاهر أن السقيا هي الأولى .

قلت : وهو الصواب ؛ لزوال التردد بما من الله به من الظفر بمسجد السقيا عندها ، كما تقدم فيه ، والظاهر أنها المرادة بقول الغزالي في آداب الزائر : وليغتسل من بئر الحرة ، انتهى ، وذلك لكونها على جادة الطريق ، وكانت مجاورة لأول بيوت المدينة أيام عمارتها .

وقال أبو داود عقب روايته لحديث استعذاب الماء من بيوت السقيا : قال
قتيبة : السقيا عين بينها وبين المدينة يومان .
قلت : وما ذكره صحيح كما سيأتى فى ترجمتها ، إلا أنها ليست المرادة هنا ،
وكأنه لم يطلع على أن بالمدينة بئرا تسمى بذلك ، وقد اغترَّب به المجد فقال : السقيا
قريبة جامعة من عمل الفرع ، ثم أورد حديثَ أبي داود ، وقول صاحب النهاية :
السقيا منزل بين مكة والمدينة ، قيل : على يومين ، ومنه حديث « كان يُسْتَعَذَّبُ
له الماء من بيوت السقيا » ثم قال : وقول أبي بكر بن موسى « السقيا بئر بالمدينة
منها كان يستقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم » محمول على هذا ؛ لأن الفرع من
عمل المدينة ، ثم قال : وأما البئر التى على باب المدينة بينها وبين ثنية الوداع
أى المدرج بها كما سيأتى عنه فيظنها أهل المدينة أنها هى السقيا المذكورة فى الحديث ،
قال : والظاهر أنه وهم ، قال : ومما يؤكد ذلك قوله فى الحديث « من بيوت السقيا »
ولم يكن عند هذا البئر بيوت فى وقت ، ولم ينقل ذلك ، وأيضا إنما استعذب له
صلى الله عليه وسلم الماء من السقيا لما استمَوْحَمُوا مياها آبار المدينة ، قال : وهذه البئر
التى ذكرناها - أى التى بين المدينة والمدرج - كانت لسعد بن أبي وقاص فيما
حكاه المطرى ، قال يعنى المطرى : ونقل أن النبي صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيش
بدر بالسقيا التى كانت لسعد ، وصلى فى مسجدِها ، ودعا هنالك لأهل المدينة ،
وشرب صلى الله عليه وسلم من بئرِها ، ويقال لأرضها « الفلجان » بضم الفاء
والجيم ، وهى اليوم مُعَطَّلَةٌ ، وكانت مَطْمُومَةٌ فأصلحها بعضُ فقراء العجم ، اه .
قلت : حمله لكلام أبي بكر بن موسى على ما ذكره ونَقَلَهُ ما جاء فى
السقيا المذكورة عن المطرى يقتضى أنه لم يقف على ما قدمناه عن ابن زباله وابن
شبة ، وأنه لا يرى أن بالمدينة نفسها بئرا تسمى بالسقيا ، وهو وهم مردود ، مع أن
المعتمد عندى أن السقيا التى جاء حديث الاستعذاب منها إنما هى سقيا المدينة ،
وذلك لوجوه :

الأول: إيراد ابن شبة للحديث في ترجمة آبار المدينة التي كان يستقي له صلى الله عليه وسلم منها .
الثاني: قرّنه لذلك بحديث عرض جيش بدر بها ، وإيراد ابن زبالة في سياق آبار المدينة ، والسقيا التي من عمل الفرع ليست في طريق النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر ؛ لأن تلك الطريق معروفة ، والسقيا المذكورة معروفة أيضا ، وليست في جهتها كما سيأتي في بيان محلها ، وأيضا في حديث جابر المتقدم أنهم اعترضوا بالسقيا عند قتال اليهود بحسيكة مع بيان أن حسيكة بالمدينة نفسها إلى الجرف .

الثالث: ما تقدم أيضا من أنها كانت لبعض بني زريق من الأنصار ، وتخر يض والد جابر له على شرائها ، وأن سعدا سبقه لذلك .

الرابع: ما تقدم في رواية الواقدي من أنه كان يُسْتَقَى له صلى الله عليه وسلم منها مرة ومن بئر غرس مرة ، ويبعد كل البعد قرن السقيا التي هي على يومين بل أيام من المدينة كما سيأتي ببئر غرس التي هي بالمدينة .

الخامس: ما في رواية الواقدي أيضا من أن المتعاطى لذلك أبناء أسماء أنس وهند وحارثة ، ومثل هؤلاء إنما يستقون من المدينة وما حولها ؛ لأن سقيا الفرع تحتاج إلى جمال ورجال .

السادس: ما قدمناه في مسجد السقيا من إيراد الأسدي له في المساجد التي تزار بالمدينة ، ثم ذكر في المساجد التي بين الحرمين مسجد السقيا التي هي من عمل الفرع .

السابع: ما قدمناه من الظفر بمسجد بئر السقيا بالمدينة .

الثامن: أن المجد نقل عن الواقدي في ترجمة بُقع أنه بضم الموحدة من السقيا التي بنق بن دينار ، وسنين في نقب بن دينار أنه الطريق التي في الحرة الغربية إلى العقيق .

وأما قول المجد « إنه لم يكن عند هذه البئر بيوت في وقت ، ولم ينقل ذلك » فمن العجائب ؛ إذ مَنْ تأمل ما حول البئر المذكورة وما قرب منها علم أنه كان هناك قرى كثيرة متصلة ، فضلا عن بيوت ، كما يشهد به آثار الأساسات ونقضُ العمارات ، وليت شعري أين هو من مسجد السقيا الذي أهمله تبعاً لغيره ومن الله بوجوده بسبب التأمل في تلك الأساسات وآثار العمارات ؟ ولما كشف التراب عن محله وجدنا من بنائه ومحرابه نحو نصف ذراع ، وهو مجاور لهذه البئر كما سبق ، وما ذكره من أن الاستعذاب من السقيا إنما كان لما استوخوا آبار المدينة فرود ، بل هو طلب الماء العذب ، وأيضا أنهم لم يستوخوا كل آبارها . وفي الصحيح في قصة مجيئه صلى الله عليه وسلم إلى أبي الهيثم بن التيهان قول زوجته « خرج يستعذب لنا الماء » ورواية الواقدي المتقدمة مُصَرَّحة بوقوع الاستعذاب من بئر مالك بن النضر والد أنس ، وكانت بدار أنس كما تقدم بيانه ، كما سيأتي في بئر غرس الاستعذاب منها أيضا . ثم لو سلمنا أن المراد من حديث أبي داود في الاستعذاب العين التي ذكرها قتيبة فهو محمول على أنه كان يستعذب له صلى الله عليه وسلم منها ، إذا نزل قريها في سفر حجه ونحوه ، أما استعذابه منها إلى المدينة فلا أراه وقع أصلا ، والله أعلم .

بئر العقبة

بئر العقبة - بالعين المهملة ، ثم القاف - قال المجد : ذكرها رزين العبدي في آبار المدينة ، وقال : هي التي أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، ولم يعين لها موضعاً ، والمعروف أن هذه القصة إنما كانت في بئر أريس ، اه .

والذي رأيته في كتاب رزين في تعداد الآبار المعروفة بالمدينة ما لفظه : وبئر العين سقط فيها الخاتم ، وبئر القف التي أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، انتهى . وقد قدمنا في بئر أريس ما يقتضى تعدد الواقعة .

بئر أبي عنبية - بلفظ واحدة العنب - قال ابن سيد الناس في خبر نقله عن بئر أبي عنبية ابن سعد في غزوة بدر ، ما لفظه : وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على بئر أبي عنبية ، وهي على ميل من المدينة ، فعرض أصحابه ، وردّ من استصغره ، اه . وهذا مستند ما نقله المطري في الكلام على بئر السقيا حيث قال بعد ذكر عرض جيش بدر بالسقيا : ونقل الحافظ ابن عبد الغني المقدسي أنه عرض جيشه على بئر أبي عنبية بالحرة فوق هذه البئر أي السقيا ، إلى المغرب ، ونقل أنها على ميل من المدينة .

قلت : ولعل العرض وقع أولا عند مرورهم بالسقيا ، ثم لما ضرب عسكره على هذه البئر أعاد العرض لرد من استصغر ، ولعل هذه البئر هي المعروفة اليوم ببئر ودي ؛ لانطباق الوصف المتقدم عليها ، ولأنها أعذب بئر هناك .

وقد روى ابن زباله عن إبراهيم بن محمد قال : خرجنا نشيح ابن جريج حين خرج إلى مكة ، فلما كنا عند بئر أبي عنبية قال : ما اسم هذا المكان ؟ فأخبرناه ، فقال : إن عندي فيه لحديثا ، ثم ذكر حديث عاصم بن عمر حين اختصم فيه عمر وجدته إلى أبي بكر ، فقال عمر : يا خليفة رسول الله ، ابني وبستقي لي من بئر [أبي] عنبية ، فدل على أن الماء كان يُستعذب منها ، قال المجد : وقد جاء ذكر هذه البئر في غير ما حديث .

بئر العهن - بكسر العين المهملة ، وسكون الهاء ، ونون - ذكر المطري بئر العهن التي ذكرها ابن النجار - وهي : أريس ، والبصّة ، وبصاعة ، ورومة ، والغرس ، وبيرحاء - ثم قال : والآبار المذكورة ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، ثم ذكر ما تقدم عنه في بئر جهل .

ثم قال : إلا أني رأيت حاشية بخط الشيخ أمين الدين بن عساكر على نسخة من « الدرّة الثمينة » ، في أخبار المدينة « للشيخ محب الدين بن النجار ما مثاله : العدد ينقص عن المشهور بئرا واحدة ؛ لأن المثبت ست ، والمأثور المشهور سبع ،

والسابعة اسمها « بئر العهن » بالعالية ، يزرع عليها اليوم ، وعندها سِدْرَةٌ ،
ولها اسم آخر مشهورة به .
قال المطري عقبه : و بئر العهن هذه معروفة بالعوالي ، وهي بئر مليحة جدا ،
منقورة في الجبل ، وعندها سِدْرَةٌ كما ذكر ، ولا تسكاد تعرف أبدا ، وقال الزين
المرأعي عقب نقله : والسدرة مقطوعة اليوم .

قلت : ولم يذكرها شيئا يتمسك به في فضلها ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه
وسلم ، لكن لم يزل الناس يتبركون بها . والذي ظهر لي بعد التأمل أنها بئر
اليسرة الآتي ذكرها ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليها وتوضأ وبصق فيها ؛
لأن اليسرة بئر بني أمية من الأنصار بمنزلهم كما سيأتي ، و بئر العهن عند
منزلهم ، وقد أشار ابن عساكر إلى تسميتها باسم آخر ، فأظنه الاسم المذكور ،
والله أعلم .

بئر غرس — بضم الغين المعجمة كما رأيت في خط الزين المرأعي ، وهو الدائر
على أسنة أهل المدينة ، ويقال « الأغرس » كما يؤخذ مما سيأتي في وادي بطحان
أول الفصل الخامس ، وقال المجد : بئر الغرس بفتح الغين وسكون الراء وسين
مهملة ، والغرس : الفسيل ، أو الشجر الذي يُغرس لينبت ، مصدر غرس الشجر ،
قال : وضبطه بعض الناس بالتحريك مثال سحر ، وسمعت كثيرا من أهل المدينة
يضمون الغين ، قال : والصواب الذي لا يحيد عنه ما قدمته ، أي من
الفتح — وهي بئر بقاء في شرقي مسجدنا ، على نصف ميل إلى جهة الشمال ،
وهي بين النخيل ، ويعرف مكانها اليوم وما حولها بالغرس ، قال : وحولها مقابر
بني حنظلة .

قلت : وأظنه تصحيفا ، والمذكور في جهتها بنو خطمة ، وقد تقدم في بئر
السقيا أن رباحا الأسود عبد النبي صلى الله عليه وسلم كان يستقي له من بئر غرس
مرة ومن بيوت السقيا مرة .

وروى ابن حبان في الثقات عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال : انْتُونِي بماء من بئرِ غَرْسٍ ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأُ .

وفي سنن ابن ماجه بسندٍ جيدٍ عن علي رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَغْسِلُونِي بِسَمْعِ قَرْبٍ مِنْ بَيْرِ بئرِ غَرْسٍ » وكانت بقاء ، وكان يشرب منها .

ورواه يحيى عن عليّ بلفظ : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يَا عَلِيُّ ، إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَغْسِلْنِي مِنْ بَيْرِ بئرِ غَرْسٍ بِسَمْعِ قَرْبٍ لَمْ تَحْلَلْ أَوْ كَيْتَمَنَ » .

وروى ابن سعد في طبقاته رجال الصحيح عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي ابن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال : غسل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسِدْرٍ ، وغسل في قميص ، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقاء ، وكان يشرب منها .

وروى ابن شبة بسند صحيح عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم غسل من بئر سعد بن خيثمة بئرٍ كان يُسْتَعْدَبُ له منها ، وفي رواية : من بئر سعد بن خيثمة بئرٍ يقال لها الغرس بقاء كان يشرب منها .

وروى أيضاً عن سعيد بن رقيش أن النبي صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأَ مِنْ بئرِ الأغرِسِ ، وأهراق بقية وَضُوئِهِ فِيهَا .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : جاءنا أنس بن مالك بقاء فقال : أين بئركم هذه ؟ يعنى بئر غرس ، فدَلَّنَاهُ عَلَيْهَا ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جاءها ، وإنها لتسنى على حمار ، بسَجَرٍ ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بدَلُو مِنْ مَائِهَا ، فتوضأ منه ثم سَكَبَهُ فِيهَا ، فسا تَرَفَّتْ بَعْدُ .

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع مرسلًا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيتُ الليلةُ أني أصبحتُ على بئرٍ من الجنة ، فأصبح على بئرِ غرس ، فتوضأُ منها ، وبرزقَ فيها ، وأهدى له عَسَلٌ فصبه فيها ، وغسل منها حين توفى .
ورواه ابن النجار من طريق ابن زبالة ، دون قوله « وأهدى له من عسل إلى آخره » .

وقال المجد : وفي حديث ابن عمر : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد على شفيرِ غرسٍ : رأيتُ الليلةُ كأني جالس على عين من عيون الجنة ، يعنى بئرِ غرس .

قال : وعن عاصم بن سويد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بعَسَلٍ فشرب منه ، وأخذ منه شيئًا فقال : هذا لبئرِ بئرِ غرس ، ثم صبَّه فيها ، ثم إنه بصَّقَ فيها ، وغسل منها حين توفى .

قلت : وسبق في أوائل الفصل العاشر من الباب الرابع ما يقتضى أن هذه البئر عند مسجد قباء ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أولَ مَقْدَمِهِ قِباءَ أَنَاخَ على غدق عندها ، وقد منّا أن الظاهر أنه تصحيف ؛ لمخالفتها لما هو المعروف في محل هذه البئر .

وقال ابن النجار : هذه البئر بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل ، وهي في وسط الصحراء ، وفد خربها السيل وطَمَّها ، وفيها ماء أخضر ، إلا أنه عَذَب طيب ، وريحه الغالب عليه الأجون .

قال : وذَرَعْتُهَا فكان طولها سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء وعرضها عشرة أذرع .

قال المطرى : وهي اليوم ملك لبعض أهل المدينة ، وكانت قد خربت فجددت بعد السبعائة ، وهي كثيرة الماء ، وعرضها عشرة أذرع ، وطولها يزيد على ذلك ، وماؤها يغلب عليه الخضرة ، وهو طيب عذب .

قلت : وقد خربت بعد ذلك ، فابتاعها وما حولها صاحبنا الشيخ العلامة
المقيد خواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكي الشيخ شهاب الدين أحمد
القواني ، أثابه الله تعالى ، وعمرها وحوط عليها حديقة ، وجعل لها درجة ينزل
إليها منها من داخل الحديقة وخارجها ، وأنشأ بجانبها مسجداً لطيفاً ، ووقفها ،
تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين ومائة .

بئر القراصنة - لم يذكرها وما بعدها ابن النجار ومن بعده ، ولم أر من
ضبطها ، ولعلها بالقاف وبالراء كما في بعض النسخ ، وفي بعضها بالعين بدل القاف

وروى ابن زباله عن جابر بن عبد الله قال : لما استشهد أبي عبد الله عن
عمرو بن حَرَامٍ عَرَضْتُ عَلَى غُرْمَاءِ الْقَرَّاصَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ ، أَصْلُهَا وَثَمَرُهَا بِمَا عَلَيْهِ
مِنَ الدِّينِ ، فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ مِنْهُ ، إِلَّا أَنْ يَقَوْمُوا بِقِيَمَةِ وَيَرْجِعُوا عَلَيْهِ بِمَا بَقِيَ
مِنَ الدِّينِ ، قَالَ : فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : دَعَهُمْ ،
حَتَّى إِذَا كَانَ جَدَادُهَا فَجَدَّهَا فِي أَصُولِهَا ، ثُمَّ اتَّعْنِي فَأَعْلَمَنِي ، فَلَمَّا حَانَ جَدَادُهَا
جَدَّهَا فِي أَصُولِهَا ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْلَمَهُ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَبِصَقَ فِي بَيْرِهَا ، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُؤَدِّيَ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، وَقَالَ : اذْهَبْ يَا جَابِرُ إِلَى غُرْمَاءِ أَبِيكَ فَشَارِطْهُمْ عَلَى سَعْرِ
وَائْتِ بِهِمْ فَأَوْفِيهِمْ ، فَخَرَجَ جَابِرٌ فَشَارِطَهُمْ عَلَى سَعْرِ ، وَقَالَ : انْطَلِقُوا حَتَّى أَوْفِيَكُمْ
حَقُوقَكُمْ ، وَكَانَ أَكْبَرَهُمُ الْيَهُودَ ، قَالَ : فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَمَا تَعَجِبُونَ مِنْ
صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنِ صَاحِبِهِ ، عَرَضَ أَصْلَهُ وَثَمَرَهُ فَأَيَّبْنَا ،
وَيَزْعَمُ أَنَّهُ يُوَفِينَا مِنْ ثَمَرِهِ ، قَالَ : فِجَاءَ بِهِمْ حَتَّى أَوْفَاهُمْ حَقُوقَهُمْ ، وَفَضَّلَ مِنْهَا
مِثْلَ مَا كَانُوا يَجِدُونَ كُلَّ سَنَةٍ .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، إلا أن جهتها جهة مسجد الخربة ،
وهي في غربي مساجد الفتح ؛ لما تقدم فيه من أنه دبر القراصنة ، ويؤيده أن أصل

حديث جابر في أرضه المذكور في الصحيح بطرق وفي بعضها : وكانت لجابر الأرض التي بطريق رومة ، وهذه الجهة بطريق رومة .

وروى أحمد عن جابر قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبي ترك ديناً ليهودي فقال : يأتيك يوم السبت إن شاء الله تعالى ، وذلك في زمن الترمع استجداد النخل ، فلما كان صبيحة يوم السبت جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليّ في مالي أتى الربيع فتوضأ منه ثم قام إلى المسجد فصلى ركعتين ، ثم دنوت به إلى خيمة لي فبسطت له بجاداً من شعر ، الحديث ، والله أعلم .

بئر القرصة - لم أرَ مَنْ ضبطها ، وأظنها بالقاف والصاد المهملة مصغرة .

روى ابن زبالة عن سعد بن حرام والحارث بن عبيد الله قالوا : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بئر في القرصة بئر حارثة ، أو شرب ، و بصق فيها ، وسقط فيها خاتمه فبزغ .

ثم روى عقبه سقوط الخاتم في بئر أريس .

قلت : وهذه البئر لا تعرف اليوم ، إلا أن في شرقي المدينة بقرب القرصة المتقدمة في مسجد القرصة بئرا تعرف بالقرصة مصغر القرصة ، فإن صح الضبط للمتقدم فهي المرادة .

بئر اليسرة - من اليسر ضد العسر .

روى ابن زبالة عن سعيد بن عمرو قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني أمية بن زيد ، فوقف على بئر لهم فقال : ما اسمها ؟ قالوا : عسرة ، قال : لا ، ولكن اسمها اليسرة ، قال : فبصق فيها وبرك فيها .

وروى ابن شبة عن محمد بن حارثة الأنصاري عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى بئر بني أمية من الأنصار اليسرة ، وترك عليها وتوضأ وبصق فيها . وروى ابن سعد في طبقاته عن عمر بن سلمة أن أبا سلمة بن عبد الأسد لما مات غسل من اليسرة ، بئر بني أمية بن زيد بالعالية ، وكان ينزل هناك حين

تحوّل من قباء ، غسل بين قرني البئر ، وكان اسمها في الجاهلية العسرة ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليسرة .
قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بهذا الاسم ، والذي يظهر أنها بئر العهن ؛ لما قدمناه فيها .

وقد استقصينا هذا الغرض فبلغ كما ترى نحو عشرين بئرا ، وما اقتضاه كلام بعضهم من انحصار المآثور من ذلك في سبع مردود ، لسكن الذي اشتهر من ذلك سبع ، ولهذا قال في الإحياء : ولذلك تقصد الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب ، وهي سبعة آبار ، طلبا للشفاء ، وتبركا به صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : وهي أى السبعة المشار إليها : بئر أريس ، وبئر جاء ، وبئر رومة ، وبئر غرس ، وبئر بضاعة ، وبئر البصة ، وبئر السقييا ، أو بئر العهن ، أو بئر جمل ؛ فجعل السابعة مترددة بين الآبار الثلاث ، ثم ذكر نحو ما قدمناه في فضائل هذه الآبار إلا العهن فلم يذكر فيها شيئا ؛ لأن الوارد فيها إنما هو باسمها الآخر ولم يشتهر . ثم قال : والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة .
فبينما وقد روى اللبازي من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في فرضه : صبوا على سبع قرب من آبار شتى ، وهو عند البخاري دون قوله « من آبار شتى » . انتهى .
قلت : ومع ذلك فلا دلالة فيه على أن تلك الآبار السبعة هي المرادة بذلك والمشهور عند أهل المدينة أن السابعة هي العهن . ولهذا قال أبو اليمن ابن الزين المرغني فيما أنشدني عنه أخوه شيخنا العلامة أبو الفرج ناصر الدين المرغني :
إذا رُمّت آبار النبي بطيبة * فعدّها سبع مقللا بلاوهن
ليرة أريس ، وغرس ، رومة ، وبضاعة * كذا بصة ، قل يبر جاء مع العهن

تتمة

في العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بها من العين
الموجودة في زماننا ، وغيرها من العيون .

روى ابن شبة عن عبد الملك بن جابر بن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم
توضأ من العين التي عند كهف بنى حرام ، قال : وسمعت بعض مشيختنا يقول :
قد دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكهف .

عين كهف
بنى حرام

وترجم ابن النجار لذكر عين النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم روى من طريق
محمد بن الحسن وهو عن ابن زباله عن موسى بن إبراهيم بن بشير عن طلحة بن حراش
قال : كانوا أيام الخندق يخرجون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخافون البيات ،
فيؤخرونه كهف بنى حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هبط ، قال : وبقر رسول
الله صلى الله عليه وسلم العين التي عند الكهف ، فلم تزل تجرى حتى اليوم .

قلت : وهو في كتاب ابن زباله ، إلا أنه قال فيه : عن طلحة بن حراش
عن جابر بن عبد الله ، قال ابن النجار عقبه : وهذه العين في ظاهر المدينة ، وعليها
بناء ، وهي في مقابلة المصلى .

قال المطري عقبه : أما الكهف الذي ذكره فعروف في غربي جبل سلع ،
على يمين السالك إلى مسجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار المتوجه إلى
المدينة مستقبل القبلة ، يقابله نخل تعرف بالغنيمية ، أي المعروفة اليوم بالنعيمية
في بطن وادي بطحان غربي جبل سلع ، قال : وفي الوادي عين تأتي من عوالي
المدينة تسقى ماحول المساجد من المزارع وتعرف بعين الخيف خيف شامى ، وتعرف
تلك الناحية بالسيح .

قلت : وقد تقدم في مساجد الفتح إيضاح هذا الكهف ، وأن عنده آثار
تقر في الجبل ، وليست عين الخيف التي ذكرها المطري بجارية في زماننا ، بل
هي منقطعة ، ومجرها معلوم .

وبين ابن النجار بما يأتي عنه في الخندق أنها تأتي من قباء ، وأصلها فيما

يقال معلوم غربي قباء ، وقد شرع في إجرائها متولى العمارة الجنب الشمسى ابن الزمن ، فنتبع قناتها إلى أن آل إلى الموضع الذى يقال إنه أصلها ، ثم بالغوا في تنظيفه فلم يجر .

قال المطرى : فأما العين التي ذكر ابن النجار أنها مقابلة المصلى فهي عين الأزرق ، وهو مروان بن الحكم ، أجراها بأمر معاوية رضى الله تعالى عنه ، وهو واليه على المدينة ، وأصلها من قباء المعروف من بئر كبيرة غربى مسجد قباء في حديقة نخل ، وتجرى إلى المصلى ، وعليها فى المصلى قبة كبيرة مقسومة نصفين ، يخرج الماء منها فى وجهين مدرجين قبلى وشمالى ، وتخرج العين من جهة المشرق ، ثم تأخذ إلى جهة الشمال .

قال : وأما عين النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكر ابن النجار فليست تعرف اليوم ، وإن كانت كما قال عند الكهف المذكور فقد دثرت ، وعفا أثرها .

قلت : مراد ابن النجار أن أصلها عند الكهف ، وأنها تجرى إلى الموضع الذى عليه البناء فى مقابلة المصلى ، وقد وافق ابن النجار على ذلك ابن جبير فى رحلته ، فقال : وقبل وصولك سور المدينة من جهة المغرب بمقدار غلوة تلقى الخندق ، وبينه وبين المدينة عن يمين الطريق العين المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليها حلق عظيم ، ومستدير ، ومنبع العين وسط ذلك الحلق كأنه الحوض المستطيل ، وتحته سقايات مستطيلات باستطالة الحلق ، وقد ضرب بين كل سقاية وبين الحوض بحدارين ، وهو يمد السقايتين ، ويهبط إليهما على أذراج نحو الخمس والعشرين درجة ، وهما لتطهير الناس واستنقايمهم وغسل أثوابهم ، والحوض المذكور لا يتناول منه لغير الاستنقاء خاصة صوتنا له ، انتهى .

قال الجحد : ويشبهه أنه اشتبه عليه عين الأزرق بعين النبي صلى الله عليه وسلم قلت : اتفاه هو وابن النجار على ذلك يبعد الاشتباه ، بل يحتمل أن عين النبي صلى الله عليه وسلم كانت تجرى إلى هذا الموضع ، وكذا عين الأزرق ،

ثم انقطعت الأولى وبقيت الثانية التي هي عين الأزرق .
قال المطري : وقد أخذ الأمير سيف الدين الحسين ابن أبي الهيجاء في حدود
الستين وخمسمائة منها شعبةً من عند مخرجها من القبة ، فساقها إلى باب المدينة
من باب المصلى ، ثم أوصلها إلى الرحبة التي عند مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم من جهة باب السلام ، أي المقابلة لباب المدرسة الزمنية ، وبها سوق
المدينة اليوم .

قال : وبني لها هناك منهلًا بدرج من تحت الدور ، يستقى منه أهل المدينة ،
وجعل لها مصرفًا من تحت الأرض يشق وسط المدينة على الموضع المعروف بالبلاط ،
أي سوق العطارين اليوم ، وما والاه من منازل الأشراف أمراء المدينة ،
يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرق الحصن الذي يسكنه أمير المدينة .

قال : وقد كان جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد ، وجعل لها
منهلًا بدرج عليه عقد يخرج الماء إليه من فؤارة يقوضاً منها من يحتاج إلى
الوضوء ، وحصل في ذلك انتهاك حرمة المسجد من كشف العورات والاستنجاء
في المسجد ، فسدت لذلك .

قلت : وقد سبق في الفصل الحادي والثلاثين من الباب الخامس عن ابن
النجار في ذكر السقايات التي بالمسجد أن الذي عمل هذا المنهل بعض أمراء
الشام واسمه شامة .

ثم ذكر المطري ووصف مسير العين من القبة التي بالمصلى إلى جهة الشام
فقال : وإذا خرجت العين من القبة التي في المصلى سارت إلى جهة الشمال ، حتى
تصل إلى سور المدينة فتدخل تحته إلى منهل آخر بوجهين مدرجين : أي وهو الذي
عند رحبة حصن الأمير ، ثم تخرج إلى خارج المدينة فتصل إلى منهل آخر بوجهين
مدرجين عند قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هناك وتجتمع هي وما يتحصّل من
مصلها في قناة واحدة إلى البركة التي ينزلها الحجاج ، يعني حجاج الشام ، وهي

التي تقدم عنه في الباب الأول في أثرب أن الحجاج يسمونها عين حمزة ، أي
لظنهم أنها عين الشهداء ، وأنها تأتي من جهة مشهد سيدنا حمزة ، وليس كذلك ،
إنما تأتي كما قال من قباء من البئر التي في الحديقة المعروفة بالجعفرية ، وإذا جاوزت
مشهد النفس الزكية وتمدية الوداع مررت من شامى سلع على المسجد المعروف
بمسجد الراية ، ولها هناك منهل آخر ، ثم تسير في جهة المغرب فتمر في غربي
الجليلين اللذين في غربي مساجد الفتح ، وهكذا حتى تصل إلى مغيضها ، وهو
الموضع المسمى بالبركة ، وقد زرع عليها هناك نخيل كثيرة هي اليوم بيد أمراء
المدينة ، وفقر قناتها ظاهرة في الأماكن التي أشرنا إليها ، ولا مرور لها بالشهداء أصلا
فعين الشهداء غير هذه العين ، وهي المراد بما سبق في سابع فصول الباب الخامس
في ذكر قبور الشهداء بأحد من قول جابر : صرخ بنا إلى قتلاتنا يوم أحد حين
أجرى معاوية العين ، وغيره من الأخبار المذكورة هناك ، وحينئذ فكل من
العينين المذكورتين تنسب إلى معاوية : عين الشهداء ، وهي دائرة اليوم ، ويحتمل
أنها التي كان مغيضها عند المسجد المعروف بمصرع حمزة رضي الله تعالى عنه المتقدم
ذكرها في المساجد ، وأن الأمير وديا كان قد جددها ثم دثرت ، لكن أصلها من
جهة العالية ، وبعض قطرها ظاهر يشهد بذلك .

وقال البدر ابن فرحون في ترجمة نور الدين الشهيد : إنه أجرى العين التي
تحت جبل أحد ، قال : وأظنها عين الشهداء ، فإن العين التي أجزاها معاوية
رضي الله تعالى عنه مستبطنة الوادي وقد دثرت ، ورسومها موجودة إلى
اليوم ، انتهى .

والعين الموجودة اليوم المعروفة بعين الأزرق ، وتسميها العامة العين الزرقاء ،
سميت بذلك لأن مروان الذي أجزاها بأمر معاوية كان أزرق العينين ؛
فلذلك لقب بالأزرق .

ومن الغرائب العجيبة ما ذكره المنورقي في جزء ألفه في فضائل الطائف
عن الفقيه أبي محمد عبد الله بن حمو البخاري عن شيخ الخدام بالحرم النبوي بدر
الشهابي أنه بلغه أن مِيضَاة وقعت في عين الأزرق بالطائف ، فخرجت في عين
الأزرق بالمدينة .

ويذكر أنه كان بالمدينة وما حَوْلَهَا عيونٌ كثيرة تجددت بعد النبي صلى الله
عليه وسلم ، وكان لمعاوية رضي الله تعالى عنه اهتمام بهذا الباب ، ولهذا كثرت
في أيامه الغِلَالُ بأراضي المدينة ، فقد نقل الواقدي في كتاب الحرّة أنه كان بالمدينة
على زمن معاوية صَوَافِي كثيرة ، وأن معاوية كان يحدُّ بالمدينة وأعراسها مائة
ألف وَسَقٍ وخمسين ألف وَسَقٍ ، ويحصده مائة ألفِ وَسَقٍ حنطة .

الفصل الثاني

في صدقاته صلى الله عليه وسلم ، وما غرَسَهُ بيده الشريفة

روى ابن شبة فيما جاء في أمواله صلى الله عليه وسلم وصدقاته عن ابن شهاب
قال : كانت صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالاً مُخَيَّرِيقَ اليهودي ،
أى بالخاء المعجمة والقاف مصغراً .

أصل صدقات
الرسول

قال عبد العزيز - يعنى ابن عمران - بلغنى أنه كان من بقايا بني قَيْنُقَاع ،
ثم رَجَّح حديث ابن شهاب قال : وأوصى مُخَيَّرِيقَ بأمواله للنبي صلى الله عليه
وسلم ، وشهد أحداً فقتل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُخَيَّرِيقَ سابق
يهود ، وسلمان سابق فارس ، ويزل سابق الحبشة .

قال : وأسماء أموال مخيريق التي صارت للنبي صلى الله عليه وسلم : الدلال ،
وبرقة ، والأعواف ، والصفافية ، والميثب ، وحُسْنَى ، ومشرية أم إبراهيم .

أسماء صدقات
الرسول
ومواضعها

فيأما الصفافية وبرقة والدلال والميثب فجاورت الأعلى الصورين من خلف
قصر مروان بن الحكم ، ويسمىها مهزور .

وأما مشربة أم إبراهيم فيسقيها مهزور ، فإذا بلغت بيت مدراس اليهود
فحيث مال أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة الأسدي فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه ،
وذكر ما قدمناه عنه في المساجد في سبب تسميتها بمشربة أم إبراهيم .

ثم قال : وأما حسنى فيسقيها مهزور ، وهى من ناحية القف .

وأما الأعواف فيسقيها مهزور ، وهى من أموال بنى محم .

ثم قال : قال أبو غسان : وقد اختلف في الصدقات فقال بعض الناس :

هى أموال بنى قريظة والنضير .

وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كانت الدلال لامرأة من بنى النضير ،

وكان لها سلمان الفارسى ، فكاتبته على أن يجيها لها ، ثم هو حر ، فأعلم بذلك

النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليها فجلس على فقير ، ثم جعل يحمل إليه الودى

فيضعه بيده ، فما عدت منها ودية أن طلعت . قال : ثم أفاءها الله على رسوله

صلى الله عليه وسلم ، قال : والذي يظهر عندنا أنها من أموال بنى النضير ،

ومما يدل على ذلك أن مهزورا يسقيها ، ولم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال

بنى النضير .

قلت : فيه نظر ؛ إذ المعروف ببنى النضير إنما هو مدين ، ومهزور لبنى قريظة .

ثم قال : وقد سمعنا بعض أهل العلم يقول : إن برقة والميثب للزبير بن باطا ،

وهما اللتان غرس سلمان ، وهما مما أفاء الله من أموال بنى قريظة . والأعواف :

كانت لخنافة اليهودى من بنى قريظة ، والله أعلم ما هو الحق من ذلك .

ثم قال : قال الواقدي : وقف النبي صلى الله عليه وسلم الأعواف وبرقة **وقف الرسول**

وميثب والدلال وحسنى والصابية ومشربة أم إبراهيم سنة سبع من الهجرة ، قال : **أمواله**

وقال الواقدي عن الضحاک بن عثمان عن الزهرى قال : هذه الحوائط السبعة من

أموال بنى النضير : قال : وقال بسنده لعبد الله بن كعب بن مالك قال : قال

مخير بن يوم أحد : إن أصبت فأموالى لحمد يضعها حيث أراد الله ، فهى عامة

صدقاتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال عن أيوب بن أبي أيوب عن
عثمان بن وثاب قال : ما هي إلا من أموال بني النضير ، لقد رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أحدٍ ففرَّقَ أموالَ مخيريق ، اه ما أورده ابن شبة .
وقال الجحد : قال الواقدي : كان مُخَيَّرِيقُ أَحَدُ بني النضير حَبْرًا عالمًا ،
فَأَمَّن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل ماله وهو سبع حوائط لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وذكر الحوائط المتقدمة ، ونقل الذهبي عن الواقدي سوى ذكر الحوائط ،
لكن في أوقاف الخصاص : قال الواقدي : مُخَيَّرِيقُ لم يسلم ، ولكنه قَاتَلَ وهو
يهودي ، فلما مات دُفِنَ في ناحية من مقبرة المسلمين ، ولم يصل عليه .

وروى ابن زبالة عن محمد بن كعب أن صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت أموالاً لمخيريق اليهودي ، فلما كان يوم أحدٍ قال لليهود : ألا تنصرون
محمدًا صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله إنكم لتعلمون أن نصرته حق ، قالوا : اليوم
السبت ، قال : فلا سَبَّتَ لكم ، وأخذ سيفه فمضى مع النبي صلى الله عليه وسلم
فقاتل حتى أثبتته الجراح ، فلما حَضَرَتِ الوفاة قال : أموالى إلى محمد يَضَعُهَا حيث
يشاء .

قال محمد بن طلحة راويه : قال عبد الحميد : وكان ذا مال كثير ، فهي عامة
صدقاتُ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مخيريق خير اليهود ، قال : وهي الدلال ، وذكر الحوائط المتقدمة ، إلا أنه قال :
والعواف بدل الأعواف .

وروى أيضًا عن بكر بن أبي ليلى عن مشيخة الأنصار قالوا : كانت أموال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير حشاشين ومزارع وإبلا ،
فَفَرَسَهَا الأمراء بعد ، وعملوها ، وهي سبعة أموال ، وذكر الحوائط المتقدمة .
وعن عثمان بن كعب قال : اختلف الناسُ في صدقات النبي صلى الله عليه
وسلم ، فقال بعضهم : كانت من أموال بني قريظة والنضير ، قال عثمان بن كعب :

وليس فيها من أموال بني النضير شيء ، إنما صارت أموال بني النضير للمهاجرين
نَفَلًا ، قال : وكانت بركة والميثب للزبير بن بطة .

وقال بعضهم : كانت الدلال من أموال بني ثعلبة من يهود ، وكانت مشربة
أم إبراهيم من أموال بني قُرَيْظَةَ ، وكانت الأعواف لخنافة جد ریحانة ، قال :
ويقال : كانت الأعواف من أموال بني النضير .

وروى أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه أن سلمان الفارسي كان لناسٍ من
بني النضير ، فكاتبوه على أن يغرس لهم كذا وكذا وَدِيَّةً حتى تبلغ عشر
سَعَفَات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ضَعُ عند كل فقير وَدِيَّةً ، ثم غدا إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده ، ودعاه ، فما عطبت منها وَدِيَّةً ، ثم أفاءها
الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فهي الميثب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة .
قلت : يتحصّل من مجموع ما تقدم أن نَحَلَ سَلْمَانَ الذي غَرَسَهُ صلى الله
عليه وسلم هو الدلال ، وقيل : بركة والميثب ، وقيل : الميثب .

وروى أحمد والطبراني رجال الصحيح إلا ابن اسحاق وقد صرح بالسماع
عن سلمان الفارسي حديثه الطويل ، وفيه ما يقتضى أنه بالفقير ، وأنه أثمر
من عامه ، وأنه ذكر فيه عن سلمان أن يهوديا من بني قُرَيْظَةَ ابتاعه من ابن عم
له بوادي القرى ، قال : فاحتلمني إلى المدينة ، ثم ذكر خبر إسلامه ، وقال : ثم
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَاتِبٌ ، فكاتبته صاحبي على ثلثمائة
نَخْلَةٍ أحبيها له بالفقير وأربعين أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَعِينُوا
أَخَاكُمْ ، فأعانوني بالنخل ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلثمائة
وَدِيَّةً ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان فَفَقَّرْ لها ، فإذا
فرغت فائتني أكنُ أنا أضعها بيدي ، قال : فَفَقَّرْتُ وأعانتني أصحابي ، حتى
إذا فرغتُ جئتُه فأخبرته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها ، فجعلنا
نقرب إليه الْوَدِيَّ ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا ، فوالذي

نفسُ سلمان بيدي ما ماتت منها وديةٌ واحدة ، قال : فأدَّيتُ النخلَ وبقي على المالُ ، وذَكَر خبره فيه .

وذَكَر ابن عبد البر في خبر سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما ، وعلى أن يفرس لهم كذا وكذا من النخل ، يعمل فيها سلمان حتى يُدْرِك ، ففرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النخلَ كله إلا نخلةً غرَسها عمر فأطعم النخلُ كله إلا تلك النخلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ غرَسها؟ قالوا : عمر ، فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرَسها فأطعمت من عامها ، وفي رواية أن تلك الودية التي لم تثمر غرَسها سلمان .

قلت : والفقير اسمُ الحديقةِ بالعالية قُرْبَ بنى قريظة ، وقد خفي ذلك على بعضهم فقال كما نقله ابن سيد الناس : قوله « بالفقير » الوجهُ إنما هو بالفقير ، انتهى . والصواب أنه اسم لموضع ، وليس هو من صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد ذَكَر ابن شبة في كتاب صدقة علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه الذي كان بيد الحسن بن زيد ما لفظه : والفقير لى كما قد علمت صدقة في سبيل الله ، لكنه سماه قبيل ذلك في أخبار صدقاته بالفقيرين ، مُشْتَقًى ، فقال : وكان لى صدقات بالمدينة الفقيرين بالعالية وبئر الملك بقناة ، فالظاهر أنه يسمى بكل من اسمين ، وأهل المدينة اليوم ينطقون به مفردا بضم الفاء تصغير الفقير ضد الغنى .

وقد ذَكَر ابن زبالة مفردا فيما رواه عن محمد بن كعب القرظي قال : كانت بئرُ غاضر والبرزتان قبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأضيافه ، وكانت لسكعب بن أسد ، وكان الفقير لعمر بن سعد ، وصار لعلي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه .

قال : وسمعت من يقول : كانت بئرُ غاضر والبرزتان من طعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير .

قلت : وبئر غاضر اليوم غير معروفة ، وأما البرزتان فحديقتان بالعالية متجاورتان يقال لإحدهما البرزة وللأخرى البريزة مصغرة ، ووقع في النسخة التي وقفت عليها من كتاب ابن شبة : قال أبو غسان سمعت من يقول : كانت بئر غاضر والنويرتين من طعمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما من أموال بنى قريظة بعالية المدينة ، وقد قيل في ذلك إن بئر غاضر مما دخلت في صدقة عثمان في بئر أريس ، انتهى . وأظن قوله « النويرتين » تصحيفا ، وصوابه البرزتان كما في كتاب ابن زبالة لما قدمناه .

تحديد مواضع
الصدقات
والمعروف
منها

وأما بيان مواضع صدقات النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة فقد تقدم أن الصافية وبرقة والدلال والميثب متجاورات بأعلى الصورين ؛ فالصافية معروفة هناك اليوم ، قال الزين المراغي : هي في شرقي المدينة الشريفة بجزء زهرة ، ورأيت ضبط بخط زهير بضم الزاي مصغرة زهرة لاشتهاره في زمنه بذلك ، وإنما هو زهرة مكبر لما سيأتى في ترجمتها ، وبرقة معروفة أيضا في قبلة المدينة مما يلي المشرق ، ولناحيتهما شهرة بها كما قال المراغي .

والدلال : جزء معروف أيضاً قبلي الصافة بقرب المليكي ، وقف فقهاء المدرسة الشهابية كما قاله الزين المراغي أيضا .

والميثب : غير معروف اليوم ، ويؤخذ من وصف هذه الأربعة بكونها متجاورات قربها من الأماكن المذكورة ، ولعله بقرب برقة لما سبق من أنهما اللذان عرسهما سلمان ، وكانا لشخص واحد .

والأعواف : جزء معروف بالعالية بقرب المربع ، كما تقدم بيانه في بئر الأعواف من الفصل قبله .

ومشربة أم إبراهيم : معروفة بالعالية كما تقدم بيانه في المساجد .
وحسنى - ضبطها الزين المراغي كما في خطه بالقلم بضم الحاء وسكون السين المهملتين ثم نون مفتوحة - قال : وروايته كذلك في ابن زبالة بالسين بعد الحاء ،

قال : ولا يعرف اليوم ، ولعله تصحيف من الحناء بالنون بعد الحاء ، وهو معروف اليوم .
قلت : حمل ذلك على التصحيف المذكور متعذر ؛ لأنني رأيت بحاء ثم سين ثم نون في عدة مواضع من كتاب ابن شبة ومن كتاب ابن زباله وغيرهما ، وإن أراد أن أهل زمانه صحّفوه بالحناء فلا يصح أيضاً ؛ لأن الموضع المعروف اليوم بالحناء في شرق الماجشونية ، لا يشرب بمهزور ، وقد تقدم أن حُسْنِي يسقيها مهزور ، وأنها بالقف ، وسيأتي في بيان القف ما يقتضى أنه ليس بجهة الحناء .
والذي يظهر أن حُسْنِي هو الموضع المعروف اليوم بالحسينيات بقرب الدلال ، فإنه بجهة القف ، ويشرب بمهزور ، وسيأتي في القف ما يؤيده .

وهذه الأماكن السبعة هي صدقاته صلى الله عليه وسلم ، ولم أقف على أصل ما قاله رزين العبدري من أن الموضع المعروف بالبويرة بقاء صدقة النبي صلى الله عليه وسلم من النخل ، قال : ولم تزل معروفة للمساكين ، محبوبسة عليهم ، وعلى من مرّ بها إلى عهد قريب من تاريخ الخمسمائة كالعشرين سنة ونحوها ، فتغلب عليها بعض ولاية المدينة لنفسه ، قال : وبها حصن النضير وحصون قريظة ، انتهى .
وهو مردود من وجهين :

أحدهما : أن الأئمة المتقدم ذكرهم مع اعتنائهم بهذا الباب لم يذكروا هذا الموضع في صدقاته صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أن ما ذكره من أن بهذا الموضع حصون قريظة والنضير مردود بما قدمناه في منازلها ، والموضع الذي ذكره في جهة قبلة المسجد إلى جهة المغرب من منازلها ، وسنبين في ترجمة البويرة أن هذا الموضع ليس هو البويرة المنسوبة لبني النضير ، وكان منشأ ما وقع له تسمية هذا الموضع بالبويرة ، وأن صدقة النبي صلى الله عليه وسلم من أموال النضير أو قريظة ، على ما سبق من الخلاف ، وظن أنه المراد .

طلب فاطمة
من أبي بكر
صدقات أبيها

وهذه الصدقات مما طلبته فاطمة رضي الله تعالى عنها من أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وكذلك سهمه صلى الله عليه وسلم بخير وفدك .
وفي الصحيح عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أخبرته أن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر رضي الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة » فغضبت فاطمة ، فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، قال : وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير وفدك وصدقته بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذلك . وقال : لست تاركا شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا إذا عملت به ، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ ، فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس ، وأما خير وفدك فأمسكهما عمر ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانتا لحقوقه التي تعرفوه .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : أن فاطمة رضي الله تعالى عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله على رسوله ، وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خير ، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال » وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعلمن فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، فهجرت فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها على ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، رضي الله تعالى عنهم .

وفي رواية له أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر ، وذكره مختصراً كما في رواية الصحيح أيضاً ، وقال فيه : فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك المال حتى ماتت ، وكذا نقل الترمذي عن بعض مشايخه أن معنى قول فاطمة لأبي بكر وعمر « لا أكلكما » أى في هذا الميراث ، ولا يردده قوله « فهجرته » إذ ليس المراد الهجر الحرام ، بل تركها للقاءه ، والمدة قصيرة ، وقد اشتغلت فيها بجزئها ثم بمرضها ، ويؤيد ذلك ما رواه البيهقي بإسناد صحيح إلى الشعبي مرسلًا أن أبا بكر عاد فاطمة فقال لها على : هذا أبو بكر يستأذن عليك ، قالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم ، فأذنت له ، فدخل عليها فرضاها حتى رضيت عليه .

أما سبب غضبها مع احتجاج أبي بكر بما سبق فلاعتقادها تأويله ، قال الحافظ ابن حجر : كأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله « لا نورث » ورأت أن المنافع [لكل] ما خلفه من أرض وعقار لا يمنع أن يورث ، وتمسك أبو بكر بالعموم ، فلما صمم على ذلك انقطعت عنه .

قلت : بقي لذلك تنمة ، وهي أنها فهمت من قوله « ما تركنا صدقة » الوقف ورأت أن حق النظر على الوقف وقبض نمائه والتصرف فيه يورث ، ولهذا طالبت بنصيبها من صدقته بالمدينة ، فكانت ترى أن الحق في الاستيلاء عليها لها وللعباس رضي الله تعالى عنهما ، وكان العباس وعلي رضي الله تعالى عنهما يعتقدان ما ذهبت إليه ، وأبو بكر يرى الأمر في ذلك إنما هو للإمام ، والدليل على ذلك أن عليا والعباس جاءا إلى عمر يطلبان منه ما طلبت فاطمة من أبي بكر ، مع اعترافهما له بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث » ، ما تركنا صدقة » لما في الصحيح من قصة دخولهما على عمر يختصمان فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من مال بني النضير ، وقد دفع إليهما ذلك ليعملا فيه بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به وأبو بكر بعده ، وذلك بحضور عثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد والزبير ، قال في الصحيح : فقال الرَّهْطُ عثمان وأصحابه : يا أمير المؤمنين

تمت
بجوابه
بإتقان

أَقِضْ بَيْنَهُمَا وَأَرِحْ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ ، فَقَالَ عُمَرُ : عَلَيَّ تَيْدِكُمْ ، أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ
الَّذِي يَأْذَنُ تَقْوَمَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ « لَا نُورِثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً » يَعْنِي نَفْسَهُ ؟ فَقَالَ الرَّهْطُ : قَدْ قَالَ ذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ
عُمَرُ عَلَى الْعَبَّاسِ وَعَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ : أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ ؟ قَالَا : قَدْ قَالَ ذَلِكَ ، قَالَ عُمَرُ : فَإِنِّي أَحَدْتُكُمْ عَنْ هَذَا
الْأَمْرِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا النَّبِيِّ ، بِشَيْءٍ
لَمْ يُعْطَهُ أَحَدًا غَيْرَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) إِلَى قَوْلِهِ (قَدِيرٌ) فَكَانَتْ
هَذِهِ خَاصَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ مَا احْتَاظَهَا دُونَكُمْ وَلَا اسْتَأْثَرَهَا
عَلَيْكُمْ ، قَدْ أَعْطَا كُمُوهَا وَبَنَاهَا فِيكُمْ حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ
فِيَجْعَلُهُ مَجْعَلُ مَالِ اللَّهِ ، فَعَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ حَيَاتِهِ ،
أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ : أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ
هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ ؟ قَالَا : نَعَمْ ، قَالَ عُمَرُ : ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا وَوَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَبِضْهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَعَمِلَ
فِيهَا بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُ فِيهَا لِصَادِقٍ بَارٍ رَاشِدٍ
تَابِعٍ لِلْحَقِّ ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَكَانَتْ أَنَا وَوَلِيُّ أَبِي بَكْرٍ فَقَبِضْتُهَا سَنَتَيْنِ مِنْ
إِمَارَتِي ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي فِيهَا لِصَادِقٍ بَارٍ رَاشِدٍ تَابِعٍ لِلْحَقِّ ، ثُمَّ جِئْتَنِي تَكَلِمَاتِي وَكَلِمَاتُكُمْ
وَاحِدَةٌ وَأَمْرٌ كَمَا وَاحِدٌ ، جِئْتَنِي يَا عَبَّاسُ تَسْأَلُنِي نَصِيْبَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ وَجَاءَنِي هَذَا -
يُرِيدُ عَلِيًّا - يَسْأَلُنِي نَصِيْبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا ، فَقُلْتُ لَكُمْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا نُورِثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً » فَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمْ قُلْتُ :
إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمْ عَلَى أَنْ عَلَيْكُمَا عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَتَعْمَلَانِ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَبِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مِنْذُ وَلِيْتَهَا ، فَقُلْتُمَا :
ادْفَعْهَا إِلَيْنَا ، فَبِذَلِكَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمْ ، فَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ ؟ قَالَ

الرهط : نعم ، الحديث من رواية مالك بن أوس ، وهو صريح في مطالبتهما مع اعترافهما بحديث « لَانُورَتْ » فليس محله إلا ما تقدم من أنهما فهما أن ذلك من قبيل الوقف ، وأن وريثة الواقف أولى بالنظر على الموقوف ، سيما وما قبضاه من أموال بني النضير هو صدقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولهذا زاد شعيب في آخر الحديث المذكور : قال ابن شهاب : فحدثت بهذا الحديث عروة ، فقال : صدق مالك بن أوس ، أنا سمعت عائشة رضی الله تعالى عنها تقول ، فذكر حديثها ، قال : وكانت هذه الصدقة بيد علي منعها العباس فغلبه عليها ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد علي بن حسين والحسن بن الحسن ، ثم بيد زيد بن الحسن ، وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري مثله ، وزاد : قال معمر : ثم كانت بيد عبد الله بن حسن حتى ولي هؤلاء ، يعني بني العباس ، فقبضوها ، وزاد إسماعيل القاضي أن إعراض العباس عنها كان في خلافة عثمان .

وفي سنن أبي داود عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر قصة بني النضير ، وقال في آخرها : فكانت نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، أعطها الله إياه ، فقال (ما أفاء الله على رسوله منهم - الآية) قال : فأعطى أكثرها للمهاجرين ، وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : صدقات النبي صلى الله عليه وسلم اليوم بيد الخليفة : يولى عليها ، ويعزل عنها ، ويقسم ثمرها وغلتها في أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر ما يرى من هي في يده .

قال الحافظ بن حجر ، بعد نقل نحو ذلك عنه : وكان ذلك على رأس المائتين ، ثم تغيرت الأمور ، والله المستعان .

قلت : قال الشافعي فيما نقله البيهقي : وصدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي - قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها ، وصدقة عمر بن

الخطاب قائمة ، وصدقة عثمان ، وصدقة عليّ ، وصدقة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقة مَنْ لا أحصى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأعراضها .

وذكر المجد في ترجمة فدك ما يقتضى أن الذى دَفَعَهُ عمر إلى علي والعباس رضى الله تعالى عنهم ووقعت الخصومة فيه هو فدك ، فإنه قال فيها : وهى التى قالت فاطمة رضى الله تعالى عنها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَحَلَنِيهَا ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أريد بذلك شهودا ، فشهد لها عليّ ، فطلب شاهدا آخر ، فشهدت لها أم يمن ، فقال : قد علمت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز إلا شهادة رجل وامرأتين ، وانصرفت ، ثم أَدَّى اجتهاد عمر^(١) لما ولى وفتحت الفتوح ، وكان علي يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها فى حياته لفاطمة ، وكان العباس يأبى ذلك ، فكانا يختصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ، ويقول : أنتما أعرف بشأنكما ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فدك إلى ولد فاطمة ، فكانت فى أيديهم أيامه ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قبضها ، فلم تزل فى بنى أمية حتى ولى أبو العباس السفاح الخلافة ، فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب ، فكان هو القيم عليها يفرقها فى ولد علي ، فلما ولى المنصور وخرج عليه بنو حسن قبضها عنهم ، فلما ولى ابنه المهدي أعادها عليهم ، ثم قبضها موسى بن الهادى ومن بعده إلى أيام المأمون ، فجاءه رسول بنى عليّ فطالب بها ، فأمر أن يُسَجَّلَ لهم بها ، فكتب السجل وقرئ على المأمون ، فقام دُعْبِلُ وأنشد :

أَصْبَحَ وَجْهُ الزمان قد ضحكَا
برَدِّ مأمونِ هاشمِ فدكا

(١) السلام لا يتم إلا بذكر ما أدى إليه اجتهاد عمر رضى الله تعالى عنه ، والمراد مفهوم ، وهو أنه دفعها إليهم .

قلت : ورواية الصحيح السابقة عن عائشة ترد ما ذكره من دفع عمر فدك لعلي وعباس واختصامهما فيها ؛ لقول عائشة رضي الله تعالى عنها : وأما خير وفدك فأمسكهما عمر ، وكذلك ما ذكره من أن عمر بن عبد العزيز رد فدك إلى ولد فاطمة موافق لما نقله هو عن ياقوت من أن عمر بن عبد العزيز لما ولي خطب الناس ، وقص قصة فدك وخلصها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنفاقه منها ووضع الفضل في أبناء السبيل ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله عليهم فعلوا كفعله ، فلما ولي معاوية أقطعها مروان بن الحارث ، وأن مروان وهبها لعبد العزيز وعبد الملك ابنيّه ، قال : ثم صارت لي ولوليد وسليمان ، وأنه لما ولي الوليد سأنته فوهبها لي وسألت سليمان حصته فوهبها لي ، فاستجمعتها ، وأنه ما كان لي مال أحب إليّ منها ، وإني أشهدكم أنني ردّتها على ما كانت في أيام النبي صلى الله عليه وسلم والأربعة بعده ، فكان يأخذ مالها هو ومن بعده فيخرجه في أبناء السبيل .

قلت : وقيل : إن الذي أقطع فدك لمروان عثمان رضي الله تعالى عنه ، قال الحافظ ابن حجر : إنما أقطع عثمان فدك لمروان ؛ لأنه تأول أن الذي يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده ، فاستغنى عثمان عنها بأمواله ، فوصل بها بعض قرابته .

وأما ما ذكره المجدد من أن فاطمة رضي الله تعالى عنها أدعت محلّ فدك فروى ابن شبة ما يشهد له عن النمير بن حسان قال : قلت لزيد بن علي وأنا أريد أن أهجن أمر أبي بكر : إن أبا بكر انتزع من فاطمة رضي الله تعالى عنها فدك فقال : إن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان رجلاً رحياً ، وكان يكره أن يغير شيئاً تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنته فاطمة رضي الله تعالى عنها فقالت : إن رسول الله أعطانى فدك ، فقال لها : هل لك على هذا بينة ؟ فجاءت بعلي رضي الله تعالى عنه ، فشهد لها ، ثم جاءت بأم أيمن ، فقالت : أليس تشهد أني من أهل

الجنة؟ قال: بلى، قالت: فأشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها فذاك، فقال أبو بكر: فبرجل وامرأة تستحقينها أو تستحقين لها القضية؟ قال زيد بن علي: وإيم الله لو رجعت لي الأمر لقصيتُ فيها بقضاء أبي بكر رضى الله تعالى عنه.

في مسائل الجبسة
(في المسألة)

وروى ابن شبة أيضاً عن كثير النوى قال: قلت لأبي جعفر: جعلني الله فداءك! أرايت أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما هل ظلماكم من حكمكم شيئاً أو ذهباً به؟ قال: لا والذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ما ظلما منا من حقنا مثقال حبة من خردل، قلت: جعلت فداءك! فأتولاهما؟ قال: نعم، ويحك! تولهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك في عنقي، ثم قال: فعَلَّ الله بالغيرة وبكيان فإنهما كذبا علينا أهل البيت.

قلت: وبذلك الكذب تعلقت الرِّوَا فاض، ولم يفهموا الأحاديث المتقدمة على وجهها، والله أعلم.

الفصل الثالث

فيما يُنسَبُ إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد التي بين مكة والمدينة، بالطريق التي كان يسلكها صلى الله عليه وسلم، وهي طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وهي تفارق طريق الناس اليوم من قرب مسجد الغزاة كما سيأتي، فلا تمر بالخيف ولا بالصفراء، بل تمر بالحى وثنية هرشي ثم الجحفة كما سيوضح لك، ويكون طريق الناس اليوم على يمين السالك في هذا الطريق، فتمر على رابع أسفل من الجحفة، ثم تلتقى مع هذه الطريق فوق الجحفة قرب طريق قديد.

وفي الأخبار أن من أدب الزائر إلى المساجد التي بين الحرمين أن يصلي فيها، وهي عشرون موضعاً.

قلت: وهذا بالنسبة إلى هذه الطريق، مع أن أبا عبد الله الأسدي قد ذكر

فيها أزيد من ذلك ، وقد أضفنا إليه ما وجدناه في كلام غيره ، وأوردناها على ترتيبها من المدينة إلى مكة ، زادها الله شرفاً .

مسجد الشجرة (ذى الحليفة)
فمنها مسجد الشجرة ، ويعرف بمسجد ذى الحليفة أيضاً ، والحليفة : الميقات
المدني ، ويعرف اليوم ببئر علي .

روينا في صحيح مسلم عن ابن عمر قال : بات رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذي الحليفة مبدأه ، وصلى في مسجدتها .

وروي يحيى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى مكة
صلى في مسجد الشجرة .

وروي ابن زبالة عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل
بذي الحليفة حين يعتمر ، وفي حجته حين حج ، تحت سَمرة في موضع المسجد
الذي بذي الحليفة .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوسطى ، استقبلها ، وكانت موضع الشجرة التي
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إليها .

وعن أنس بن مالك قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
الظاهر أربعاً ، والعصر بذي الحليفة ركعتين .

وعن ابن عمر أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم أتناخ بالبطحاء التي بذي الحليفة
وصلى بها .

قلت : المعنى بذلك موضع المسجد المذكور ، فإنه كان موضع نزوله صلى الله
عليه وسلم ، وبنى في موضع الشجرة التي كانت هناك ، وبها سمي «مسجد الشجرة»
وهي السَمرة التي ذكر في حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل
تحتها بذي الحليفة كما في الصحيح .

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلاً فقال: لَبَيْكَ اللَّهُمَّ لَبَيْكَ، الحديث .

وفي رواية له: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركعُ بذى الحليفة ركعتين، ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلَّ بهؤلاء الكلمات . ويتحصل من صحيح الروايات أنه صلى الله عليه وسلم خرج لحجته نهاراً ، وبات بذى الحليفة ، وأحرم في اليوم الثاني من عند المسجد ، فيظهر أن صلواته صلى الله عليه وسلم في تلك المدة كانت كلها به ، ولم أقف على اغتساله صلى الله عليه وسلم لإحرامه بذى الحليفة .

وفي باب « ما يلبس المحرم » من البخارى عن ابن عباس قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة بعدما ترَجَّلَ واذن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه الحديث ، وليس فيه تصريح بالاغتسال ، لكن في طبقات ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم خرج في حجة الوداع من المدينة مُغتسلاً متدهناً مترجلاً مُتَجَرِّداً في ثوبين سحارين إزار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة . وفي كتاب التنبهات للقاضى عياض : ظاهر المذهب أن المستحب الاغتسال بالمدينة ، ثم يسير من فوره ، وبذلك فسره سحنون وابن الماجشون ، وهو الذى فعله النبي صلى الله عليه وسلم ، كما استحب أن يلبس حينئذ ثياب إحرامه ، وكذلك فعل عليه الصلاة والسلام ، انتهى .

قلت : ولم يتعرض أصحابنا لذلك ، لكن قالوا : إن من اغتسل في التنعيم في الإحرام أجزاءه عن الغسل لدخول مكة للقرب ، فيؤخذ منه اعتبار القرب ، وهو مُتَأَنٍّ لظاهر ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يحرم من ذى الحليفة إلا في اليوم الثاني ، فيحتمل أنه أعاد الغسل حينئذ بذى الحليفة . أما لو كان الإحرام عقب الوضوء إلى ذى الحليفة ونحوه فلا يبعد القول به عندنا ، كما ذكرنا

في الغسل للجمعة من الفجر ، وعدم اشتراطهم لاتصاله بالرّواح .
قال المطرى ، وتبعه مَنْ بعده ، بعد بيان إحرامه صلى الله عليه وسلم عندما
انبعثت به راحلته من عند المسجد : فينبغي للحجاج إذا وصل إلى ذى الحليفة أن
لا يتعدى في زاوية المسجد المذكور وما حوله من القبلة والمغرب والشام ، بحيث
لا يبعد عما حول المسجد ، وإن كثيرا من الحجاج يتجاوزون ما حول المسجد إلى
جهة المغرب ، ويصعدون إلى البيداء ، فيتجاوزون الميقات بيقين .

قلت : لم يبين نهاية ذى الحليفة . وقوله « حول المسجد » لا ضابط له ، ولا
يلزم من نزوله صلى الله عليه وسلم بالمسجد وما حوله انحصار ذى الحليفة في ذلك ،
وسنشير إلى زيادة في ذلك في ترجمة ذى الحليفة ، مع بيان المسافة التي بينها
وبين المدينة .

قال المطرى : وهذا المسجد هو المسجد الكبير الذى هناك ، وكان فيه عقود
في قبلته ، ومنازة في ركنه الغربى الشمالى ، فتهدمت على طول الزمان .
قال المجد : ولم يبق منه إلا بعض الجدران وحجارة متراكمة .

قلت : جدد المقر الزينى زين الدين الاستدار بالملكة المصرية تعمده الله
برحمته هذا الجدار الدائر عليه اليوم ، لما كان بالمدينة معزولا عام أحد وستين
وثمانمائة ، وبناه على أساسه القديم ، وموضعُ المنارة في الركن الغربى باقى على حاله ،
وجعل له ثلاث درجات من المشرق والمغرب والشام ، في كل جهة منها درجة
مرتفعة ، حفظاً له عن الدواب ، ولم يوجد لحرابه الأول أثر لانهدامه ، فجعل
الحراب في وسط جدار القبلة ، ولعله كان كذلك ، واتخذ أيضاً الدرج التي للآبار
التي هناك ينزل عليها مَنْ يريد الاستقاء .

وطولُ هذا المسجد من القبلة إلى الشام اثنان وخمسون ذراعاً ، ومن المشرق
إلى المغرب مثل ذلك .

قال المطري : وفي قبلته مسجد آخر أصغر منه ، ولا يبعد أن يكون النبي مسجد آخر صلى الله عليه وسلم صلى فيه أيضاً ، بينهما مقدار رمية سهم أو أكثر بذى الخليفة قليلاً ، انتهى .

قلت : ويؤخذ مما سيأتى عن الأسدى أنه مسجد المعرّس ، والله أعلم .
ومنها : مسجد المعرّس - قال أبو عبد الله الأسدى في كتابه وهو من المتقدمين يؤخذ من كلامه أنه كان في المائة الثالثة : بذى الخليفة عدة آبار ومسجدان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسجد الكبير الذى يحرم الناس منه ، والآخر مسجد المعرّس ، وهو دون مُصْعَد البيداء ناحية عن هذا المسجد ، وفيه عرّس رسول الله صلى الله عليه منصرفه من مكة .

قلت : ليس هناك غير المسجد المتقدم ذكره في قبلة مسجد ذى الخليفة على نحو رَمِيَةِ سهم سبقت منه ، وهو قديم البناء بالقَصَّة والحجارة المطابقة ؛ فهو المراد .
وفي صحيح البخارى في باب المساجد التى على طريق المدينة والمواقع التى صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم عن نافع أن عبد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان ينزل بذى الخليفة - حين يعتمر ، وفي حجته حين حج - تحت سَمْرَةَ في موضع المسجد الذى بذى الخليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو حجاً أو عمرة هَبَطَ بطن وادٍ ، فإذا ظهر من بطن وادٍ أناخ بالبطحاء التى على سفير الوادى الشرقية فَعَرَّسَ ثمَّ حتى يصبح » ليس عند المسجد الذى بحجارة ولا على الأكمة التى عليها المسجد ، وكان ثم خليج يصلى عبد الله عنده في بطنه كشب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يصلى فدحا فيه السيل بالبطحاء ، حتى دفن ذلك المكان الذى كان عبد الله يصلى فيه .

قال الحافظ ابن حجر : قوله « بطن وادٍ » أى وادى العقيق .

قلت : ورواه ابن زبالة بلفظ « هبط بطن الوادى ، فإذا ظهر من بطن الوادى أناخ بالبطحاء التى على سفير الوادى الشرقية » .

ورواه المطري من غير عَزْوٍ ، وقال فيه « هبط بطن الوادى وادى العقيق »
وأظنه من الرواية بالمعنى ، وهو يقتضى أن يكون المعرّسُ فى شرقى وادى العقيق
فلا يكون بذى الحليفة ، فيتعين أن يكون المراد بطن وادٍ فى وادى العقيق ؛ إذ المعرّس
ذو الحليفة .

ففى الحج من صحيح البخارى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
« كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرّس » وأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى مكة يصلى فى مسجد الشجرة ، وإذا رجع
صلى بذى الحليفة ببطن الوادى وبات حتى يصبح » .

وفيه أيضا من طريق عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه أرى وهو فى مُعَرَّسِهِ بذى الحليفة ببطن الوادى قيل له :
إنك ببطحاء مباركة ، وقد أناخ بنا سالم يتوخى المُنَاخَ الذى كان عبد الله ينيخ
يتحرّى مُعَرَّسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أسفل من المسجد الذى
ببطن الوادى ، بينه وبين الطريق وسطا من ذلك .

قلت : والمسجد المتقدم ذكره ببطن الوادى ، فلعلة المراد ، ويكون المعرّس
بقر به من المشرق .

وروى يحيى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له وهو بالمعرّس
نأثم يعنى معرّس الشجرة : إنك ببطحاء مباركة .

قلت : فيتأيد به ما تقدم لإضافته المعرّس إلى الشجرة ، ولا يشكّل ذلك
يبعد هذا المسجد عن الطريق التى تسلك اليوم إلى المدينة ؛ لما تقدم من رواية
ابن عمر فى اختلاف طريق الشجرة وطريق المعرّس .

وروى البزار بسند جيد عن أبى هريرة نحوه ، فقال : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق
المعرّس » .

وفي صحيح أبي عوانة حديثُ « كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من طريق الشجرة إلى مكة ، وإذا رَجَعَ رَجَعَ من طريق المعرس » .

وروى بعضهم عن نافع أنه انقطع عن ابن عمر حتى سبقه إلى المعرس ، ثم جاء إليه فقال : ما حَدَّثَكَ عني ؟ فأخبره ، فقال : إني ظننت أنك أخذت الطريق الأخرى ، ولو فعلت لأَوْجَعْتُكَ ضرباً ، وهذا لحرصه على الاتباع في النزول هناك ، وقد أميتت هذه السنة .

وروى ابن زبالة عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي قَرَوَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى مكة يَسْلُكُ على دار جبر بن علي ، ثم على منازل بني عطاء ، ثم في بطحان ، ثم في زقاق البيت ، حتى يخرج عند موضع دار ابن أبي الجنوب بالحرّة » .

قلت : وهذه الأماكن غير معروفة بأعيانها ، والله أعلم .

ومنها : مسجد شرف الرّوحاء - قال البخاري عقب ما تقدم من رواية مسجد شرف الرّوحاء نافع وأن عبد الله حَدَّثَهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم « صَلَّى حيثُ المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بِشَرَفِ الرّوحاء » . وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي فيه صلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي ، وذلك على حافة الطريق اليميني وأنت ذاهب إلى مكة ، بينه وبين المسجد الأكبر رمية بججر أو نحو ذلك .

ورواه يحيى بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى إلى جانب المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بِشَرَفِ الرّوحاء » . وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعواسج ، يكون عن يمينك حين تقوم في المسجد ، وباقيه كلفظ البخاري .

وروى ابن زبالة عن ابن عمر قال : صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بشرف الروحاء على يمين الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، وإلى يسارها وأنت مقبل من مكة .

قلت : وهذا المسجد هو المعنى بقول الأسدی : وعلى ميلين من السیالة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الشرف ، قال : وبين السیالة والروحاء أحد عشر ميلا ، وبينها وبين ملل سبعة أميال ، وهى لولد الحسين ابن على بن أبى طالب ولقوم من قريش ، وعلى ميل منها عين تعرف بسويقية لولد عبد الله بن حسن ، كثيرة الماء عذبة ، وهى ناحية عن الطريق ، قال : والجبل الأحمر الذى يسرة الطريق حين يخرج من السیالة يقال له ورقان ، يسكنه قوم من جهينة يقال : إنه متصل إلى مكة لا ينقطع ، وذكر آبارا كثيرة بالسیالة .

وقوله « وعلى ميلين من السیالة » أراد من أولها ، ولهذا قال المطرى : شرف الروحاء هو آخر السیالة وأنت متوجه إلى مكة ، وأول السیالة إذا قطعت شرف ملل ، وكانت الصخيرات صخيرات التمام عن يمينك ، وقد هبطت من ملل ثم رجعت عن يسارك واستقبلت القبلة ، فهذه السیالة وكانت قد تجدد فيها بعد النبی صلى الله عليه وسلم عيون وسكان ، وكان لها وال من جهة والى المدينة ولأهلها أخبار وأشعار ، وبها آثار البناء وأسواق ، وآخرها الشرف المذكور ، والمسجد عنده ، وعنده قبور قديمة كانت مدفن أهل السیالة ، ثم تهبط فى وادى الروحاء مستقبل القبلة ، ويعرف اليوم بوادى بنى سالم ، بطن من حرب عرب الحجاز ؛ ثم ذكر ما سياتى .

قلت : وتلك القبور التى عند المسجد مشهورة بقبور الشهداء ، ولعله لكون بعضهم [دفن] فيها ممن قتل ظلما من الأشراف الذين كانوا بالسیالة وبسويقة ، كما يؤخذ مما سنشير إليه فى ترجمه سويقة .

ومنها : مسجد عرق الطيبة - قال المطرى عقب قوله « ثم يهبط فى وادى

مسجد
عرق الطيبة

الروحاء مستقبل القبلة» مالفظه : فتمشى مستقبل القبلة وشعب على يسارك ، إلى أن تدور الطريقُ بك إلى المغرب وأنت مع أصل الجبل الذى على يمينك ، فأولُ ما يلقاك مسجد على يمينك كان فيه قبر كبير فى قبلته فتهدم على طول الزمان ، صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ذلك المكان بعرق الظبية ، ويبقى جبل ورقان على يسارك ، قال : وفى المسجد الآن حجر قد نقش عليه بالخط الكوفى عند عمارته المليل الفلانى من البريد الفلانى ، انتهى .

وقال الأسدى : وعلى تسعة أميال - يعنى من السيادة - وأنت ذاهب إلى الروحاء مسجدٌ للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الظبية ، فيه كانت مشاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال أهل بدر ، وهو دون الروحاء بميلين ، انتهى .

وقال المجدى ترجمة الشرف : إن فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد بمثل على ليلة من المدينة ، ثم راح فتعشى بشرف السيادة ، وصلى الصبح بعرق الظبية » .

وروى ابن زبالة عن عمرو بن عوف المزنى قال : أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه غزوة الأبواء ، حتى إذا كان بالروحاء عند عرق الظبية قال : هل تدرون ما اسمُ هذا الجبل ؟ يعنى ورقان ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حمت جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيه ، وبارك لأهله فيه ، تدرون ما اسمُ هذا الوادى ؟ يعنى وادى الروحاء ، هذا سجاسج ، لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبيا ، واقتد مرَّ بها - يعنى الروحاء - موسى بن عمران فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل عليه عباأتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم حاجبا أو معتمرا ، أو يجمع الله له ذلك .

ورواه الطبرانى ، وفيه كثير بن عبد الله حسن الترمذى حديثه ، وبقية رجاله

ثقات ، إلا أنه قال فيه عقب قوله « وبارك لأهله فيه » وقال للروحاء هو سجاج
وهذا واد من أودية الجنة ، لقد صلى في هذا الوادي قبلى سبعون نبيا ، وأتقد مر
به موسى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورقاء في سبعين ألفا من
بنى إسرائيل حاجين البيت العتيق ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم
عبدُ الله ورسوله . ورواه يحيى بنحوه ، إلا أنه قال : لقد صلى قبلى في هذا
الموضع سبعون نبيا ، ورواه الترمذى بلفظ : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في
وادي الروحاء ، وقال : لقد صلى في هذا المسجد سبعون نبيا .

قلت : وآثار هذا المسجد موجودة هناك .

ومنها : مسجد بالروحاء ، ذكره الأسدى ، وغير ما بينه وبين ما قبله وما بعده .
وقال الواقدي في غزوة بدر : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أتى الروحاء ليلة الأربعاء النصف من شهر رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء .
وسياتى في ترجمة الروحاء أنه كان بها آبار متعددة ، فلم يبق منها اليوم
سوى بئر واحدة ، والله أعلم .

ومنها : مسجد المنصرف ، ويعرف اليوم بمسجد الغزالة ، وهو آخر وادي
الروحاء مع طرف الجبل ، على يسارك وأنت ذاهب إلى مكة .

قال المطرى : ولم يبق منه اليوم إلا عقد الباب .

قلت : وقد تهدم أيضا ، ولم يبق إلا رسومه .

وقال الأسدى : وعلى ثلاثة أميال من الروحاء ، يعنى وأنت قاصد مكة ،

مسجدُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سَنَد الجبل ، يقال له مسجد المنصرف ،

جبل على يسارك تنصرف منه في الطريق ، انتهى .

وقال البخارى : عقب ما قدمناه في مسجد الشرف من رواية نافع : وأن

ابن عمر كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق انتهى طرفه

على حافة الطريق دون المسجد الذى بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب

مسجد آخر
بالروحاء

مسجد
المنصرف
الغزالة

إلى مكة ، وقد ابتنى ثمَّ مسجد فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد ، كان يتركه عن يساره ووراءه ويصلى أمامه إلى العرق نفسه .

قلت : توهم بعضهم أن المراد عرق الظبية ، وليس كذلك ؛ لتغاير المحلين ، ورأيت بخط بعضهم هنا : العرق جبل صغير .

وروى ابن زباله عن ابن عمر قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرف الروحاء ، وبالمنصرف عند العرق من الروحاء .

وفى رواية ليحيى عن ابن عمر أنه كان يصلى إلى العرق الذى عند المنصرف الروحاء ، وذلك العرق أثناء طريقه على حافة الطريق ، دون السبيل الذى دون ثنية المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، قال نافع : كان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلى فيه الظهر .

وقال المطرى عقب ما تقدم عنه فى هذا المسجد : إن عن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبل البادية موضعاً كان عبد الله بن عمر ينزل فيه ، ويقول : هذا منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ثمَّ شجرة كان ابن عمر إذا نزل هذا المنزل وتوضأ صبَّ فضلَ وضوئه فى أصل الشجرة ، ويقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، ووَدَّ أنه كان يدور بالشجرة أيضاً ثمَّ يصبُّ الماء فى أصلها ، اتباعاً لسنة ، وإذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزاة كانت طريقُ النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة على يساره مستقبل القبلة ، وهى الطريق المعهودة قديماً ، ثم السقيا ، ثم ثنية هرثى ، وهى طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال : وليس بهذا الطريق اليوم مسجدٌ يعرف غير هذه الثلاثة مساجد ، يعنى سوى مسجد ذى الحليفة .

قلت : سببه هجران الحجاج لهذا الطريق ، وأخذهم من طرف الروحاء على البادية إلى مضيق الصفراء ثم إلى بدر ، وذكر لى بعض الناس ممن سلك

تلك الطريق أن كثيرا من مساجدها موجود ، وسيأتي أنى ظفرت برؤية مسجد طرف قديد الآتى ذكره ، والله أعلم .

مسجد الرويثة

ومنها : مسجد الرويثة - قال البخارى عقب ما تقدم عنه من حديث نافع : وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سَرَحة ضَخْمَة دون الرويثة عن يمين الطريق ووُجَاه الطريق فى مكان بطح سهل حتى يُفْضَى من أكمة دوين بريد الرويثة بميلين ، وقد انكسر أعلاها ، واثنتى فى جوفها ، وهى قائمة على ساق ، وفى ساقها كتب كثيرة .

وقوله « بريد الرويثة » أى الموضع الذى ينتهى إليه البريد بالرويثة ، وينزل فيه ، وقيل : البريد سكة الطريق ، ورواه ابن زباله بنحوه ، وفى رواية له « صلى دون الرويثة عند موضع السرحة » .

وقال الأسدى : وفى أول الرويثة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وبين الرِّوْحَاء والرويثة ثلاثة عشر ميلا ، وقال فى موضع آخر : ستة عشر ميلا ونصف ، ووصف ما بالرويثة من الآبار والحياض ، قال : ويقال للجبل المشرف عليها المقابل لميوتها « الحمراء » وللذى فى دبرها عن يسارها قبل المشرق « الحسناء » .

ومنها : مسجد ثنية ركوبة كما سيأتى من رواية ابن زباله فى مسجد مدلجة تعهن أنه صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى ثنية ركوبة ، وَبَنَى بها مسجدا » . وسيأتى أن ركوبة ثنية قبل العرج للمتوجه من المدينة على يمين ثنية العابر وثنية العابر هى عقبة العرج ، والعرج بعدها بثلاثة أميال كما سيأتى ، ولم يذكر الأسدى هذا المسجد .

مسجد
ثنية ركوبة

ومنها : مسجد الأثاية - بالمشاة والمثناة التحتية - كالنواية على الراجح . روى ابن زباله عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى عند بئر الأثاية ركعتين فى إزار ملتحفا به » .

مسجد الأثاية

قال المطري : الأثاية ليست معروفة .

قلت : عرفها الأسدي فقال ، في وصف طريق الذهاب لمسكة : إن من الرويثة إلى الحى أربعة أميال ، ثم قال : وعقبه العرج على أحد عشر ميلا من الرويثة ، ويقال لها : المدارج ، بينها وبين العرج ثلاثة أميال ، وبها أبيات ، وبئر عند العقبة ، وقبل العرج بميلين قبل أن ينزل الوادي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بمسجد الأثاية ، وعند المسجد بئر تعرف بالأثاية ، انتهى .

وقال الجدي : الأثاية موضع في طريق الجحفة ، بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخا ، وفيه بئر ، وعليها المسجد المذكور ، وعندها أبيات وشجر أراك ، وهو منتهى حد الحجاز ، انتهى .

وهو موافق لما ذكره الأسدي ؛ فإن منتهى حد الحجاز مدارج العرج ، وهي بقر بها .

وروى أحمد بن حنبل الصحيح عن عمير بن سلمة الضمري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرَّ بالعرج فإذا هو بحمار عقير ، فلم يلبث أن جاء رجل بهر ، فقال : يا رسول الله ، هذا رميتي فشانكم فيها ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه يقسمه بين الرفاق ، ثم سار حتى أتى عقبة الأثاية فإذا بظبي فيه سهم وهو حاقف في ظل صخرة ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه فقال : قف ههنا حتى يمر الرفاق لا يرميه أحد بشيء . » ومقتضى ما سبق من صنيع الأسدي أن يكون هذا في رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ، خلاف ما اقتضاه صنيع الهيثمي حيث ترجم عليه بجواز أكل لحم الصيد للحرم إذا لم يصد أو يصد له .

ومنها : مسجد العرج - روى ابن زباله عن صخر بن مالك بن إياس عن مسجد العرج ، أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى في مسجد العرج ،

وقال فيه « يعنى من القِيْلولة ، وأسقط المطرى هذا المسجد ، وجعله المجد الذى بعده ، وهو مردود ، ولم يتعرض له الأسدى .

مسجد المنبجس ومنها : مسجد بطرف تلعة من وراء العرج ، ووقع فى نسخة المجد وخط الزين المرغى « بطريق تلعة » وهو تصحيف لأن الذى فى صحيح البخارى وكتاب ابن زبالة طرف بالفاء .

قال البخارى ، عقب ما تقدم عنه فى مسجد الرويثة من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى طرف تلعة من وراء العرج ، وأنت ذاهب إلى هضبة ، وعند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، وعلى القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق ، عند سلمات الطريق ، بين أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة فيصلى الظهر فى ذلك المسجد .

ورواه ابن زبالة إلا أنه قال فيه : من وراء العرج وأنت ذاهب على رأس خمسة أميال من العرج فى مسجد إلى هضبة .

وقال الأسدى : وعلى ثلاثة أميال من العرج قبل المشرق مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد المنبجس قبل الوادى ، والمنبجس : وادى العرج ، وعلى ثمانية أميال من العرج حوضان على عين تعرف بالمنبجس ، انتهى . ولعله المسجد المذكور .

مسجد لحي ومنها : مسجد لحي جبل - قال الأسدى : وعلى ميل من الطوب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع يقال له « لحي جبل » قال : والطوب بئر غليظة الماء بعد العرج بأحد عشر ميلا ، والسقيا بعد الطوب بستة أميال ، قال : وقبل السقيا بنحو ميل وادى العاند ، ويقال له وادى القاحة ، وينسب إلى بنى غفار ، اه .

فتلخص أن هذا المسجد قبل السقيا والقاحة وبعد العرج بالمسافة المذكورة .

ويؤيده أن ابن زباله روى في سياق هذه المساجد حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجَمَ بمكان يدعى لحي جمل بطريق مكة وهو محرم ». وفي رواية له « احتجَم بالقاحه وهو صائم محرم » ففيه بيان قرب ذلك من القاحه ، ولكن رأيت يحيى ختم كتابه بحديث ابن عمر في هذه المساجد وبآخر النسخة ما صورته : نقل من خط أحمد بن محمد بن يونس الإسكاف في آخر الجزء : قلت : إنه لم يذكر في هذا الحديث المسجد الذي بين السقيا والأبواء الذي يقال له مسجد لحي جمل ، انتهى .

وهو يقتضى أنه بعد السقيا بينها وبين الأبواء ، ويوافق قول عياض : قال ابن وضاح : لحي جمل في عقبه الجحفة . وقال غيره : على سبعة أميال من السقيا . ورواه بعض رواة البخارى « لحي جمل » أى بالثنية ، وفسره فيه بأنه ما يقال له لحي جمل أى في حديث « احتجَم النبي صلى الله عليه وسلم بلحي جمل » .

وقال المجد : هى عقبه على سبعة أميال من السقيا .

وفي كتاب مسلم أنه ماء .

ومنها : مسجد السقيا - روى ابن زباله في سياق المساجد التى بطريق مكة مسجد السقيا من حديث عوف بن مسكين بن الوليد البلوى عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم « صَلَّى في مسجد بالسقيا » .

وقال الأسدى ، بعد ما تقدم عنه فى المسافة بين الطلوب والسقيا : وبالسقيا مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجبل ، وعنده عين عذبة ، ثم ذكر أن بالسقيا أزيد من عشر آبار ، وأن عند بعضها بركة . ثم قال : وفيها عين غزيرة الماء ، ومصبها فى بركة فى المنزل ، وهى تجرى إلى صدقات الحسن بن زيد ، عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انقطعت ثم عادت فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين

ثم انقطعت في سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، قال : وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التي يزرع عليها ثلاثون بئرا ، وفيها ما أحدث في أيام المتوكل خمسون بئرا ، وماؤها عذب ، وطول رشائهن قامة وبسطة ، وأقل وأكثر .

ثم وصف ما بعد السقيا فقال : وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها تعمن انتهى .

وفي حديث أبي قتادة في الصحيح بركة بتعمن ، وهو مقابل السقيا ، وسيأتي في ترجمة تعمن ما قيل من أنها قبل السقيا ، مع بيان أن المعروف اليوم أنها بعدها .

ومنها : مسجد مدلجة تعمن - روى ابن زباله عن صخر بن مالك بن إياس عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى بمدلجة تعمن ، وبنى بها مسجدا ، وصلى في ثنية ركوبة ، وبنى بها مسجدا » .
قلت : لم يذكره إلا الأسدي ، وقد سبق عنه أن تعمن بعد السقيا بثلاثة أميال .

ومنها : مسجد الرمادة - قال الأسدي : ودون الأبواء بميلين مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له « مسجد الرمادة » وذكر ما حاصله أن الأبواء حد السقيا لجهة مكة بأحد وعشرين ميلا ، وأن في الوسط بينهما عين القشيري ، وهي عين كثيرة الماء ، ويقال للجبل المشرف عليها الأيسر « قدس » وأوله في العرج ، وآخره وراء هذه العين ، والجبل الذي يقابلها يمنة يقال له « باقل » ويقال للوادي الذي بين هذين الجبلين « وادي الأبواء » انتهى .

ومنها : مسجد الأبواء - قال الأسدي بعد ما تقدم في وصف ما بين الأبواء والجحفة : إن الجحفة بعد الأبواء بثلاثة عشر ميلا ، قال : وفي وسط الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر بها آباراً وبركاً ، منها بركة بقرب

القصر ، قال : وإذا جُرَّتْ وادِي الأبواء بميلين كان على يسارك شعاب تسمى « نلعان اليمن » وذكر أن ودَّان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال ، ينزل به مَنْ لا ينزل إلا الأبواء ، فمن أرادَه رَحَلَ من السقيا إليه ، وبه عيون غزيرة عليها سبعة مشارع وبركة قديمة ، ثم يرحل منه فيخرج عند ثنية هَرَشَى بينها وبين ودَّان خمسة أميال ، وقد عمِل لهذه الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل .

قلت : وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم بأسفل ودَّان وهي مَعَطْشَة لا ماء بها إلا ما يُحْمَل من بدر إلى رابع .

ومنها : مسجد يسمى بالبيضة - قال الأسدَى : وعلى خمسة أميال وشيء من مسجد البيضة الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له البيضة .

ومنها : مسجد عقبة هَرَشَى - قال الأسدَى : وعلى ثمانية أميال من الأبواء مسجد عقبة هَرَشَى ، وعلم منتصف الطريق ما بين مكة والمدينة دون العقبة بميل ، وفي أصل العقبة مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم حد الميل الذي مكتوب عليه سبعة أميال من البريد ، انتهى .

قال البخاري ، عقب ما تقدم عنه في المسجد الذي بطرف تلعة من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عند سَرَحَاتٍ عن يسار الطريق في مسيل دون هَرَشَى ، ذلك المسيل لا صق بكراع هَرَشَى ، بينه وبين الطريق قريب من غلوة ، وكان عبدُ الله بن عمر يصلى إلى سرحة هي أقرب السرحات إلى الطريق ، وهي أطولهن .

ومنها : مسجدان بالجحفة - قال الأسدَى ، في وصف ما بين الجحفة وقديد ، بعد ذكر ما بالجحفة من الآبار والبرك والعيون : وفي أول الجحفة مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غورث ، وفي آخرها عند العلمين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الأئمة .

مسجد
غدير خم

ومنها : مسجد بعد الجحفة ، وأظنه مسجد غدير خم - قال الأسدي ، بعد ما تقدم عنه : وعلى ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق حذاء العين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبينهما الغيضة ، وهي غدير خم ، وهي على أربعة أميال من الجحفة ، انتهى .

وقال عياض : غدير خم غدير تصب فيه عين ، وبين الغدير والعين مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وأخبرني مخبر أنه رأى هذا المسجد على نحو هذه المسافة من الجحفة ، وقد هدم السيل بعضه .

وفي مسند أحمد عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلنا بغدير خم ، فنودى فينا الصلاة جامعة ، وكسح^(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فصلى الظهر ، وأخذ بيد على وقال : أستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : فأخذ بيد على وقال : اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، قال : فلقبه عمر بعد ذلك فقال : هنيئاً يا ابن أبي طالب ، أصبجت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، وعن زيد بن أرقم مثله .

ومنها : مسجد ذكر الأسدي أنه قبل قديد بثلاثة أمثال ، وذكر أن خيمتي أم معبد الخزاعية وموضع مناة الطاغية في الجاهلية على نحو هذه المسافة .

مسجد طرف
قديد

قلت : وقد عثرت في مسيرى إلى مكة على مسجد قديم قرب طرف قديد ، وهو مرتفع عن يمين الطريق ، مبنى بالأحجار والقصّة ، يظهر أنه هذا المسجد .

ومنها : مسجد عند حرة عقبة خليص - قال الأسدي : من قديد إلى عين حرة خليص

مسجد عند
حرة خليص

(١) كسح - وزان منع - أى كس ، انتهى من هامش الأصل .

ابن بزيع وهى خليص على ثمانية أميال وشئى ، وذكر آبارا كثيرة بقديد ، قال :
وعقبه خليص بينها وبين خليص ثلاثة أميال ، وهى عمبة تقطع حرّة تعترض
الطريق يقال لها ظاهرة البركة ، والشجر ينبت فى تلك الحرة ، وعند الحرة مسجد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها : مسجد خليص - قال الأسدى : خليص عين غزيرة كثيرة الماء ، مسجد خليص
وعليها نخل كثير ، وبركة ، ومشارع ، ومسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها : مسجد بطن مرّ الظهران - قال البخارى ، عقب ما تقدم عنه فى مسجد
مسجد بطن مرّ الظهران
عقبه هرشى من رواية نافع : وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه
وسلم « كان ينزل فى المسيل الذى فى أذى مرّ الظهران قبل المدينة ، حين يهبط
من الصفراوات ، ينزل فى بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى
مكة ، ليس بين منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الطريق إلا
رَمِيَّةٌ بحجر » .

قال المطرى ، فى وصف هذا المسجد : إنه بوادى مرّ الظهران حين يهبط
من الصفراوات عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، قال : ومرّ الظهران
هو بطن مرّ المعروف ، وليس المسجد بمعروف اليوم ، انتهى .

وقال الزين المراغى : ويقال : إنه المسجد المعروف بمسجد الفتح ، انتهى .
وقال النقى الفاسى : المسجد الذى يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم
من وادى مرّ الظهران ، يقال : إنه من المساجد التى صلى فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ثم ذكر ما قاله المراغى .

ثم قال : وممن عمّر هذا المسجد على ما بلغنى أى جدّد عمارته أبو على صاحب
مكة ، وممن عمره بعد ذلك الشريف حياش ، قال : وبيضه فى عصرنا ورفع
أبوابه صنوّأله الشريف حسن بن عجلان ، انتهى .

وهذا المسجد ينظره الذاهب من الجموم إلى مكة عن يساره عند المسيل .
وقال الأسدی : بين مكة وبطن مر سبعة عشر ميلا ، و بطن مر مسجد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبركة للسيل طولها ثلاثون ذراعا ، وربما ملئت
هذه البركة من عين يقال لها العميق ، قال : وبحضرة هذه البركة بئران .

مسجد سرف

ومنها : مسجد سرف - بفتح السين المهملة ، وكسر الراء - وهذا المسجد
به قبر ميمونة رضى الله تعالى عنها ، شاهدته وزرته ؛ إذ المرور أنها دفنت بسرف ،
بالموضع الذى بنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم فيه .

وفى حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا ينزل منزلا إلا ودَّعه
بركعتين » وقال الأسدی ما لفظه : ومسجد سرف على سبعة أميال من مر ، وقبر
ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم دون سرف ، اه . والمعروف ما قدمناه .

قال التقى الفاسى : من القبور التى ينبغى زيارتها قبر أم المؤمنين ميمونة بنت
الحارث الهلالية ، وهو معروف بطريق وادى مر ، قال : ولا أعلم بمكة ولا فيما
قرب منها قبر واحد ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر ؛ لأن
الخلف تأثر ذلك عن السلف .

مسجد التنعيم

ومنها : مسجد بالتنعيم - قال الأسدی : والتنعيم وراء قبر ميمونة بثلاثة أميال ،
وهو موضع الشجرة ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه آبار ، ومن
هذا الموضع يُحْرِم مَنْ أراد أن يعتمر . ثم قال : ميقات أهل مكة بالإحرام مسجد
عائشة ، وهو بعد الشجرة بميلين ، وهو دون مكة بأربعة أميال ، وبينه وبين
أنصاب الحرم غلوة ، اه .

الخلاف فى

مسجد عائشة

قلت : وبالتنعيم عدَّة مساجد : اثنان منها اختلف فى المنسوب منهما لعائشة
رضى الله تعالى عنها ، ولم يذكر التقى ولا غيره بالتنعيم مسجداً للنبي صلى الله
عليه وسلم .
قال التقى فى ذكر مسجد عائشة : وهذا المسجد اختلف فيه ، فقيل :

هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة ، لشجرة هليلجة كانت فيه وسقطت من قريب ، وهو المتعارف عند أهل مكة على ما ذكره سليمان بن خليل ، وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك ، وقيل : هو المسجد الذى بقر به بئر ، وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذى يقال له « مسجد على » بطريق وادى مر الظهران ، وفي هذا أيضا حجارة مكتوب فيها ما يشهد لذلك ، ورجح الحبث الطبرى أنه المسجد الذى بقر به البئر ، وهو الذى يقتضيه كلام إسحاق الخزاعى وغيره ، قال : إن بين مسجد الهليلجة وأول الأعلام سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعا بذراع الحديد ، وذرع ما بينه وبين المسجد الآخر ثمانمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بالذراع المذكور ، اه .

والأقرب لكلام الأسدى أن مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها هو مسجد الهليلجة ؛ لكونه أقرب إلى أعلام الحرم من الثانى ، ولعل المنسوب للنبي صلى الله عليه وسلم هو مسجد على أو المسجد الثانى .

ورأيت عن بعضهم : روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرات الرسول أربع عمر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وعمرة التنعيم ، وعمرة الجِعْرَانَة . قلت : وذكر التنعيم غير معروف ، والمعروف فى الرابعة أنها التى مع حجّته ، فلعلى المراد من نسبتها إلى التنعيم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة فيها من جهته .

مسجد
ذى طوى

ومنها : مسجد ذى طوى - قال البخارى ، عقب ما تقدم عنه فى مسجد بطن مرّ من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان ينزلُ بذى طوى ، ويبىء حتى يصبح يصلّى الصبح حين يقدم مكة » ومُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على أكمة غليظة ليس فى المسجد الذى بنى ثم ، ولما سكن أسفل من ذلك ، على أكمة غليظة ، وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم « استقبل فرُضْتِي الجَبَلِ الذى بينه وبين الجبل الطويل

نحو الكعبة فجعل المسجد الذي بنى ثم يسار المسجد بطرف الأكمة ، ومضى
النبي صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء ، تدعُ من الأكمة
عشرة أذرع أو نحوها ، ثم تستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين
الكعبة ، انتهى .

قال المطري ، وتبعه من بعده : وادى ذى طوى هو المعروف بمكة بين
الثلثتين .

قلت : ويعرف عند أهل مكة اليوم كما قال التقى بما بين الحجونين ، وهو
موافق لقول الأزرقي : بطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التي بالمعلی إلى
الثنية القصوى التي يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين ، انتهى .

وقال الأسدي ، في وصف ما بين مسجد عائشة رضي الله تعالى عنها ومكة : فيج
بعد مسجد عائشة رضي الله تعالى عنها بنحو ميلين ، وعقبة المذنبين بعد فيج بميل
يسرة عن الطريق ، وطريق ذى طوى إلى المسجد نحو من نصف ميل ، وقال
في موضع آخر : يستحب الصلاة بمسجد ذى طوى ، وهو بين مسجد ثنية
المذنبين المشرفة على مقابر مكة وبين الثنية التي تهبط على الحصاحص ، وذلك
المسجد ثنية زبيدة ، انتهى .

الفصل الرابع
في بقية المساجد التي بين مكة والمدينة بطريق الحاج في زماننا ، وبطريق
المشبان ، وما قرب من ذلك ، وما حل صلى الله عليه وسلم به من المواضع ، وإن لم
يُبين مسجداً .

فمنها : موضع بدرية المستعجلة - بفتح الدال المهملة وتشديد الموحدة - وهو
الكثيب من الرمل .
روى ابن زبالة عن محمد بن فضالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بالدَّيَّة دبة
المستعجلة من المضيق ، واستقى لهم من بئر الشعبة الصَّابَةَ أسفل من الدبة ، فهو لا يفارقها أبداً

دبة المستعجلة

قال المطري : والمستعجلة هي المضيق الذي يصعد إليه الحاج إذا قطع النازية وهو متوجه إلى الصفراء ، يعنى من أعلى فركان خيف بنى سالم .

شعب سير

قال : وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بشعب سير - وهو الشعب الذى بين المستعجلة والصفراء - وقسم به غنائم أهل بدر ، ولا يزال فيه الماء غالباً ، انتهى .

قلت : الذى قاله ابن إسحاق كما فى تهذيب ابن هشام : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كئيب بين المضيق وبين النازية يقال له سير إلى سرحة ، وقسم هناك النفل . قلت : وهو صريح فى أن سير بعد مضيق الصفراء للجأى من بدر ، وبعده النازية ، فإن كانت المستعجلة هي مضيق الصفراء فهو يقتضى أن سير بينها وبين النازية ، فهو مخالف لما ذكره المطري من أنه بين المستعجلة والصفراء ، فليحمل مضيق الصفراء على غير المضيق الذى هو المستعجلة ، ويكون مضيق الصفراء هنا من ناحية أسفل الخيف ؛ لأن الذى ذكره المطري فى شعب سير هو المعروف اليوم ، ولأنى رأيت فى أوراق لم أعرف مؤلفها أن شعب سير هو النزلة التى كانت للحاج إذا رجع عن المستعجلة ونزل فى فركان الخيف .

قال : وهناك بركة قديمة ، وهو الشعب بين جبلين يعرف بجبال المضيق علو الصفراء ، بينه وبين المستعجلة نحو نصف فرسخ ، انتهى . والبركة والموضع معروفان كما وصف ، ولعل سير هذا هو المعبر عنه فى رواية ابن زباله بالدبة ؛ لأنها مجتمع الرمل ، وقد سماه ابن إسحاق كئيباً ، ويؤخذ منه أن الخيف كله أعلاه ، وأسفله هو مضيق الصفراء .

ذكر عدة مساجد

ومنها : مسجد بذات أجدال ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ، ومسجد بذفران ، وموضع بذنوب ذفران المقبل .

وروى ابن زباله عن ابن فضالة قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بمسجد بذات أجدال من مضيق الصفراء ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ،
ومسجد بذفران المدبر من البناء ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنب
ذفران المقبل الذي يصبُّ في الصفراء ، قال : فخرت بئر هنالك يقال : إنها في
موضع جبهة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلها فضل في العذوبة على ما حو اليها .
قلت : مضيق الصفراء تقدمت الإشارة إليه قريبا ، وذفران : وادٍ معروفٌ
قبل الصفراء بيسير ، يصب سَيْلُه فيها ، ويسلكه الحاج المصري في رُجوعه من
المدينة إلى ينبع ، فيأخذ ذات اليمين ويترك الصفراء يسارا .

قال ابن إسحاق ، في وَصْفِ مَسِيرِهِ صلى الله عليه وسلم إلى بدر : فلما كان
بالمصرف - أي عند مسجد الغزاة - ترك طريق مكة بيسار ، وسلك ذات اليمين
على النازية يريد بدرا ، فسلك في ناحية منها حتى جَزَعَ - أي قطع - واديا
يقال له رجفان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ، ثم انصب حتى
إذا كان قريبا من الصفراء ، ثم ذكر أنه بعث من يتجسس له الأخبار .

قال : ثم ارتحل ، فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبيلين - سأل عن
جبيلها : ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما المسلح ، وقالوا للآخر : هذا مجرى ،
وسأل عن أهلها ف قيل : بنو النار وبنو حراق ، بطنان من بني غفار ، فكرههما
صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلها ، فترك الصفراء
يسارا ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران .

مسجد ذفران قلت : و بذفران اليوم مسجد يتبرك به على يسار من سلكه إلى ينبع ،
فأظنه مسجد ذفران ، ورأيت قبل الوصول إلى طرف ذفران الذي يلي الصفراء
على يمين السالك في طريق مكة يريد الصفراء ، رأيت عليها مسجدا مبنيا بالحصى
مرتفعا عن الطريق يسيرا ، يتبرك الناس بالصلاة فيه ، وليس بقر به مساكن ؛
فالظاهر أنه أحد المساجد المذكورة ، ورأيت أمام محرابه قبرا قديما محكم البناء ،
ولعله قبر عبدة بن الحارث بن المطلب ^(١) ، فقد ذكر ابن إسحاق وغيره أنه
(١) في الأصول « بن عبد المطلب » والصحيح ما ذكرناه (عن حسب الله) .

مات بالصفراء من جراحته التي أصابته في المبارزة ببدر ، ولم يذكروا محل دفنه ، إلا أن ابن عبد البر قال عقبه : ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مع أصحابه بالنازيين قال له أصحابه : إنا نجد ريح مسك ، فقال : وما يمنعكم وههنا قبر أبي معاوية ؟ يعني عبيدة بن الحارث ، انتهى . والنازيين غير معروف اليوم .

وقال المطري ، عقب ذكر وفاة عبيدة بالصفراء : فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان أسن بن عبد مناف يومئذ ، وأظن مستنده في ذكر الدفن بها موته بها مع قول هند بنت أناة في رثائه على ما نقله ابن إسحاق :

لَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفْرَاءَ مَجْدًا وَسُودَدًا وَحِمَامًا أَصِيلًا وَافِرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ
عَبِيدَةَ ، فَأَبْكِيهِ لِأَضْيَافِ غُرَبَةٍ وَأَرْمَلَةَ تَهْوِي لِأَشْعَثِ كَأَجْدَلٍ^(١)

وقال الزين المراغى : إنه مات بالصفراء من جراحته ، فإن قبره بذفران ، هكذا رأيت بحضه ، ولم أف على مستنده في ذلك ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يسلك ذفران في رجوعه من بدر ؛ لأنه رجع على الصفراء ، ولكنه مر بطرف ذفران الذي يصب فيها .

ومنها : مسجد بالصفراء - روى ابن زبالة عن طلحة بن أبي حدير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد الصفراء .

قلت : ذكر لي بعض الناس أن هذا المسجد معروف بالصفراء يتبرك به .

ومنها : مسجد بثنية مبرك - روى ابن زبالة عن الأصمغ بن مسلم وعيسى ابن مَعْن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى مَطْلَعَهُ مِنْ ثَنِيَّةِ مَبْرُكٍ ، فِي مَسْجِدٍ هُنَاكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دَعَانِ سِتَّةِ أَمْيَالٍ أَوْ خَمْسَةَ .

قلت : ثنية مبرك : معروفة تسلك إلى ينبع في المغرب من جهة أسفل خيف بني سالم من ذات اليمين ، وطريق الصفراء ذات اليسار .

(١) الجدل - بفتح الجيم وسكون الدال - كل عضو وكل عظم موفر لا يكسر ، فهو كناية عن الشدة وقوة العصب اه .

مسجد بدر ومنها : مسجد بدر - كان العريش الذي نبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عنده ، وهذا المسجد معروف اليوم بقرب بطن الوادي بين النخيل ، والعين قريبة منه ، وبقربه في جهة القبلة مسجد آخر يسميه أهل بدر مسجد النصر ، ولم أقف فيه على شيء .

مسجد العشيبة ومنها : مسجد العشيبة - معروف ببطن ينبع ، وهو مسجد القرية التي ينزلها الحاج المصري بينبع ، في وزده وصدره .

روى ابن زبالة عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد ينبع بعين بولا .

قلت : والعين اليوم جارية عنده ، لكن لا تعرف بهذا الاسم .
قال المجد : وهذا المسجد اليوم من المساجد المقصودة المشهورة ، والمعابد المشهودة المذكورة ، تحمل إليه النذور ، ويتقرب إلى الله بالزيارة له والحضور ، ولا يخفى على النفس المؤمنة روح ظاهرة على ذلك المكان ، وأنس يشهد له بأنه حضرة سيد الإنس والجان .

مساجد الفرع ومنها : مساجد ثلاثة بالفرع - بضم الفاء - يمر بها من سلك طريقها إلى مكة .

روى ابن زبالة عن أبي بكر بن الحجاج وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الأكمة من الفرع ، فقال في مسجد الأكمة ، ونام فيه ، ثم راح فصلى الظهر في المسجد الأسفل من الأكمة ، ثم استقبل الفرع فبرك فيها ، وكان عبد الله ابن عمر ينزل المسجد الأعلى فيقبل فيه ، فيأتيه بعض نساء أسلم بالفراش ، فيقول : لا ، حتى أضع جنبي حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبه ، وأن سالم ابن عبد الله كان يفعل ذلك ، وروى أيضاً عن عبد الله بن مكرم الأسلمي عن مشيخته أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في موضع المسجد بالبرود من مضيق الفرع ، وصلى فيه .

ومنها : مسجد الضيقة وكهف أعشار - روى ابن زبالة عن أبي بكر بن الحجاج مسجد الضيقة
وسليمان بن عاصم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد في
الضيقة مَخْرَجَه من ذات حياط . وذكر الزبير ذات الحياط في الأودية التي تَصُبُّ
في وادي العقيق في القبلة مما يلي المغرب قرب البقيع ، ثم روى هذا الحديث .
وذكر أيضاً في هذه الأودية كهف أعشار ، كما سيأتي عنه ، ثم روى عن أبي بكر
ابن الحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة
بني المصطلق نزل في كهف أعشار وصلى فيه .

ومنها : مسجد مقمل ، بوسط النقيع حمى النبي صلى الله عليه وسلم ، على
يومين من المدينة في جهة درب المشبان .
روى ابن زبالة عن محمد بن هيصم المزني عن أبيه عن جده أن النبي
صلى الله عليه وسلم أشرف على مقمل ظرب وسط النقيع ، وصلى عليه ،
فمسجده هنالك .
قال أبو هيصم المدني : وكان أبو البحترى وهب بن وهب في سلطانه على
المدينة بعث إلى يثانيين درهما فعمرت بهما .
قال أبو علي الهجري : إن مقملا على ظرب صغير ، على غلوة من برام ، عليه
المسجد المذكور ، وهم المجد فعدّه في مساجد المدينة .

الفصل الخامس

في بقية المساجد والمواضع المتعلقة به صلى الله عليه وسلم
فمنها : مسجد العصر ^(١) ، وعصر سيأتي أنه على مَرَّحَلَة من المدينة .
قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى
خير سَلَكَ على عصر ، فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصهباء .

(١) في الخلاصة «مسجد بعصرة» .

قال المطري : مسجد عصر من مشهورى المساجد التى صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه إلى خيبر .

ومنها : مسجد بالصهباء ، وهى على روضة من خيبر . مسجد الصهباء

روى مالك عن سويد بن النعمان رضى الله تعالى عنه أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر ، حتى إذا كانوا بالصهباء - وهى من أذى خيبر - نزل فصلى العصر ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يؤت إلا بالسويق ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ، ثم صلى ولم يتوضأ ، قال المطري : والمسجد بها معروف .

قلت : وقد قدمنا قصة رد الشمس هنا عند ذكر مسجد الفضيخ من مساجد المدينة .

ومنها : مسجدان بقرب خيبر أيضاً - قال الإقشهرى ، ومن خطه نقلت : وبنى له صلى الله عليه وسلم مسجد بالحجارة حين انتهى إلى موضع بقرب خيبر يقال له المنزلة ، عرس [بها] ساعة من الليل فصلى فيها نافلة ، فعادت راحلته تجر زمامها ، فأدركت لترد فقال : دعوها فإنها مأمورة ، فلما انتهت إلى موضع الصخرة بركت عندها ، فتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصخرة ، وتحوّل الناس إليها ، وابتنى هنالك مسجداً ، فهو مسجدهم اليوم .

مسجدان
قرب خيبر

ومنها : مسجد بين الشق والنطاة من خيبر روى ابن زبالة عن حسن بن ثابت بن ظهير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى خيبر ، ودليله رجل من أشجع ، فسلك به صدور الأودية ، فأدركته الصلاة بالقرقرة ، فلم يصل حتى خرج منها ، فنزل بين أهل الشق وأهل النطاة ، وصلى على عوسجة هناك ، وجعل حولها الحجارة .

مسجد بين
الشق ونطاة

ومنها : مسجد بشمران - روى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه

مسجد شمران

قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس جبل بخير يقال له شمران ،
فتم مسجده من ناحية سهم بنى النذار^(١) ، قال المطري : ويُعرف هذا الجبل
اليوم بشمران .

ومنها : مساجد غزوة تبوك - قال ابن رشد ، في بيانہ : بنى النبي صلى الله عليه مساجد تبوك
وسلم بين تبوك والمدينة نحو ستة عشر مسجدا ، أولها بتبوك وآخرها بدى خشب ،
وذكر ابن زبالة نحو هذه العدة ، وقال ابن إسحاق : كانت المساجد معلومة
مسماة ، وسردها أربعة عشر مسجدا ، وخالف في تعيين بعض مواضعها لما
ذكره ابن زبالة ، وذكرها الحافظ عبد الغنى وزاد عن الحاكم مسجدا .

وقد اجتمع لنا من مجموع ذلك عشرون مسجدا .
فالأول بتبوك ، قال ابن زبالة : ويقال له مسجد التوبة ، قال المطري :
وهو من المساجد التي بناها عمر بن عبد العزيز ، قال المجد : دخلته غير مرة ،
وهو عقود مبنية بالحجارة .

الثاني : بثنية مدران - بفتح الميم وكسر الدال المهملة - تلقاء تبوك .

الثالث : بذات الزراب - بكسر الزاي - على مرحلتين من تبوك .

الرابع : بالأخضر ، على أربع مراحل من تبوك .

الخامس : بذات الخطمي ، كذا في تهذيب ابن هشام ، ومشى عليه المجد ،
وفي كتاب المطري « بذات الخطم » - بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة - على خمس
مراحل من تبوك .

السادس : ببألى - بالموحدة المفتوحة ، ثم همزة ولام مفتوحتين - على خمس
مراحل أيضاً منها ، قاله المطري ، وكذا هو في تهذيب ابن هشام ، وفي نسخة
ابن زبالة بنقيع بولا .

السابع : بطرف البتراء ، تأنيث أبترا ، قال ابن إسحاق : من ذنب كواكب

وقال أبو عبيدة البكري : إنما هو كوكب جبل هناك ببلاد بنى الحارث بن كعب

(١) في الخلاصة « البراز » وفي نسخة « الزار » .

الثامن : بشق تاراء - بالمشاة الفوقية والراء - زاد ابن زباله : من جويرة
التاسع : بذى الخليفة ، قاله ابن زباله وغيره أيضاً ، وهو غريب لم يذكره
أصحاب البلدان .

العاشر : بذى الخليفة ، لم أر من جمعه مع الذى قبله إلا المجد ، وقال : إنه
بكسر الخاء المعجمة ، وقيل بفتحها ، وقيل بجيم مكسورة ، وقيل بحاء مبهلة مفتوحة ،
واقصر فى أسماء البقاع على كسر الجيم ، والذى فى تهذيب ابن هشام ذكر هذا
المسجد بدل الذى قبله ، وعكس ابن زباله .
الحادى عشر : بالشوشق ، قاله الحافظ عبد الغنى عن الحاكم ، قال المجد :
وكأنه تصحيف .

الثانى عشر : بصدر حوضى - بالحاء المهملة ، والصاد المعجمة ، مقصور كما وجد
بخط ابن الفرات ، واقصر عليه المطرى ، وقال المجد - مع ذكره لذلك فى أسماء
البقاع : إنه بفتح الحاء والمد موضع بين وادى القرى وتبوك - قال : وهناك مسجده
صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وهو مخالف لما ذكره هناك من المغيرة بن مسجد
ذى الخليفة و بين مسجد صدر حوضى فى ذنب حوضى ومسجد آخر فى ذى
الخليفة من صدر حوضى ، والمغيرة هى التى فى تهذيب ابن هشام ، ولعل صدر
حوضى هو المعبر عنه بسمنة فى رواية ابن زباله ، فإنه كما سيأتى ماء قرب
وادى القرى ، وفى نسخة المجد فى حكاية روايته : ومسجد بذنب حوضى بدل
قوله بسمنة .

الثالث عشر : بالحجر ، وذكر ابن زباله بدله العلاء ، وكلاهما بوادى القرى .

الرابع عشر : بالصعيد صعيد قزح .

الخامس عشر : بوادى القرى ، وقال الحافظ عبد الغنى ، فى مسجد الصعيد :

وهو اليوم مسجد وادى القرى .

قلت : فهذا والذى قبله بوادى القرى ، وفى رواية ابن زباله : ومسجدان

بوادى القرى أحدهما في سوقها والآخر في قرية بنى عذرة ، فلعل هذا هو الذى بقرية بنى عذرة ، والذى قبله هو الذى بالسوق ، لسكن المجد غير بين الثلاثة أخذنا بظاهر العبارة ، ولأن في رواية أخرى لابن زبالة « صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذى بصعيد قرح من الوادى ، وتعلمنا مصلاه بأحجار وعظم ، فهو المسجد الذى يجتمع فيه أهل الوادى » .

السادس عشر : بقرية بنى عذرة ، لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره ابن زبالة

كما تقدم .

السابع عشر : بالرقعة ، على لفظ رقعة الثوب ، قال أبو عبيد البكري : أخشى أن يكون بالرقعة - بالميم - من الشقة شقة بنى عذرة ، وقال ابن زبالة بدله : بالسقيا ، قال المجد في أسماء البقاع : والسقيا من بلاد عذرة قريبة من وادى القرى الثامن عشر : بذي المروة ، قال المطرى : وهو على ثمانية بُرْدٍ من المدينة ، كان بها عيون ومزارع وبساتين أثرها باقى إلى اليوم .

قلت : وسيأتى في ترجمتها ما جاء في نزوله صلى الله عليه وسلم بها .

التاسع عشر : بالفيفاء فيفاء الفحلتين ، قاله المطرى ، كان بها عيون وبساتين

لجماعة من أولاد الصحابة وغيرهم .

قلت : وسيأتى في ترجمة الفحلتين أنهما قنتان تحتها صخر على يوم من المدينة .

العشرون : بذي خشب على مرحلة من المدينة ، ولفظ رواية ابن زبالة أن

النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى تحت الدومة التي في حائط عميد الله بن مروان

بذي خشب ، فهناك يجتمعون .

وفي سنن أبى داود أن النبي صلى الله عليه وسلم نَزَلَ في موضع المسجد تحت

دومة ، فأقام ثلاثا ، ثم خرج إلى تبوك ، وإن جهينة لحقوه بالرحبة ، فقال لهم :

من أهل ذى المروة ؟ قالوا : بنو رفاعة من جهينة ، فقال : قد قطعها لبنى رفاعة ،

فاقتسموها ، فمنهم من باع ومنهم من أمسك فعمل .

وسنتكلم على هذه الأماكن بأوفى من هذا في محلها إن شاء الله تعالى .

مسجد الكديد

ومنها : موضع مُصَلَّاهُ بنخل ، ومسجد على ميل من الكديد - روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بنخل تحت أئمة لرجل من أشجع من بني نعيم في مزرعة له في وسطها نخل ، وصلى تحتها ، فأصرَّ الناس بتلك المزرعة ، فقتض صاحب المزرعة تلك الأئمة ، قال : ثم أبعده رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطن نخل حتى جاوز الكديد بميل ، فنزل تحت سرحة وصلى تحتها ، فموضع مسجده اليوم معروف ، وأنه صلى الله عليه وسلم صلى بالجبل من بلاد أشجع .

قلت : نخل موضع بنجد كما سيأتي في محله ، والكديد : موضع بقربه ، لا الكديد الذي بين خليص وعسفان ، وذكر الأسدي هذا المسجد في وصف الطريق بين فيد والمدينة . فقال بعد ذكر ذي أمر : إن الكديد وادٍ ، والطريق يقطعه ، فلما يفارقه ماء عذب مستنقع ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه خيام أعراب من بني كنانة ، والنخيل قريب منها ، وذكر أن بين النخيل وبئر السائب اثنين وأربعين ميلاً ؛ فعبر عن نخل بالنخيل مصغراً ، وذلك هو المعروف اليوم قرب الكديد .

ومنها : مسجد بالحديبية يقال له مسجد الشجرة - وهو غير معروف ، بل قال المطري : لم أر في أرض مكة من يعرف اليوم الحديبية إلا الناحية لا غير ، انتهى . وهو الموضع الذي نزل به النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية يريد مكة فعاقه المشركون .

مسجد الشجرة
بالحديبية

قال ابن شبة ، فيما نقل عن ابن شهاب : الحديبية وادٍ قريب من بلح ، وقال صاحب المطالع : هي قرية ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة ، وقال التقى الفاسي : يقال إن الحديبية الموضع الذي فيه البئر المعروف ببئر شمس بطريق جدة .

ومنها: مسجد دون ذات عرق بميلين ونصف - قال الأسدي في وصف
طريق ذات عرق من جهة نجد والعراق : إن بركة أوطاس يسرة عن الطريق
بائنة عن الحججة ، وبعدها مسجد يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، ودون
ذات عرق بميلين ونصف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ميقات
الإحرام ، وهو أول تهامة ، فإذا صررت عند الميل الثامن رأيت هناك بيوتاً في الجبل
خراباً يمتد عن الطريق ، يقال : إنها ذات عرق الجاهلية ، وأهل ذات عرق
يقولون : الجبل كله ذات عرق ، وبعض أهل العلم كان يجب أن يحرم من ذات
عرق الجاهلية .

ومنها : مسجد بالجعرانة - عن محرس الكعبي رضى الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلاً مُعْتَمِراً ، وجاء مكة ليلاً ، فقضى عمرته ،
ثم خرج من ليلته وأصبح في الجعرانة كبائت ، فلما زالت الشمس من الغد خرج
في بطن شرف حتى جامع الطريق ، فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس ،
رواه أحمد والترمذي وحسنه .

وذكر الواقدي أن إحرامه صلى الله عليه وسلم من الجعرانة كان ليلة الأربعاء
لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ، وأنه أحرم من المسجد الأقصى الذي
تحت الوادي بالعدوة القصوى ، وكان مُصَلِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
كان بالجعرانة به ، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش ، واتخذ الحائط عنده ، ولم
يُجز رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلا محرماً .

وعن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أحرم من الجعرانة من وراء الوادي
حيث الحجارة المنصوبة ، وإني لأعرف من اتخذ هذا المسجد على الأكمة ، بناه
رجل من قريش ، واشترى مالا عنده ونحلا . وبين في رواية أخرى أن المسجد
الأقصى الذي من وراء الوادي بالعدوة القصوى مُصَلِّي رسول الله صلى
(١٧ - وفاة الوفا ٣)

الله عليه وسلم ما كان بالجرعانة ، وأن المسجد الأذني بناه رجل من قريش ،
رواه الأزرقي .

مسجد لية

ومنها : مسجد لية ، وبين وادي لية ووادي الطائف نحو ثمانية أميال .

قال ابن إسحاق : سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين
متوجهاً إلى الطائف على نخلة اليمانية ، ثم على قرن وهو مهمل أهل نجد ، ثم على
المليج ، ثم على بحيرة الرضا من لية ، فابتنى بها مسجداً وصلى فيه .

قال المطري : وهو معروف اليوم وسط وادي لية ، رأيته وعنده أثر في حجر
يقال به أثر خف ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن إسحاق عن
حديث عمرو بن شعيب له : إنه صلى الله عليه وسلم أقاد يومئذ ببهجرة الرضا ، وحين
نزلها ندم ، وهو أول دم أقيد به في الإسلام ، رجل من بني ليث قتل رجلاً من
هذيل ، فقتله به .

مسجد الطائف

ومنها : مسجد بالطائف - قال ابن إسحاق بعدما تقدم عنه : ثم سلك صلى

الله عليه وسلم في طريق يقال له الضيقة ، وسأل عن اسمها فقيل : الضيقة ، فقال بل
هي اليسرى ، ثم خرج منها على نجح - وهي عقبة في الجبل - حتى نزل تحت
سدرة يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، ثم مضى حتى نزل
قريباً من الطائف ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل لاقتراب عسكره من حائط
الطائف ، فوضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصروهم بعضاً
وعشرين ليلة ، ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة ، فضرب لها قبطين ،
ثم صلى بين القبطين ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلّى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمرو بن أمية بن وهب مسجداً ، وكانت في ذلك المسجد سارية فيما يزعمون
لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سمع لها نقيض ، انتهى .

وذكر الواقدي بناء عمرو بن أمية للمسجد على مصلّى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، قال : وكان فيه سارية لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا يسمع لها
نقيض أكثر من عشر مرار ، فكانوا يرون أن ذلك تسبيح .
قال المطري : وهو جامع كبير ، فيه منبر عالٍ عمل في أيام الناصر أحمد بن
المستضيء ، وفي ركنه الأيمن القبلي قبر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في قبة
عالية ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحن هذا الجامع بين قبتين
صغيرتين يقال : إنهما بُنيتا في موضع قبتي زوجته عائشة وأم سلمة رضي الله
تعالى عنهما .

قلت : قال التقى الفاسي : إن المسجد الذي يُنسب للنبي صلى الله عليه وسلم
هناك في مؤخر المسجد الذي فيه قبر عبد الله بن عباس ؛ لأن في جداره القبلي من
خارجة حجراً فيه : أمّرت أمّ جعفر بنت أبي الفضل أمّ وُلّاة عهد المسلمين
بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف . وفيه أن ذلك سنة
اثنين وسبعين ومائة ، قال : والمسجد الذي فيه قبر ابن عباس أظن أن
المستعين العباسي عمره مع ضريح ابن عباس ، انتهى . فإن كان المسجد الذي
ذكره الفاسي أنه في مؤخر الجامع المذكور في صحنهِ فلا يخالفه فيه لما ذكره
المطري ، وإلا فيخالفه .

قال المطري : ورأيت بالطائف شجراتٍ من شجر السدر يذكر أنهن من
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينقل ذلك خلف أهل الطائف عن سلفهم ،
فمنهن واحدة دور جذرها خمسة وأربعون شبراً ، وأخرى أزيد على الأربعين ،
فأخرى سبعة وثلاثون ، وأخرى يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بها وهو
على راحلته فانفرد جذرها نصفين ، وأن ناقته دخلت من بينهما وهو ناعس ،
قال : رأيتها قائمة كذلك سنة ست وتسعين ، وأكلت من ثمرها ، وحملت منه
للبركة ، ثم في سنة تسع وعشرين وسبعائة رأيتها وقعت وبيست وجذرها ملقى
لا يغيره أحد لحرمة بينهم ، انتهى .

وكأنه بقي منها بقية ؛ فإن التقى الفاسي ذكرها ، وقال : إنها انفرجت للنبي صلى الله عليه وسلم نصفين لما اعترضته وهو سائر وسنان ليلاً في غزوة الطائف وثقيف على ساقين ، على ما ذكر ابن فورك فيما حكى عنه عياض في الشفاء ، وبعض هذه السُدرة باقٍ إلى الآن ، والناس يُتبركون به ، انتهى .

وقال المرجاني : ورأيت بوجٍّ من قرى الطائف سدرَةً محاذيةً للجبر قرية أيضاً يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس تحتها حين أتاه عديس بالطبق العنب وأسلم ، وقالوا : سحره محمد ، والقصة مشهورة ، قال : ورأيت في جبل هناك عند آخر الخبرة تحت العين يذكر أنه صلى الله عليه وسلم جلس فيه ، انتهى .

وعن الزبير قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلية - قال الحميدي : مكان بالطائف - حتى إذا كنا في السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند طرف التمرن الأسود عندها ، فاستقبل نخباً - قال الحميدي : مكان بالطائف - ببصره ، ثم وقف حتى اتفق الناس ، ثم قال : إن صيدوجَّ وعضاهاهُ حَرْمٌ محرمٌ لله عز وجل ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً ، كذا في نسخة العيسوي عن الحميدي ومسنده أحمد وسنن أبي داود أيضاً ، وضعفه النووي .

وختم ابن زبالة الكلام على المساجد بحديث عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعاً « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ، ولو مثل مَفْحَصِ القَطَاة » قالت : فقلت : يا رسول الله والمساجدُ التي بين مكة والمدينة ؟ قال : نعم ، ورواه البزار . وفيه كثير بن عبد الرحمن ، ضعفه العقيلي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ولفظه « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ، قلت : وهذه المساجد التي في طريق مكة ؟ قال : وتلك » ، والحديث في الصحيح عن عثمان بدون هذه الرواية ، ولفظه « مَنْ بنى مسجداً يبتغي به وَجْهَ الله بنى الله له بيتاً في الجنة » .

قلت : فينبغي الاعتناء بما دمر من المساجد التي بالمدينة وغيرها وعمارتها ،
والله الموفق .

الباب السابع

في أوديتها ، وأحماها ، وبقاعها ، وجبالها ، وأعمالها ، ومضافاتها ،
ومشهور ما في ذلك من المياه والأودية ، وضبط أسماء
الأماكن المتعلقة بذلك ، وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول

في فضل وادي العقيق ، وعرضته ، وحدوده

ماورد من
الأحاديث في
فضل وادي
العقيق

روينا في الصحيح عن ابن عمر قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بوادي العقيق : « أتاني الليلة آتٍ فقال : صلِّ في هذا الوادي المبارك ،
وقل عمرة في حجة » .

وتقدم في مسجد المعرس في رواية له « أرى وهو في مُعرَّسه بذي الحليفة
ببطن الوادي قيل له : إنك ببضحاء مباركة » .

وروى ابن شبة عن عمر رضي الله تعالى عنه مرفوعاً « العقيقُ وادي مبارك » .

وعن هشام بن عروة قال : اضطلع النبي صلى الله عليه وسلم بالعقيق ، فقيل له :
إنك في وادي مبارك .

وروى ابن زباله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم « نام بالعقيق ، فقام رجل من أصحابه يُوقظه ، فحال بينه وبينه رجل من أصحابه
آخر ، وقال : لا توقظه فإن الصلاة لم تقمته ، فتدارأ حتى أصاب بعضُ أحدهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيقظه ، فقان : ما لكما ؟ فأخبراه . فقال : لقد أيقظتاني

وإني لأراني بالوادي المبارك» وعن زكريا بن إبراهيم بن مطيع قال: بات رجلان بالعقيق، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أين بتما؟ فقالا: بالعقيق، فقال: لقد بتا بواد مبارك.

وتقدم أن عمر رضي الله تعالى عنه قال: احضبوا هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - من هذا الوادي المبارك، ورواه صاحب الفردوس مرفوعا.

وقال أبو غسان: أخبرني غير واحد من ثقات أهل المدينة أن عمر رضي الله تعالى عنه كان إذا انتهى إليه أن وادي العقيق قد سأل قال: اذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك، وإلى الماء الذي لو جاءنا جاء من حيث جاء لتمسحنا به.

وروى ابن زبالة عن عامر بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «رَكِبَ إلى العقيق، ثم رجع فقال: يا عائشة جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطئك، وأعذب ماءه، قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا ننتقل إليه؟ قال: وكيف وقد ابنتي الناس؟»

وعن خالد العدواني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عرصة العقيق «نعم للنزل العرصة لولا كثرة الهوام».

وعن محمد بن إبراهيم التيمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «خَرَجَ في بعض مَغَازِيهِ، فأخذ على الشارعة حتى إذا كان بالعرصة قال: هي المنزل لولا كثرة الهوام».

وروى السيد أبو العباس العراقي في ذيله على ابن النجار عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي العقيق، فقال: يا أنس خذ هذه المِطْهَرَةَ أَمْلَأْهَا من هذا الوادي فإنه يجنبنا ونجبه، فأخذتها فلأتمها، الحديث.

وروى ابن شبة عن سلمة بن الأكوع قال: كنت أصيدُ الوحشَ وأهدى لحومها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففقدني فقال: يا سلمة أين كنت تصيد

الوحش؟ قلت: يا رسول الله تباعد الصيد فأنا أصيد بصدور قناة نحو ثيب، فقال: لو كنت تصيد بالعقيق لشيقتك إذا خرجت وتلقيتك إذا جئت، إني أحب العقيق، ورواه الطبراني بنحوه، قال الهيثمي: وإسناده حسن

وروى ابن زبالة عن جابر قال: كان سامة يصيدُ الطباء فيهدى لحومها لرسول الله صلى الله عليه وسلم جفيفاً وطرياً، فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا سامة مالك لا تأتي بما كنت تأتي به؟ فقال: يا رسول الله تباعد علينا الصيدُ وإنما نصيد بثيب وصدور قناة، فقال: أما إنك لو كنت تصيدُ بالعقيق لشيقتك إذا ذهبت وتلقيتُك إذا جئت، إني أحب العقيق.

قلت: ومحملة إن صح على ما قبل تحريم المدينة، أو أن المراد من الصيد بالعقيق طرفه الخارج عن الحرم، جمعاً بين الأدلة.

ونقل ابن زبالة والزيبر بن بكار عن هشام بن عروة أنه كان يقول: العقيق حد العقيق ما بين قصر المراجل فسلم صُعداً إلى النقيع، وما أسفل من ذلك - أي من قصر المراجل - فن زغابة.

وعن المنذر بن عبد الله الحمراني أنه سمع من أهل العلم أن الجرف ما بين محجة الشام إلى القصاصين، أي أصحاب القصة، وأن وطيف الحمار ما بين سقاية سليمان إلى الزغابة، وأن العرصة ما بين محجة بين إلى محجة الشام، وأن العقيق من محجة بين فاذهب به صعداً إلى النقيع.

قلت: محجة بين تبين آخر الجروف، أي طريقها، وأظنها طريق درب العصرة، ومن سلكها مغرباً كانت الجموات عن يساره.

قال: وحدثني آخرون أن العقيق من العرصة أبداً إلى النقيع.

قال الزيبر: ولم أزل أسمع أهل العلم والسنن يقولون: إن العقيق الكبير مما يلي الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل، ومما يلي الجماء ما بين قصور عبد العزيز بن عبد الله العثماني إلى قصر المراجل، ثم اذهب بالعقيق صعداً

إلى منتهى النقيع ، ويقولون لما أسفل من المراحل إلى منتهى العرصة العقيق الصغير ، فأعلى أودية العقيق النقيع .

وقالت الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية تبكي أخاها صخر ابن عمرو وقد مات بالنقيع من جراحة فدفن فيه على رأس برام :

أفريقي من دُموعِكِ واستفريقي وصَبْرًا إنْ أَطَقْتِ ، ولَنْ تُطِيقِي
وقولي : إنْ خيرَ بنِي سليمٍ وغَيرهم ببطحاءِ العقيقِ

وروي بفتحاء العقيق .

ونقل أبو علي الهجري أن النقيع يبتدىء أوله من برام ، والعقيق يبتدىء أوله من حضير إلى آخر منتهاه من العقيق الصغير ، ثم يصب في زغابة .

ونقل أيضا أن حضيرا آخر النقيع وأول العقيق ، وآخر العقيق زغابة ، قال : وزغابة مجتمع السيول غربى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ، وهو أعلى وادى إاضم .
قلت : فهي منتهى العقيق والعرصة ، ومبتدؤه حضير ، وهي مزارع معروفة بقرب النقيع على أزيد من يوم عن المدينة .

وقال عياض : النقيع صدر العقيق ، والعقيق وادٍ عليه أموال أهل المدينة ، قيل : على ميلين منها ، وقيل : على ثلاثة ، وقيل : ستة أو سبعة ، وهما عقيقان ، أدناها عقيق المدينة ، وهو أصغر وأكبر ، فالأصغر فيه بئر رومة ، والأكبر فيه بئر عروة . والعقيق الآخر على مقربة منه ، وهو من بلاد مُزينة ، وهو الذى أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث ، وأقطعه عمر الناس ، فعلى هذا تحمل المسافات لا على الخلاف . والعقيق الذى جاء فيه « إنك بوادٍ مبارك » هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة ، وهو الأقرب منهما - أى من العقيقين - المنقسم أحدهما إلى الكبير والصغير فلا ينفى كون ما يلي الحرة من العقيق أقرب . على أنه سيأتى ما يقتضى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث كلَّ العقيق بعيدَه وقريبه ، وأن الذى أقطعه عمر الناس هو الأدنى من المدينة ،

وهو المنتقسم إلى كبير وصغير ، وكلام الزبير وغيره صريح في ذلك ، والصواب أن مهبط الثنية المعروفة بالمدراج أول شاطئ وادي العقيق ، على ميلين من المدينة أيام عمارتها ، كما اقتضاه اختباري لمساحة ما بين المسجد النبوي ومسجد ذي الخليفة ، وبه صرح الأسدي من المتقدمين ، فقال : إن العقيق على ميلين من المدينة ، الميل الأول خلف أبيات المدينة ، والثاني حين ينحدر من العقبة في آخره يعني المدرج ، وكان من عَبرَ بالثلاثة اعتبر المسافة من المسجد النبوي إلى أول بطن الوادي بعد القصر المعروف بحصن أبي هشام ، ومن عبر بالسته اعتبرها إلى طرفه الأبعد وهو الذي به ذو الخليفة ، فأدخل بطن الوادي في المسافة ، أو هو مفرع علي القول بأن الميل ألفا ذراع ، والراجح الموافق لاختبارنا أنه ثلاثة آلاف وخمسة مائة ذراع وقال المطري : وادي العقيق أصل مسيله من النقيع قبلي المدينة الشريفة علي طريق المشبان ، وبينه وبين قباء يوم ونصف ، ويصل إلى بئر علي العليا المعروفة بالخليفة - بالقاف والحاء المعجمة - ثم يأتي علي غربي جبل عَبرَ ، ويصل إلى بئر علي بندي الخليفة المحرم ، ثم يأتي مشرقا إلى قريب الحراء التي يطلع منها إلى المدينة ، ثم يعرج يسارا ، ومن بئر المحرم يسمى العقيق ، فينتهي إلى غربي بئر رومة ، انتهى .

وقوله : « ومن بئر المحرم يسمى العقيق » أي في زمنه كزماننا ، وهو العقيق الأذني في كلام عياض .

وقال عقب قوله « والعقيق الذي جاء فيه إنك بواد مبارك هو الذي ببطن وادي ذي الخليفة وهو الأقرب منهما » ما لفظه : وهو الذي جاء فيه أنه مُهلٌ أهل العراق من ذات عرق ، اه . وهو خطأ ، إلا أن يحمل علي ما ذكره بعضهم من أن عقيق ذات عرق يتصل واديه بعقيق المدينة ، والمعروف قديما امتداده إلى النقيع كما سبق ، قال الزبير : سألت سليمان بن عياش السعدي : لم سُمِّيَ العقيقُ عقيقا ؟ قال : لأن سبيله عقي في الحرة ، وكان سليمان من أفقه من رأيت في كلام العرب .

وقوله « عق » أى شقّ وقطع فى الحرّة ، ولما شخّص تبع عن منزله بقنّاة
ومر بالعرصة وكانت تسمى السليل قال : هذه عرصة الأرض ، فسميت العرصة ،
ومر بالعقيق فقال : هذا عقيق الأرض ، فسمى العقيق ، وقيل : سُمى بذلك لحرّة
موضعه .

الفصل الثامن

فى أقطاعه ، وابتناء القُصُور به ، وطريف أخبارها
روى ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث العقيق
كلّه ، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يُقطِعْكَ لتججره ، وأقطعه عمرُ الناس .

رسول الله
يقطع بلالا
العقيق

وقال ابن شبة : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا مَنْ نثق به من آل حزم
وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث المزنى العقيق ،
وكتب له فيه كتابا نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله
بلال بن الحارث ، أعطاه من العقيق ما أصلح فيه معتملا . وكتب معاوية ، قال :
فلم يعمل بلال فى العقيق شيئا ، فقال له عمر فى ولايته : إن قويت على ما أعطاك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من معتمل العقيق فاعتمله ، فما اعتملت فهو لك كما
أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم تعمله أقطعته بين الناس ولم تججره
عليهم ، فقال بلال : تأخذ منى ما أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشترط عليك فيه شُرطا ، فأقطعه عمر رضى
تعالى عنه بين الناس ، ولم يعمل فيه بلال شيئا ؛ فلذلك أخذه عمر رضى الله تعالى
عنه ، ورواه الزبير بن بكار ، وأسند نسخة القطيعة المذكورة عن هشام بن عروة .
وروى عن محمد بن سامة الخزومى قال : أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلال بن الحارث المزنى معادن القبيلة والعقيق ، فبلغنا أنه باع رومة من عثمان بن

عفان ، وانتزع منه جمر بقية العقيق وأقطعه للناس ، وقال : إنما أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعمّر ولم يعطك تحجراً .
« وعن هشام بن عروة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث العقيق ، فلم يزل على ذلك حتى ولي عمر فدعا بلالاً فقال : قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سئله ، وإنك سألته أن يعطيك العقيق فأعطاك ، فالناس يومئذ قليل لا حاجة لهم ، وقد كثير أهل الإسلام واحتاجوا إليه ، فانظر ما ظننت أنك تقوى عليه فأمسكه وارددنا إلينا ما بقي نُقطعه ، فأبى بلال ، فترك عمر بيد بلال بعضه وأقطع ما بقي للناس .
وذكر في رواية مع العقيق « معادن القبلية وحيث يصلح الزرع من قدس » وهي في سنن أبي داود بدون ذكر العقيق .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن أبي بكر أن عمر لما ولي قال : يا بلال ، إنك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً طويلة عريضة ، فأقطعها لك ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سئله ، وإنك لا تطيق ما في يدك ، فقال : أجل ، فقال : فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه ، فأبى ، فقال عمر : والله لنفعلن ، فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسّمه بين المسلمين .

خبر قصر عروّة ، وبئر

عن عروة بن الزبير قال : لما أخذ عمر بن الخطاب من بلال بن الحارث ما أخذ من العقيق وقف في موضع بئر عروّة بن الزبير التي عليها سقايته ، وقال : أين المستقطعون ؟ فنعم موضع الحفيرة ، فاستقطعه ذلك خوأت بن جبّير الأنصاري ، ففعل ، قال مصعب بن عثمان : فقرأت كتاب قطيعته أرض عروة بن الزبير بالعقيق في كتب عروة ما بين حرة الوبرة إلى ضفيرة المغيرة بن الأحنس .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما أقطع عمرُ العقيقَ فدنا من موضع قصر عروة وقال : أين المستقطعون منذ اليوم ؟ فوالله ما مررت بقطيعة شبيهة هذه القطيعة ، فسألها خَوَات ، فأقطعها له ، وكان يقال لموضعها « خيف حرة الوبرة » فلما كانت سنة أحد وأربعين أقطع مروان بن الحسك عبد الله بن عياش بن علقمة ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأحنس بالعقيق إلى الجبل الأحمر الذي يطلعك على قباء ، قال هشام : فاشتري عروة موضع قصره وأرضه وبثاره من عبد الله بن عياش ، وابتنى واحتفر وحجر وضفر ، وقيل له : إنك لست بموضع مُدِر ، فقال : يأتي الله به من النقيع ، فجاء سيل فدخل في مزارعه فكساها من خليج كان خَلَجَه ، وكان بناه جنابذ - أي جمع جنبد بضم الجيم ، وهو ما ارتفع واستدار كالقبة - قال : وكان لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الناحية الأخرى المراحل وقصرُ أمية والمنيف والآبار التي هناك والمزارع ، فاستفتى عبد الله عبد الله بن عبد الله بن عمرو وعلى عروة وقال : إنه حَمَلٌ على حق السلطان ، فهدم عمر بن عبد العزيز جنابذه وضفائره ، وسد بئاره ، فقدم رجل من آل خالد ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية يريد الوليد ، فسأل عن عروة ، فأخبر قصته ، فقدم على الوليد فسأله عن عروة وحاله ، فأخبره ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز ما عروة ممن يُبْهَمُ فدَعَهُ وما انتقص من حق السلطان ، فبعث إليه عمر وقال : كتبت في إلى أمير المؤمنين ؟ فقال : ما فعلت ، فقال : اذهب فاصنع ما بدا لك فقال عروة : جزعوا من جنابذِ نبيها ، والله لأبنيه بناء لا يبلغونه إلا يشقُّ الأنفس ، فبنى قصره هذا البناء ، وهيل بئاره ، فقال له ابنه عبد الله : يا أبتاه لو تبدلت بئارا فاحتفرتها لكان أهون في العزم ، فقال : لا والله إلا هي بأعيانها وأنشأ عروة يقول :

بمَينَاهُ فَأَحْسَنَاهُ بِنَاهُ * بِمُحَمَّدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ الْعَقِيقِ
نَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ شَرَّ رَأً * يَلُوحُ لَهُمْ عَلَى وَصَجِ الطَّرِيقِ

فساء الكاشحين وكان غيظاً * لأعدائي وسراً به صديقي
يراه كلُّ مرتفقٍ وسارٍ * ومُعتمِرٍ إلى بيتِ العقيقِ
وعن مصعب بن عثمان قال : لما كتب الوليدُ إلى عمر بن عبد العزيز في ذلك
ولي عروة عمر بن عبد الله بن عروة بقاء قصره ، فلما كثرت النفقة فيه لقيه عمه
يحيى بن عروة فقال : يا ابن أخي ، كم أنفقت في القصر ؟ قال : كذا وكذا ،
قال : هذه نفقة كثيرة لو علم أبي بها لاقتصر في بنائه ، فأخبره بذلك ، فأخبر عمر
جده ، فقال : اتيك يحيى ؟ قال : نعم ، قال : إنما أراد أن يعوق عليّ بنأى ، أنفق
ولا تحسب ، فأنفق ولم يحسب حتى فرغ ، وحفر بئارا إحداهن بئر السقاية ، وبئر
يدعى العسيلة ، وبئر القصر .

وقال مصعب : وسبب هدم عمر بن عبد العزيز وتهوره البئر أن عروة أراد
أن يرفع في رأس عينه محلا فمنعه عبد الله بن عمرو بن عثمان إلا أن يسأله ذلك ،
وكان له حقيق به ، فقال عروة : مثلي يُكَلِّف ذلك ؟ وتركها ، فلما بنى عبد الله
قصره المراحل وعمل مزارعه عمل له خليجا ، فلما بلغ به مزارع عروة حال بينه وبين
ذلك ، فاستفتى عبد الله بن عبد الله عمر بن عبد العزيز على عروة ، وقال : بنى وحفر
في غير حقه ، وكانت جنابذه سبعا ، وكانت الركبان ينزلون على بئر مروان ، فلما
حفر عروة بئر وأعذب اختاروا السهل والعدوبة فتركوا النزول على بئر مروان
وكان في نفس عمر بن عبد العزيز شيء من ذلك ، مع ما كان في نفسه على
جميع بني الزبير .

وعن ابن أبي ربيعة أنه مرَّ بعروة وهو يبني قصره بالعقيق فقال : أردت
الحرب يا أبا عبد الله ؟ قال : لا ، ولكن ذكر لي أنه سيصيبها عذاب ، يعني
للمدينة ، فقلت : إن أصابها كنت منتحيا عنها .

وعن عروة مرفوعا : يكون في آخر أمتي حَسَفٌ وقَذْفٌ ومسَخٌ ، وذلك
عند ظهور عمل قوم لوط ، قال عروة : فبلغني أنه قد ظهر شيء منه ، فتنحيتُ

عنها ، وخشيت أن يقع وأنا بها ، وبلغني أنه لا يصيب إلا أهل القصبة - قصبة المدينة ، وفي نسخة المجد « القُصْبِيَّة » مصغراً ، فأوردوه في ترجمة القصيبة ، وهو وهم .
وعن هشام قال : لما اتخذ عروة قصره قال له الناس : قد جَفَوْتَ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إني رأيتُ مساجدَهم لاهية ، وأسواقهم لا غية ، والفاحشة في فجاجهم عالية ، فكان فيما هناك عما هم فيه عافية .

وتصدق عروة بقصره وأرضه وبثره على المسلمين ، وأوصى بذلك إلى الوليد ابن عبد الملك ، فولاه ابنه يحيى وعبد الله ، ثم توفي يحيى وأقام عبدُ الله في القصر نحواً من أربعين سنة ، ثم توفي عبد الله ، ثم وليها هشام بن عروة بالسن ، ثم عبد الله بن عروة ، وقيل له : مالك تركت المدينة ؟ قال : لأني بين رجلين حاسد لنعمة أو شامت بمصيبة ، وهو القائل :

لو كان يدري الشيخُ عذري بالسحر نحوَ السقاية التي كان احتَفَرَ

لَفَتِيمةٍ مثل الدنانيرِ عُرُزٍ وقاهمُ الله النَّقَاقَ وَالضَّجَرَ

بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَزَيْدٍ وَعُمَرَ ثمَّ الخَوَارِثُ لَهُمْ جَدُّ أَعْرَ

فَهُمْ عَلَيْهَا بِالْعَشِيِّ وَالْبَكْرِ يَسْتَقُونَ مَنْ جَاءَ وَلَا يُؤْذُوا بَشَرَ

* لَزَادِ فِي الشُّكْرِ وَكَانَ قَدْ شَكَرَ *

ولما ولي إبراهيم بن هشام المدينة لهشام بن عبد الملك أراد أن يدخل في حقوق بني عروة بالقرع ، فخال عبد الله ويحيى بينه وبين ذلك فهدم قصرَ عروة وشَعَثَهُ ، وطرح في بئر عروة جملاً مطلياً بقطران ، فكتب عبدُ الله إلى هشام ابن عبد الملك بذلك ، فكتب إلى ابن أبي عطاء عامله على ديوان المدينة أن يرد ذلك على ما كان حتى يَصْعَغَ الوتد في موضعه ، فكان غرم ذلك ألف دينار وثلاثين ألف درهم .

وكان عبد الله يتحییُّ ركوب ابن هشام ، فإذا أشرف على الحرة قال للناس : كبروا ولسكم جزور ، فيفعلون ، فينحرها ، فيغيظ بذلك ابن هشام ويبلغ منه .

وقال في ذلك يحيى بن عروة أبياتا منها :
ألا أبلغ مُغَلَّغَةً بَرِيداً وَأَبْلَغَ إِنْ عَرَضْتَ أَبَا سَعِيدٍ
وَأَبْلَغَ مَعْشَرًا كَانَتْ إِلَيْهِمْ وَصَايَا مَا أُرِيدُ بَنِي الْوَلِيدِ
فَإِنْ لَا نَعْتَنِي قُرْبَايَ مِنْكُمْ فَوَدَّى غَيْرِ ذِي الطَّمَعِ السَّكُودِ
ولما قدم الوليد بن يزيد في خلافة هشام بن عبد الملك ليدفع بالناس في
الموسم وأقام عبد الله بن عروة بالعقيق ، حتى قيل : هذا ولي العهد [قدر كع في بركة
مكة؟] فلقيه عبد الله وهو على ظهر الحرة ، فلما نظر الوليد إلى قصور بني أمية عنبسة
ابن سعيد ومروان بن سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر جعل يقول لعبد الله
ابن عروة : لمن هذا ؟ فيخبره ، فلما نظر إلى قصر عروة قال : لمن هذا ؟ قال : هذا
قصر عروة ، قال : عامر بن صالح في قصر عروة وبئر :

حَبِّدَا الْقَصْرَ ذُو الظَّلَالِ وَذُو الْبِئْرِ بِبَطْنِ الْعَقِيقِ ذَاتِ السَّقَاةِ
مَاءِ مُزْنٍ لَمْ يَبِغْ عُرْوَةَ فِيهَا غَيْرَ تَقْوَى الْإِلَهِ فِي الْمَفْطَعَاتِ
بِمَكَانٍ مِنَ الْعَقِيقِ أَنْيَسِ بَارِدِ الظِّلِّ طَيِّبِ الْغُدُوتِ
وقال أيضا :

يَا حَبِّدَا الْقَصْرُ الَّذِي الْإِمْلَاقِ ذُو الْبِئْرِ بِالْوَادِي عَلَيْهَا السَاقِي
وقال أيضا :

ولقصر عروة ذو الظلال وبئر
أشهى إلى من العيون وأهلها
بشقا العقيق البارد الأفياء
والدور من فحلين والفرعاء
وقال جابر الزمعي في بئر عروة :

يعرضها الآن من الناس أهلها ويجعله زاداً له حين يذهب
وقال الزبير بن بكار : رأيت الخراج من المدينة إلى مكة وغيرها من يمر
بالعقيق يخففون من الماء حتى يتزودوه من بئر عروة ، وإذا قدموا منها بماء
يقدمون به على أهلهم يشربونه في منازلهم عند مقدمهم .

وقال : ورأيت أبي يأمر به فيغلي ، ثم يجعل في القوارير ثم يهديه إلى أمير المؤمنين هارون بالركة .

وعن نوفل بن عمارة قال : لما بدت أُمى قصرها أرسل إليها هشام بن عروة يقول : إنك نزلت بين الطيبين بئر عروة وبئر المغيرة بن الأخنس ، فأسألك برحمتي إلا جعلت شرابك من بئر عروة ووضوءك من بئر المغيرة ، فكانت أُمى لا تشرب إلا من بئر عروة ، ولا تتوضأ إلا من بئر المغيرة ، حتى لقيت الله تعالى .

وعن مرزوق بن الالة [؟] أنه قال لهشام بن عروة : رأيت أن عيننا من الجنة تصب في بئر عروة .

وقال السريُّ بن عبد الرحمن الأنصارى :

كفنونى إن مُتُّ في دِرْعِ أَرْوَى واستَقُوا لى من بئرِ عُرْوَةَ مائى
سخنة فى الشتاء باردة الصيف سِرَاجِ فى الليلة الظلماء
وقال على بن الجهم :

هذا العقيق فعَدَّ أيب * دى العيسِ عن غلومها

وإذا أصفت ببئرِ عُرْ * وَة فَاسْتَقِنِي من مأها

إنا وعيشك ما ذم * نا العيش فى أفنأها

قال المجد : إنه لم يجد من يعرف هذه البئر من أهل المدينة .

قلت : سيأتى فى قصر عاصم أن جماء تضارع مُشْرِفةً على قصر عروة ، وتسيل إلى بئرته .

وقال الأسدى : إن الميل الثالث من المدينة وراء بئر عروة بقليل ؛ فيظهر أنها البئر المطومة اليوم على يمينك وأنت متوجه إلى ذى الحليفة إذا جاوزت الحصن المعروف بأبى هاشم بنحو ثلث ميل وقريب من الجماء .

قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان ، وهو فى قبل الجماء جماء

قصر عاصم

تضارع المشرفة على قصر عروة وعلى الوادى يُوَاجِه بئر عروة بن الزبير ، والجماء
تسيل على قصر عاصم وعلى بئر عروة .

وكان عبد الله الجعفرى وعمر بن عبد الله بن عروة تعاونا فى هجاء قصر

عاصم ، فقالا :

ألا يا قَصْرَ عاصم لو تَبِينُ فتستعدى أمير المؤمنينِ
فتذكر ما لقيت من البلايا فقد لاقيت حزنا بعد حين
بنيت على طريق الناس طرا يَسْبُكُ كل ذى حسب ودين
ولم توضع على غمض فتخفى ولم توضع على سهل ولين
يرى فيك الدخان لغير شيء فقد سميت خَدَّاعَ العيون

فى أبيات آخرها :

قبيح الوجه منعقد الأواسى خبيث الخلق مطرود بطين
فاشترى عاصم قصة فطره بها وغرم فيه ألفى درهم ، وقال يرد عليهما :
بَنَوْا وَبَنَيْتُ وَأَتَّخَذُوا قُصُوراً فَمَا سَاوَوْا بِذَلِكَ مَا بَنَيْتُ
بنيت على القرار وجانبوه إلى رأس الشواحق واستويت
على أفعالهم وعلى بناهم علوت وكان مجدا قد حويت
وتلك سلاصل قد فلتتهم وذاك وديهم فيها يموت
فليس لعامل فيها طعام وليس لضيفهم فيها مبيت
وقيل : البيتان الأخيران لزيد بن عاصم ، قال الزبير : وهو أشبه .

وصلاصل : أرض كانت لعروة بحرة بطحان ، ثم صارت لابنه يحيى ،
فوقفها فى بنيه ، وكان يقال لها المقترية ، فكانت فتاتان لبعض نساء بنيه تختصمان
بها عند اجتناء الرطب ، وتضرب إحداهما الأخرى ، فغلب عليها اسم صلاصل
لكثرة صلاصلهما بالخصوصة ، وفيها يقول عروة :

مآثر أخوالى عدىٍّ ومازِنِ * تخيرتها ، والله يعطى الرغائب

(١٨ - وفاء الوفا ٣)

فمن قال فيها قيل صدق فلم يقل . ومن قال فيها غيره كان كاذبا .
ومر ابن أبي البداح - وكال أعلم الناس بالنعيل - على عُرْوَة وهو يفرسها
ألوانا، فقال له : إن كنت ولا بد غارسا فعليك بعذق ابن عامر ، فإنه ليس عذق
أحسن للتنزه ولا أصبر على المالح منه .

قصر المغيرة

قصر أبي هاشم المغيرة بن أبي العاص وبئر - روى عنه الزبير :
أنه قال : لما أردت أن أبني قصراً بالعقيق قلت : أبنيه بيتين ، ثم مضيت للزهره
العشرة الأيام وما أشبهها ، قال : فدخلت على مولاة لي فقالت : يا أبا هاشم ،
أردت بناء قصر بالعقيق ؟ فقلت لها : نعم ، فقالت : ابنه علي أنه لم يبن بالعقيق
مغيري غيرك ، فبنيت هذا البناء ، وغرمت فيه غرما كبيرا ، قال : وهو القصر الذي
يعرف بقصر بنت المرازقي .

وعن عبد الله بن ذكوان قال : كانت بنو أمية تجرى في الديوان ورقا
على من يقوم على حوض مروان بن الحكم بالعقيق ، في مصلحته وفيما يصلح بئر
المغيرة من علقها ودلائها .

قال : ومر هشام بن عبد الملك وهو يريد المدينة بجر هشام بن إسماعيل بالرابع
فقيل له : يا أمير المؤمنين ، جر جدك هشام ، فأمر بمصلحتها وما يقيمها من بيت
المال ، فكانت توضع هنالك جرار أربع يسقى منهن الناس ، وسيأتي ذكر
الرابع في شعر في القصر الآتي .

قصر عنبة

قصر عنبة بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو إلى جنب الجماء بعد أن
تجاوز المصعد تريد البطحاء ، وهو الذي قيل فيه :

ابن عثمان

ابن عفان

يا قصر عنبسة الذي بالرابع لا زلت تؤهل بالحيا المتتابع

فلقد بنيت على الوطاء ، وبنيت تلك القصور على رُبًا ورفائع

يارب نعمة ليالة قد تبها بفنائك الحسن النيف الواسع

وقال شاعرهم :

خذل ابن عنبة بن عمرو وعده وكذبت حين أقول مالم يفعل

و بنى قصيرا بالعقيق ملعنا لا بالكريم ولا جميل المدخل
ودعا المهندس فاخترني في جوفه بئرا فأنبطها كطعم الخنظل

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص بالعقيق الصغير - ركب هشام بن عبد الملك
ومعه عنبسة بن سعيد ، فر بموضع قصر عنبسة ، فقال : نعم موضع القصر
يا أبا خالد ، قد أقطعتك لك ، قال : يا أمير المؤمنين من يقوى على هذا ؟ قال :
فإني أعيذك فيه بعشرين ألف دينار ، فدفعها عنبسة إلى ابنه عبد الله وقال : إنك
أزلت بين الأشياخ ، فانظر كيف تبني ؟ وكان أول من قارب بين القصور ،
ونزل إلى جنب عبد الله بن عامر ، فلما فرغ من القصر بنى ضفاره بالأجر المطبق ،
فقال له عنبسة : أما علمت أن متزهي أهل المدينة يدقون عليه العظام ، ابنه
بالحجارة المطابقة ، ففعل ، وبعث إليه هشام بأربعين بختيا ، فكان ينضح عليها
في مزارعه وصهر يجه .

قلت : واهل الموضع المعروف اليوم بالعنابس مزارع عنبسة هذا .

وعن بعض ولد عنبسة قال : بينا عبد الله بن عنبسة نائم في قاعة القصر ،
وعنده خصى يذب عنه ، وكان له غلام صُعدي يسقيهم الماء ، فدخل فرآه نائما ،
فزرع القرية وشد عليه بخنجر كان معه ، وثار الخصى يحول بينهما ، فقتل الخصى ،
وانتبه عبد الله واتقاه بوسادة ، وتداعى عليه أهل القصر وأخذوه ، وأمر به
عبد الله فقتل وصلب بفناء القصر .

وكان قصر عنبسة فيما أخذ من أموال بني أمية ، ثم رد على ابن عنبسة .

وكان جعفر بن سليمان إذ كان والياً بالمدينة نزله ، وابنتي إليه أرباضا ،
وأسكنها حشمة ، ثم تحول منه إلى العرصة فابنتي بها وسكنها حتى عزل فخرج
منها ، ولذلك يقول ابن المزكي :

أوحشت الجماء من جعفرٍ وطلما كانت به تُغمَرُ
كم صارخ يدعو ذى كربة يا جعفر الخيرات يا جعفر

أنت الذي أَحْيَيْتَ بَدْلَ الندى وكان قدمات فلا يذكر
ثم اعباس وصي الهدى ومن به في الحبل يُسْتَمَطَّر
وقال شاعر :

إني مررت على العقيق وأهله يشكون من مطر الربيع نزُورًا
ما ضركم أن كان جعفر جاركم أن لا يكون عقيقكم ممطورا
وقال محمد بن الضحاك : خرج أبي وابن عبد الله بن عَنبَسَةَ في جماعة من
لمتيمهم إلى قصر عنبسة بالعقيق الصغير ، وخرج بي أبي معهم وأنا حَدَثُ السن ،
ونحروا جَزُورًا ، فجعلوا يمزحون به فيما بينهم ، يقول هذا بيتنا وهذا بيتنا ، فكان
مما حفظت من ذلك قولُ أحدهم :

حبذا ثم حبذا في قصر ابن عنبسه
ولمات تجمعوا وجزور مكر دسه
والتواليدُ عندنا كالرباط المورسه

قصر أبي بكر وهو بيت أو بيتان ، فهدم ذلك ، وبناء قصرًا ، ففيه يقول القائل :
الزبيرى المعروف
بالمستقر
يا قصر لو كان خالدًا أحد بالجود والجد كان مولا كا
ولو تفدى النون ذا كرم كان أبو بكر الندى ذا كا
وفيه يقول أيضًا حين بيع في تركة أبي بكر :

أوحسَّ المستقرُّ بعد أبي بكر فأضحى ينوح في كل حين
بعد عز وبهجة وبهاء تاه [يومًا] به على الثقلين
فأعذروه يا هؤلا ؛ إن ذا الشجـ وليجري دموعه من معين

قصر عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن عثمان بن عفان - قال محمد بن معاوية :
كنت أنا ومحمد بن عبد الله البكري - وكان قاضيا على المدينة - متزهين بالعقيق
في قصر ابن بكير ، فكتب محمد بن عبد الله في الجدار :

قصر عبد الله
ابن أبي بكر
العماني

أين أهل العتيق أين قریش أين عبد العزيز وابن بكير

* وَلَوْ أَنَّ الزَّمانَ خَلَدَ حَيًّا *

ثم كتب تحته : من أتم هذا النصف فله سبق ، قال : فتنزه عمر بن عبد الله بن نافع في قصر ابن بكير ، فقرأ السكتابة ، فأتم النصف ، فكتب :

* كان فيه يخلد ابن الزبير *

قال محمد بن معاوية : فعاد محمد بن عبد الله للنزهة ، فوجد البيت قد أتم ، فسأل من أمه ، فقلت له : عمر بن عبد الله ، فقال : لو كنت أكله وفيت له بسبقه ، أحسن وصدق .

وكان عمر بن عبد الله له هاجرا .

وستأني قصور أخرى في الجمآوات ، قال أبو علي الهجري : إن سيل الوادي يُفِضِي إلى الشجرة التي بها مُحَرَّمُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يلي ذلك مزارع أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، ثم تتابع القصور يَمَنَّةَ وَيَسْرَةَ بها منازل الأشراف فيها يبتدئون ، منها منازل عن يمين الجأى من مكة بسفح عير .

جملة من
القصور
والآبار

ومنها قصر لإسحاق بن أيوب الخزومي ، وقصر لإبراهيم بن هشام ، وقصر لآل طلحة بن عمر بن عبيد الله ، ومنازل أسفل منها عن يمين الطريق أيضاً لآل سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، ووجه ذلك في قبالة جهاء تضارع منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يليها منازل لعبد الله بن بكير ابن عمرو بن عثمان ، وهو قصر طاهر بن يحيى ومنازل ولده .

ووجهها في صير حرة الوبرة مزارع عروة بن الزبير وبئر ، وأسفل منها البئر التي تعرف ببئر المغيرة بن أبي العاص ، وأسفل منها بئر زياد بن عبد الله المدائني وحوضها ، وضفائر قصر مراحل والزيبي قصر سكينه بنت حسين ، وقصور فوق الزيبي لإسحاق بن أيوب متتابعة ، وفوقها قصور كثيرة لغير واحد ، ثم قصور ابنة المرازقي الزهرية ، ثم منازل جعفر بن إبراهيم الجعفرى ، ثم يُفِضِي إلى

بئر رومة ، وقصور كثيرة يمنية وبسرة منها قصور عبد الله بن سعيد بن العاص ،
و ببطن الوادي بشار لعبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس والقصور يمنية وبسرة .
ثم ذكر ما بالعرصة من القصور ، وقال : ثم يُفضي ذلك إلى الجرف ، وفيه
سقاية سليمان بن عبد الملك ، وهي على ميمنة من خرج إلى السلام بعسكر بها
الخارج من المدينة إليها ، ثم الزغابة وبها مزارع وقصور أيضاً ، انتهى .

الفصل الثالث

في العرصة وقصورها ، وشي مما قيل فيها وفي العقيق من الشعر

قصر خارجة - روى ابن زباله أن بني أمية كانوا يبنون البناء في العرصة
حيالها ، وأن سلطان المدينة لم يقطع فيها قطعة إلا بإذن الخليفة حتى خرج خارجة
ابن حمزة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام إلى الوليد بن عبد الملك ، فسأله
أن يقطعه موضع قصر فيها ، فكتب إلى عامله بالمدينة أن أقطعه موضع قصر فيها
وألقه بالسواد ، أي الحرة ، فلم يزل بأيديهم حتى صار ليحيى بن عبد الله بن حسين
ابن علي بن حسين .

قصر عبد الله بن عامر برومة - قال الواقدي : إنه بناه هناك من أول ما بنى
بذلك العقيق إلا قصرًا بعرصة البقل ، ولما قتل أهل الحرة وعسكر مشرف بالجرف
أمر بالعسكر ، فحول إلى عرصة البقل ، وأمر بالأسرى فحبسوا هناك .
وقال ابن أبي عوف : إنه بعد أن نهب المدينة خرج إلى قصر ابن عامر ،
وقتل من قتل .

قصر مروان بن الحكم - روى الزبير أن مروان ابني بعرصة البقل ، واحتفر
وضرب لها عينًا فازدرع .

قصر سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، أحد مشاهير الأجواد
ابن العاص

- ابنتي سعيد بالعرصة قصرا في سرتها ، واحتفر بها ، وغرس النخل والبساتين ، وكان نخلهما أبكر شيء بالمدينة ، وكانت تسمى عرصة الماء .

وعن يحيى بن كعب مولى سعيد قال : كان نخل سعيد بالعرصة لا يطير حمامها ، وكانت فيها بثار ثلاث ، العليا منهن اليمانية تدعى الشمردلية ، والتي تليها أسفل منها تدعى الواسطية ، قال : وأنسيت السفلى ، وبنى بالعرصة عند نخله قصره الذي يقول فيه أبو قطيفة عمر بن الوليد بن عقبة :

والقصرُ ذو النخل فأجَمَّاهُ بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جَيْرُونِ
وقال المهجري : ثم يُفَضِّي - يعني سيل العقيق - إلى العرصة عرصة البقل ،
وعرصة الماء ، وعرصة جعفر بن سليمان بقبل الجماء العاقر مرتفعة في حصن الجبل .
وبالعرصة الكبرى قصرى سعيد بن العاص الذي امتدحه الشاعر بقوله ، وذكر البيت المتقدم .

والذي ذكره الزبير وغيره أن قصر سعيد بعرصة الماء - وهي العرصة الصغرى - لأنهم قالوا : وفي عرصة الماء يقول داود بن سلم :

أبرزتَها كالقمر الزاهر في عصف كالشر الطائر
بالعرصة الصغرى إلى موعد بين خليج الواد والظاهر

قالوا : إنما قال لها العرصة الصغرى لأن العقيق الكبير ينيفها من أحد جانبيها ، وينيفها عرصة البقل من الجانب الآخر ، وتختلط عرصة البقل بالجرف فيتسع ، والخليج الذي ذكر خليج سعيد بن العاص ، انتهى ؛ فالعرصة الكبرى هي عرصة البقل ، والصغرى هي عرصة الماء ، فهي عرصة سعيد بن العاص ، وأظنها التي فيها البناء المعروف اليوم بعقد الأرقطية ، ولعله قصر سعيد بن العاص وموضع آباره وبستانه فيما يليه ، ويلى ذلك عرصة البقل لجهة بئر رومة .

وقال فضالة بن عثمان : لما حضر سعيدا الموت قال لابنه عمرو وهو الأشدق :
أوصيك بثلاث : على دين عظيم ، فأكثر فيه مالى حتى تؤديه ، وانظر إخواني فإن

فَقَدُّوا وَجْهِي فَلَا يَفْقَدُوا مَعْرُوفِي ، وَلَا تَزُوجِ بَنَاتِي إِلَّا فِي الْأَكْفَاءِ ، ثُمَّ مَاتَ ،
فَرَكِبَ عَمْرُو إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ الْحَاجِبُ لَهُ : عَمْرُو بِالْبَابِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : هَلَاكَ
وَاللَّهِ سَعِيدٌ ، فَأَدْخَلَهُ ، فَنَعَى لَهُ سَعِيدًا وَأَخْبَرَهُ بَوصِيَّتِهِ ، فَقَالَ : نَحْنُ قَاضُونَ عَنْهُ الدِّينَ
قَالَ : إِنَّمَا أَوْصَى إِلَيَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ ، فَقَالَ : بَعْنِي بَعْضَ ضِيَاعِهِ ، وَإِنِّي
أَكْرَهُ إِحْنَ صَدْرِ مَرْوَانَ وَذَوِيهِ مِنْ قُرَيْشٍ بِقِضَاءِ دِينِ أَبِيكَ ، فَبَاعَهُ الْعَرِصَةَ
بِأَلْفِ أَلْفٍ ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : أَيَجْدَعُ مَعَاوِيَةَ نَفْسَهُ أَوْ يَكِيدُنَا ؟ وَقَالَ مَرْوَانُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دُونَ اللَّهِ يَدُ تَحْجِرُكَ عَنْ هَوَاكَ ، وَلنَحْنُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ فِيمَا تَرِيدُ ،
فَعَلَامَ تَجْدَعُ نَحْلَكَ وَتَكِيدُهَا ؟ هَلَا جَعَلْتَ مَا أُعْطِيتَ عَمْرًا صِلَةً ؟ فَقَالَ : إِنَّكَ
عَادَيْتَ سَعِيدًا حَيًّا وَمَيْتًا ، وَمَا بَلَغَ مِنْ إِثْمَانِي لِضِيَعَتِهِ مَكِيدَةَ قُرَيْشٍ ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ
قُرَيْشٌ أَنِّي أَحْفَظُ الْمَيْتَ فِي الْحَيِّ وَأَصْلُ الْحَيِّ لِلْمَيْتِ ، وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَكُونَ
كَذَلِكَ ، فَأَخَذَ عَمْرُو الْمَالَ ، فَأَتَى بِهِ الْمَدِينَةَ فَقَضَى دِينَ أَبِيهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَخْوَالِ
أَبِيهِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَوَصَّلَهُمْ ، ثُمَّ أَدْخَلَ إِخْوَانَهُ ، فَوَقَعَ الشَّرَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَرْوَانَ
وَمَرْوَانَ خَالَهِ ، فَقَالَ :

يُكَايِدُنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ ولسنا جاهلين بما يكيد
في أبيات بلغت معاوية ، فأنشد :

أَلَا اللَّهُ دَرُّ غَوَاةٍ فِهْرٍ أريدُ سوى الذي فهِرُ تريد
أراني كلما أخلقت ضغننا أتاني منهم ضغن جديد
في أبيات ، قال الزبير : ولم يصح عندي الشعران .

وروى عن سعيد أنه قال لابنه : إن منزلي هذا بالعرصة ليس من العقد ،
إنما هو منزل نزهة ، فبِعُهُ مِنْ مَعَاوِيَةَ ، وَأَقْضِ دِينِي وَمَوَاعِيدِي ، وَلَا تَقْبَلْ مِنْ
مَعَاوِيَةَ قِضَاءِ دِينِي .

وعن نوفل بن عمار أن سعيداً قال لابنه : إني مؤصيك بأربع ، لا تنقلني

من موضعى - يعنى قصره - حتى أموت فيه ؛ فإنه أحب المواضع إلى ، وقليل
لى من قومى فى برى بهم أن يحملونى على رقابهم إلى موضع قبرى ، وذكر الوصايا
الثلاث المتقدمة ؛ فلما توفى حمّله رجال قریش حتى دفنوه بالبقيع ، وقصره على
ثلاثة أميال من المدينة ، ثم رحل ابنه إلى معاوية ، فدخل وهو أشعث ، فقال له
معاوية : ما بالك ؟ قال : هلك أبو عثمان ، فترحم عليه ، ثم قال : حاجتك
فذكر وصاياه ، فسأله عن دينه ، فقال : ثلاثة آلاف ألف ، قال : هو على ،
قال : إنه أمرنى أن لا يكون إلا من صلب ماله ، قال : فيعنى ، قال : بعتك
العروسة ، قال : قد أخذت القصر بألف ألف ، والنخيل بألف ألف ، والمزارع
بألف ألف ، ثم قال : يا أهل الشام ، اكتبوا عليه لثلاثين ديم ، وفى رواية أنه
قال : أمرنى أن أبيع فى دينه ما استباح من أمواله ، قال معاوية : فعرضنى ماشئت
قال : أنفسها وأجبرها إلينا منزله بالعروسة ، فقال : هيات لايبيعونه ، انظر
غيره ، قال : تحب تعجيل قضاء دينه ؟ قال : قد أخذته بثلاثمائة ألف ، قال :
اجعلها بالوافية يعنى الدرهم زنة المثقال ، قال : قد فعلت ، قال : وتحملها إلى المدينة
قال : ونفعل ، فقدم عمرو فجعل يفرقها فى الديوان ، ويحاسبهم بما بين الدراهم
الوافية وهى البغاية والدراهم الجواز ، حتى أتاه فتى من قریش بذكر حق له من
أديم فيه عشرون ألف درهم بخط مولى لسعيد وشهادة سعيد على نفسه ، فعرف
الخط وأنكر أن يكون لذلك الفتى الصعلوك ذلك ، فقال : ما سبب مالك ؟ قال :
رأيتة وهو معزول وهو يمشى وخذة ، فشيت معه لباب داره ، فوقف وقال : هل
لك حاجة ؟ قلت : رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أصل جناحك ، فقال :
وصلتك رحم ، يعنى قطعة أديم ، فأتيته بهذه القطعة ، فكتب غلامه هذا الكتاب
وفيه شهادته ، ثم قال : يا ابن أخى ، ليس عندنا اليوم شىء ، فخذ هذا الكتاب ،
فقال عمرو : لا جرم لا يأخذها إلا وافية ، ودفعها إليه بغلية .

ولما أصغت العرستان عن بنى أمية استقطع خنجر - وهو كثير بن العباس

ابن محمد - عرصة سعيد بن العاص ، فأقطعه إياها أبو العباس المنصور ، فقال زياد
ابن عبد الله الحارثي - وكان واليا على المدينة - بخرم يخنجر ، صارت لك عرصة
سعيد ، فقال : وما ينكر من ذلك ؟ فأعجب منه دار معاوية بن سفيان بالبلاط
لزياد بن أم زياد ، واقتطم السلطان في سلطان بني هاشم في العرصة ، وابتنوا عرصة
الماء ، وفي ذلك يقول ذؤيب الأسلمي :

قد أقر الله عيني بفرال يا ابن عون
طاف من وادي دجيل بقتي طلق اليدين
بين أعلى عرصة الماء إلى قصر زين
فقضاني في منامي كل موعود ودين

وفيها يقول أبو الأبيض سهل [بن أبي كثير] :

قلت من أنت فقالت بكرة من بكرات
ترعى نبت الخزامي تحت تلك الشجرات
حبذا العرصة ليلا في ليال مقمرات
طاب ذاك العيش عيشاً وحديث الفتيات
ذاك عيشي أشميه وحديثي مع لمات

وفيها يقول بعض المدنيين :

وبالعرصة البيضاء إن زرت أهلها مهأ مهملات ما عليهن سانس
يدرن إذا ما الشمس لم يخش حرها خلال نباتين خلاهن يابس
إذا الحر آذاهن لذن ببحرة كما لا ذ بالظل الظباء الكواس

وقال عامر بن صالح في العرصتين :

أهوى البلاط فجانبه كليهما فالعرصتين إلى نخيل قباء

وقال حكيم بن عكرمة الديلي فيهما وفي العقيق وجوانب المدينة :
لعمرك لآبلاطُ وجانباه وحرّة واقيم ذات المنار
فجماء العقيق فعرصناه ففضى السيل من تلك الحرار
إلى أحد مدى حرض فبني قباب الحى من كنفى صرار
أحبّ إلى من ربح وبصرى بلا شك على ولا تمارى
ومن قريات حمص وبعلبك لو أنى كنت أجعل بالخيار
وفيها وفي العقيق يقول الوليد بن زيد :

لم أنس بالعرصتين مجلسنا بالسفح بين العقيق والسند
وقال عبد الله بن مصعب فى ذلك وفى الصلصل :

أشرف على ظهر القديمة هل ترى برقا سرى فى عارض متمهل
نضح العقيق فبطن طيبة موهنا ثم استمر يوم فضل الصلصل
فكأعما ولعت مخائل برقه بعالم الأحباب ليست تأتلى
فالعرصتين فسفح عير فالربا من بطن خانخ ذى المحل الأشهل

وقال سعيد المساحقى فى ذلك [وهو] ببغداد، وذكر أنه ابتلى بعد أخيه بمحادثة

غلامه زاهر :

أرى زاهرا لما رأى من توحّشى وأن ليس لى من أهل ودى زائر
فظل يعاطبنى الحديث وإننا لمختلفان حين تبلى السرائر
يحدثنى مما يجمعُ عقله أحاديثَ منها مستقيم وجائر
وما كنت أخشى أن أرائى راضياً يُعلّنى بعد الأعبة زاهر
وبعد المصلى والبلاط وأهله وبعد العقيق حيث يحلو الزاور
إذا اعشوشبت قريناه وتزينت عراض بها نبت أنيق وزاهر

وقال أيضاً :

ألا قل لعبد الله إما لقيته وقل لابن صفوان على النأي والبعد
ألم تعلم أن المصلي مكانه وأن العميق ذا الظلال وذا الورد
وأن رياض العرصتين تزينت بنوارها المصفر والأشكال الوردى
وأن بهما لو تعلمان أصانلا وليلا رقيقا مثل حاشية البرد
وأن غدير اللابتين مكانه وأن طريق المسجدين على العهد
فهل منكما مستأذن فسلم على وطن أو جاذب لذوى الود
فما العيش إلا ما يسر به السقى إذا لم يجد يوماً سبيل ذوى الرشد

فأجابه عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان :

أتانى كتاب من سعيد فشاقي وزاد غرام القلب جهدا على جهد
وأذرى دموع العين حتى كأنما بها رمد عنه المراد لا تجدى
بأن رياض العرصتين تزينت وأن المصلى والبلاط على العهد
وان غدير اللابتين ونبتة له أرج كالسك في عنبر الهند
فكدت لما أضمرت من لاجع الهوى ووجد بما قد قال أفضى من الوجد

وقال إبراهيم بن موسى الزبيرى :

ليت شعرى هل العميق فسلع فقصور الجماء فالعرصتان
فإلى مسجد الرسول فما حا ز المصلى فجانبا بطحان
فبنو مازن على العهد أم ليس كعهدى فى سالف الأزمان
وأشد عبد السلام بن يوسف وهو فى غاية العذوبة :

على ساكنى بطن العميق سلام وإن أسهر ونى بالفراق وتأموا
حظرتم على النوم وهو محلل وحلتم التعذيب وهو حرام
إذا بنتم عن حاجر وحجرتم على السمع أن يدنو إليه كلام

فلا مَيَّلَتْ رِيح الصبا فرع بانه
ولا قهقهت فيه الرعود، ولا بكى
فمالي ومال الربيع قد بان أهله
ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة
وهل نهلة من بئر عروة عذبة
ألا يا حمامات الأراك إليكم
فوجدى وشوقى مسعد ومؤانس
وقال أعرابي :

أيا سَرَحَتِي وادى العميق مُقِيمًا
ترويكما معج السرى، وتغلغلت
ولا يهنين ظلالكما أن تباعدت
حيماً غضة الأنفاس طيبة الورد
عروقكما تحت الندى في ثرى جعد
بي الدار من يرجو ظلالكما بعدى

وعن محمد الزهري قال : ركب عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعبد الله
ابن حسن بن حسن ومحمد بن جعفر بن محمد على بغلات لهم ، حتى إذا كانوا
بالعميق أصابهم المطر ، وهناك سَرَحَة عظيمة ، فدخلوا تحتها ، فقال عبد العزيز
ابن عمر :

خبرينا يا سَرَحَ - خصصت بالغيث - بصدق فالصدق فيه شفاء
هل يموت الحب من لاعج الحسب ويشفى من الحبيب اللقاء
ثم إن السماء أفلعت ، فساروا ساعة ، ثم رجعوا للسَرَحَة فإذا في أصلها
كتاب فيه :

إن جهلا سؤالك السرح عما ليس يوما به عليك خفاء
فاستمع تخبر اليقين وهل يشفى من الشك نفسك الأنباء
ليس للعاشق الحب من الحسب سوى رؤية الحبيب شفاء

وعن رجل من الأنصار أنه كان نازلاً تحت سَرْحَةٍ يبطن العقيق إذ وقف عليه ابن عمر ، فسلم ، ثم قال : مَنْ دَلَّكَ عليها ؟ قال : الذي دَلَّكَ عليها ، قال ابن عمر : فهل تدري لم يستحب ظلال السرح ؟ قال الرجل : إنه ظليل ، وليس له شوك ، قال ابن عمر : ولغيره ، أرأيت إذا كنت بين الأخشيين من مَنِي فإِن بينك وبين مطلع الشمس وادياً يقال له وادي سرر ، سُرَّ به سبعون نبياً ، وقد سر نبى منهم تحت سرحة فدعا للسرح ، فهي لا تقيل كما يقيل الشجر [؟] .

وعن محمد بن معن الغفاري قال : أراد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن يخرج إلى مكة ، فذكر ذلك لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال له عبد العزيز : هل لك أن تقيلَ عندي أنت وأصحابك ثم تروحون من عندنا وهو بالبطحان في قصر عمر بن عبد العزيز ؟ فقال محمد : نعم ، فهياً لهم نزلاً ، فقال محمد : ما بقي شيء يبر به أحد أحداً إلا وقد أنزلتناه إلا طعام البادية ، قال : وما هو ؟ قال : التمر والزبد ، قال : أما الغنم فإنها لعاصم بنت سفيان بن عاصم بن عبد العزيز ، يعني امرأته ، ولست مقدما على شيء منها إلا بإذنها ، ولكنني سأستطعمها لكم ، وكتب إليها :

إِن عِنْدِي فَذَلِكَ نَفْسِي ضُيُوفًا وَاجِبٌ حَقِّهِمْ كُهُولًا وَمُرَدًّا

عمدوا جارك الذي كان قدما لا يرى من كرامة الضيف بدا

فلديه أضيافه قد قرأهم وهمو يشتهون تمرا وزبدا

فلهدا جرى الحديث ، ولكن قد جعلنا بعض المزاحة جـدا

فقال له محمد : مازال هذا العيش بينكما ، قال : نعم والله مامست غيرها ،

ولا احتلمت غيرها قط ، ولا خالفتها في شيء هو يته قط ، فبعثت إليهم

بتمر وزبد .

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال : كان عروة بن الزبير قائماً بفناء قصره

نصف النهار ، إذ أقبل شيخ من أهل المدينة معه حمام ، فوقف عند الليل ، فمسح

حمامه ، وسوّى ريشه ثم أرسله ، ثم أقبل على بئر عروة فشرب من مائها ، فقال له عروة : جئت في مثل هذه الساعة كأنك صبي ، فأرسلت حماما ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شيطان يتبعه شيطان » فقال الشيخ :

يا خليلي لا تكلم ليس فيه من ملام

وعن عبد العزيز بن عبد الله قال : بينا أنا بالعقيق إذ أقبل رجل له موضع يحمل حماما ، فقلت له : مثلك يحمل هذا الحمام ؟ ولا أراك إلا قد راهنت به ، قال : أجل ، وما في ذلك ؟ قلت : إنه حرام ، قال : فهذه الخيل يُراهنُ بها ، قلت : تلك سنة ، قال : وهذه رعلة ، ثم انصرف ، انتهى .
والرعلة : نوع من تمر المدينة ، وكذا السنة ، فحمل السنة على ذلك .

الفصل الرابع

في جمّأواته ، وأرض الشجرة ، وثنية الشريد وغيرها من جهاته

نقل ابن زباله وغيره أن الجمّأوات ثلاث :

الأولى : جمّأ تضرع التي تسيل على قصر عاصم وبئر عروة ، وقال الهجري : جمّأ تضرع أول الجمّأوات جمّأ تضرع التي تسيل على قصر عاصم وهو منزل أبي القاسم طاهر ابن يحيى وولده ، وفيها يقول أحيحةُ بن الجلاح :

إني وللمشعرِ الحرام وما حجّت قريش له وما نحرُوا

لا آخذ الخطة الدنيّة ما دام يرّى من تضرع حجّر

وتحتة المكيمن مكيمن الجمّأ^(١) .

وعن محمد بن إبراهيم مرفوعاً : إذا سالت تضرع فهو عام ربيع .

وروى ابن شبة حديث « لا تسيل تضرع إلا عام ربيع » قال : وتضرع

الجبيل الذي بسفحه قصر ابن بكير العثماني ، وقصور عبد العزيز بن عبد الله العثماني على ثلاثة أميال من المدينة ، على يمين الذهاب إلى مكة .

(١) في الأصول « مكيمن » محرفاً ؛ وصوابه عن ياقوت .

قلت : هذا الجبل هو الذى يقابلك وأنت بالمدرج تريد مكة ، فإذا استبطنت العقيق صار عن يمينك ، والجبل المعروف بمكيمين الجماء متصل به ، آخذ منه على يمين الذهاب أيضاً .

جماء أم خالد الثانية: جاء أم خالد التي تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاه ، وفي أصلها بيوت الأشعث ، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى ، وفيفاء الخبّار من جماء أم خالد ، قاله الزبير .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران نحوه ، إلا أنه قال : فى أصلها بيوت الأشعث وفيفاء الخبار ، وبينها وبين جماء العاقر طريق من ناحية بئر رومة وفيفاء الخبار من جماء أم خالد فى مَهَبِّ الشمال من الأولى مما يلى مسيل وادى العقيق منحدرًا ، وفيفاء الخبار منهما .

وقال المجد : فى أصل جماء أم خالد جبل يقال له سفر كما سيأتى فى ترجمته .

روى الزبير عن موسى بن محمد عن أبيه قال : وجد قبر آدمى على رأس جماء أم خالد مكتوب فيه : أنا أسود بن سودة رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية .

وعن ابن شهاب قال : وجد قبر على جماء أم خالد أربعون ذراعا فى أربعين ذراعا ، مكتوب فى حجر فيه : أنا عبد الله من أهل نينوى رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه القرية ، فأوصيت أن أدفن فى جماء أم خالد .

قال عبد العزيز بن عمران : نينوى موضعان : أحدهما من أرض السواد بالطف حيث قتل الحسين رضى الله تعالى عنه . والآخر قرية بالموصل ، وهى التى فيها يونس النبى صلى الله عليه وسلم ، ولسنا ندرى أى الموضعين عنى . وتقدم فى أوائل الباب الثالث روايتان جاءتا فى ذلك قال فى إحداهما : فإذا فيه « أنا عبد الله الأسود رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل قرى عرينة »

وقال في الأخرى « وإذا فيه أنا عبد الله رسول نبي الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، وأنا يومئذ على الشمال » .

جاء العاقر
(العاقل)

الثالثة جاء العاقر - بالراء كما في كتاب ابن شبة وغيره ، وفي بعض نسخ ابن زباله والهجرى ومعارف العقيق للزبير باللام - قال ابن شبة ، عقب ما تقدم عنه : وجاء العاقر الجبل الذي خلفه المشاش ، وإليه قصور جعفر بن سليمان بن علي بالعرصة ، وقال الهجرى : الثالثة جاء العاقل ، فيها طريق إلى جده أم خالد ، تسيل على قصور جعفر بن سليمان ، خلفها المشاش وهو وادٍ يصب في العرصة ، وقال الزبير : جاء العاقل طريقاً بينها وبين جده أم خالد خلفها المشاش .
وفي المشاش يقول عروة بن أذينة :

إذ جرى شعب المشاش بهم وعضيف تله الرحمة [؟]

ومن البطحاء قد نزلوا دار زيد فوقها العجمة [؟]

وأورد ابن زباله هنا حديث « لا تقوم الساعة حتى يقتل رجلان موضع فسطاطيها في قبل الجاه » وحديث « نعم الجاه المنزل لولا كثرة الأسود » . وقد قدمنا في الفصل الأول نحوه في العرصة ، وقد منّا ماجاء في ذى الحليفة وبتحانها والمعرس ومسجد الشجرة ، وروى البيهقي في المعرفة عن الشافعي قال : كان سعيد ابن زيد وأبو هريرة يكونان بالسحر على أقل من ستة أميال فيشهدان الجمعة ويدعّانها .

وروى الزبير عن نافع أنه لما استصرخ على سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يوم الجمعة بعدما ارتفع الضحى أتاه ابن عمر بالعقيق ، وترك الجمعة .

وعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أن أروى بنت أويس أسعدت مروان ابن الحكم على سعيد بن زيد في أرضه بالشجرة ، فقالت : إنه أدخل ضفيري في أرضه ، فقال : كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اقتطع شبراً من الأرض طوّقه من سبع أرضين يوم القيامة » ؟ وترك لها سعيد

ما أَدَعَتْ ، وقال : اللهم إن كانت أروى ظلمتني فأعِمِّ بَصَرَهَا ، واجعل قبرها في
بئرها ، فعميت أروى ، وجاء سيل فأبدى عن ضفيريها خارجا عن حق سعيد ،
فأقسم سعيد على مروان ليركبني معه وينظر إلى ضفيريها ، فركب والناس حتى
نظروا إليها ، ثم إن أروى خرجت لبعض حاجتها فوَقعت في البئر فماتت .
وفي رواية أنها سألت سعيداً أن يدعوا لها ، وقالت : إني ظلمتكَ ، فقال :
لا أَرُدُّ على الله شيئاً أعطانيه .

قال إبراهيم بن حمزة : وكان أهل المدينة يدعوا بعضهم على بعض فيقول :
أعماك الله كما أعمى أروى ، يريدونها ، ثم صار الجهال يقولون : أعماك الله كما أعمى
الأروى ، يعنون أروى الجبل ، يظنونها شديدة العمى .

وفي رواية أن سعيداً قال : اللهم إن كانت أروى كاذبة فلا تخرجها من الدنيا
حتى تعمى ، وتجعل منيتها في بئرها ، فعميت ، فكانت لها جارية تخرج بها
تقودها ، فتقول لها : أخبريني ما يعمل العمال ، فتخبرها ، فتقول لهم : أتم
تفعلون كذا وكذا ، وتصيح عليهم ، فغفلت الجارية عنها يوماً ، فخرجت إلى
العمال فوَقعت في بئرها فماتت ، فلذلك يقولون : عمى أروى .

وعن يحيى بن موسى قال : كان أبو هريرة نزل الشجرة قبل أن تسكون
مزدراعاً ، فرأى به مروان وقد استعمله معاوية على المدينة فقال : مالي أراك ههنا ؟
قال : نزلت هذه البرية مع أبي أصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذي الحليفة ، فأقطعه مروان أرضه وضفرها له ، فتصدق بها أبو هريرة على ولده ،
ولم يزل العقيق نخلاً حتى عملت العيون .

ونقل ابن زباله أن ثنية الشريد كانت لرجل من بني سليم كان بقية أهل
بيته ، فقيل له : الشريد ، وكانت أعناباً ونخلاً لم يُرَ مثلها ، فقدم معاوية المدينة ،
فطلبها منه ، فأبى ، ثم ركب يوماً فوجد عماله في الشمس ، فقال : مالكم ؟ فقالوا :

ثنية الشريد

نسجم البئار ، فركب إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنه لم يزل في نفسي منعى
إياك ماطلبت منى ، فهو لك بما أردت ، فـكتب إلى ابن أبي أحمد أن يدفع إليه
التمن ، قال : وسمعتهم يكثرونه جدا ، فقال له ابن أبي أحمد : إن أمير المؤمنين لم
يَسْمَكْ بها وهى على هذه الحال ، فقال : إني رجوت حين صار امرى إليك التيسير
على ، فدفع إليه التمن .

ومزارع ثنية الشريد من أرض الحرمين إلى أرض المنصور بن إبراهيم ، وقال
المجربى : إن سيل العقيق يُفْضَى إلى ثنية الشريد ، وبها منازل و بئار كثيرة ،
وهى ذات عضاة وآكام ، تُنْبِتُ ضروباً من الكلال ، صالحة للعل ، تحف الثنية
شرقى غير الوادى وغربى جبل يقال له القراء ، ثم يُفْضَى إلى الشجرة التى بها
الحرم والمعرس .

وقال ابن النجار عن أهل السير : إن النبى صلى الله عليه وسلم ولى العقيق
لرجل اسمه هيصم المزنى ، وأن ولاة المدينة لم يزالوا يولون عليه ، حتى كان داود
ابن عيسى فتركه فى سنة ثمان وتسعين ومائة .

قلت : هذا إنما ذكره ابن زباله والزبير فى حمى النقيع كما سيأتى .

وروى ابن زباله عن يحيى بن سعيد أن رجلاً كان لا يعرف والده كان يوماً
بالعقيق ، فنهاه عمر بن عبد العزيز .

وفى رواية : كان يصلى لهم الجمعة بالشجرة ، فنهاه عمر بن عبد العزيز أن يؤمهم
لأنه لا يعرف له أب ، وهو يقتضى أن الجمعة كانت تقام بالعقيق ، فأثار أبنية
مكان العقيق موجودة إلى اليوم ، وهى دالة على ما كان به من القصور الفاتقة ،
والمناظر الرائقة ، والآبار العذبة الحسان ، والحدائق الملتفة الأغصان ، دترت على
طول الزمان ، وتكرر الحدثنان ، وبقي هناك بعض الآبار ، وبقايا الآثار ،
فترتاح النفوس برويتها ، وتنتعش الأرواح بانتشاق نسمتها ، فهى كما قال حبيب
ابن أوس :

ماربع مَيَّةَ معمورا يُطِيفُ به غَيْلانَ أبهى رُبًا من رَبْعها الخرب
ولا الحدود وإن أدمينَ من نَظَرٍ أشهى إلى ناظرٍ من خدِها الترب
وقال أعرابي :

ألا أيها الركب المَحِثُونَ هل لسكم بأهل عقيق والمنازل من عِلْمٍ
فقالوا : نعم تلك الطلولُ كَتَبَها تلوحُ ، وما يغنى سُوَّالكَ عن عِلْمٍ

خاتمة

في سرد ما يدفع في العقيق من الأودية ، وما به من الغدران
قال في جزيرة العرب لأبي عميدة رواية أبي عبد الله المازني عنه ، ما لفظه :
والعقيق يشق من قبل الطائف ، ثم يمر بالمدينة ، ثم يلقى في إضم البحر ، انتهى
وسياتي في وادي قنّاة أنه من وِجِّ الطائف أيضا ، ولكن قال الزبير وغيره :
أعلى أودية العقيق النقيع ، ثم ذو العش ، ثم ذو الضرورة ، ثم ذو القرى ، ثم
ذو الميث ، ثم ذو المكبر ، ثم ذات القطب ، ثم حد المولى ، ثم حد الأباقي ، ثم
ذو تنقية ، ثم القويح ، ثم ذو الصواير ، ثم الفلجة ، ثم الوشيحة ، ثم مخايل
الوغائر ، ثم مخايل الرمضة ، وكلاهما يصب في حصين ، ثم ذو العشرة ، ثم الرتاحة ،
ثم ذو سمر ، ثم مرخي الحرة اليماني والشامي محتذيان جميعا ، ثم يجتمع ذو سمر
ومرخان فيقال لجمعهم : المجتمعة ، ثم ذات السليم ، ثم ذو الغصين ، ثم شوغلي ،
ثم خانج ، ثم المناصفة ، ثم شعاب الحمري والقراء وغيرين .

وقال الزبير : وأوديته مما يلي القبلة في المغرب أعلاها ذات الربوقة ثم نفعا
وعن مشيخة مربية أن صدور العقيق ما يبلغ في النقيع من قدس وما قبل
من الحرة وما دبر من النقيع وثنية عمق ، فهو يصب في الفرع ، وما قبل من الحرة مما
يدفع في العقيق يقال له بطاويح ، قال : ثم فرش موزد ، ثم راية الأعمى ، ثم راية
الغراب ، ثم الخائع ، ثم ذو عاصم ، ثم بلغة السرح ، ثم بلغة برام ، ثم بلغة رماد ،
ثم بلغة المعيرا ، ثم بلغة الرمس ، ثم نبعة العشرة ، ثم نبعة الطوى ، ثم الحنينة ،

ثم النبعة ، ثم ضاف ، ثم بلغة التمر ، ثم نبع الأضاة ، ثم الأئمة أئمة عبد الله بن الزبير ، ثم ذات الحماط ، وفي حديث تقدم أنه صلى الله عليه وسلم « صلى في مسجد بالضيقة مخرّجه من ذات الحماط » ثم هاوان ، ثم فريقان ، ثم الساهية ، ثم أعشار ، وتقدم في حديث نزوله صلى الله عليه وسلم بكهف أعشار وصلاته فيه ، ثم ريم ، ثم لاي ، ثم ذو سلم النظيم ، ثم ذو بدوم ، ثم حفية ، ثم قسيان ، ثم الصهوة ، ثم بقرة ، ثم ذو سنية ، وسنية : قوم من مزينة ، ثم الرمامية ، ثم الموقية ، ثم ضبع ، ثم مهر ، ثم الملحاء ، ثم المليحة ، ثم النخيل ، ثم الرديهة ، ثم أنفة ، ثم المنتقبة ، ثم مراح الصحرة ، ثم سائلة أبي يسار التي تسيل على قصر الحرمي ، ثم شعاب الفراء ، ثم ذات الجيش ، وتقدم حديث الأعلام في حرم المدينة على شرف ذات الجيش ، ثم وادي أبي كبير بن سعيد بن وهب بن عبد ابن قصي ، وذات الجيش يدفع فيه ، وبه قصر الرماذ لآل أبي كبير ، وكانت لهم بئر بطرف الفراء يُوردون عليها سبعين أو ثمانين بعيرا لهم ، قال الزبير : وأنا رأيت بئر أحد طرف الفراء مكبوسة ، وما قبل من الصلصلين يدفع إلى بئر أبي عاصية ، ثم يدفع في ذات الجيش ، ثم يدفع في وادي أبي كبير ، وما دبر منهما يدفع في البطحاء ، فطرف عظيم الغربي يدفع في ذات الجيش ، وطرفه الشامي يدفع في البطحاء بين الجبلين في وادي العقيق ، ثم الجاوات ثلاث ، وتفصيل مسائلها كما قدمناه فيها .

ثم ذكر مجتمع سيول المدينة بزغابة ، وذلك أعلى وادي إضم ، قال : وأعلى غدُر مسيلات العقيق التي في درج الوادي مما يلي الحرة موكلان من أعلى ذي العش ، ثم غدِير سليم ، ثم ذو التحاميم ، ثم الأعوج ، ثم غدِير الجبال ، ثم يماحم ، ثم غدِير الذباب ، ثم غدِير الحبر ، ثم غدِير فليج الأعلى ، ثم غدِير فليج الأسفل ، وهذه الثلاثة تعرف بمنحنيات فليج الزبيري ، ثم غدِير السائلة ، ثم الطويل ، ويُعد من منحنيات فليج أيضا ، ثم غدِير البيوت بيوت عبد الله العمري ،

ثم غدِير رتيجة ، ثم بكنين ، ثم غدِير سلافة ، ثم غدِير الرعاء ، ثم غدِير الأحمى مقصوراً
والأحمى : طرب العدس في أصله ، ثم غدِير حصير ، ثم التذبة من أسفل حصير ،
ثم العرابة في أعلى مرج ، ثم مرج ، ثم غدِير السدر ، ثم غدِير الخم ، ثم المستوجبة ،
ثم حليف ، ثم حليف ، ثم الحقن ، ثم ذو الطفتين ، ثم ذو اللحين ، ثم ذو الابنة ،
ثم غدِير مريم ، ثم غدِير المجاز ، ثم غدِير المرس ، ثم رابوع ، وقاما يفارقه ماء
وإذا قل ماؤه احتسى ، وهو أسفل شيء من غدُران درج العقيق إلا غدِير أسفل
منه يقال له غدِير السيلة ، هذا كلام الزبير .

وقل ابن شبة أن سيل العقيق يأتي من موضع يقال له بطاويح ، وهو حرس
من الحرة ، وغربي شطاي حتى مضيا جميعاً في النقيع وهو قاع كبير الدر ، وهو
من المدينة على أربعة بُرْد في يمانها ، ثم يصب في غدِير يلبن وبران ، ويدفع فيه
وادي البقاع ، ويصب فيه لقعا فيلتقيان جميعاً بأسفل من موضع يقال له نقع ، ثم
يذهب السيل مشرقاً فيصب على رواوتين يعترضهما يسارا ، ويدفع عليه واد يقال
له هلوان ، ثم يستجمن فيلقاهن بوادي دبر بأسفل الخليفة العليا ، ثم يصب على
الآتمة وعلى الجام ، ثم يُفْضَى إلى وادي الحميراء فيستبطن واديها ويدفع عليه
الخرتان شرقياً وغربياً حتى ينتهي إلى ثنية الشريد إلى أن يُفْضَى إلى الوادي
فيأخذ في ذى الخليفة حتى يصب بين أرض أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وبين
أرض عاصم بن عدى بن العجلان ، ثم يستبطن الوادي فيصب عليه شعاب
الجماء ونمير حتى يُفْضَى إلى أرض عُرْوَة بن الزبير وبئر ، ثم يستبطن بطن الوادي
فيأخذ منه شطيب إلى خليج عثمان بن عفان الذي حفر إلى أسفل العرصة التي
يقال لها خليج بنات نائلة وهن بنات عثمان منها ، وكان عثمان ساقه إلى أرض
اعتملها بالعرصة ، ثم يفترش سيل العقيق إذا خرج من حوافر عبد الله بن عَبَّسَة
ابن سعيد يمنة ويسرة ، ويقطعه نهر الوادي ، ثم يستجمع حتى يصب في
زغابة ، انتهى .

ونقل الهجرى أن سيل العقيق إذا أفضى من النقيع أفضى إلى قراره أسفل قاع لا شجرَ فيه ، وأسفل منه حصير ، ثم يُفَضَّى إلى مرج ، ثم إلى المستوجبة ، ثم إلى غدير يقال له ديوا الضرس ، ثم إلى غدير المجاز ، ثم إلى غدير يقال له رواوة ، ثم إلى غدير الطفيتين ، ثم الابنة ، ثم أسفل من ذلك رابوع ، ثم يلقاه وادى بريم فإذا التقيا دفعا في الحليفة حليفة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش ، ثم سطح سيول النقيع والصخرة ومراج وأئمة عند جبل يقال له واسطة المسطح ، ثم يُفَضَّى إلى الجبخانة صدقة عباد الزبيرى ، وله دوافع من الحرة مشهورة منها شوظى وروضة الجام ، ثم يُفَضَّى إلى حمراء الأسد ، ثم إلى ثنية الشريد ، ثم إلى الشجرة التي بها الحرم ، اه .

الفصل الخامس

في بقية أودية المدينة ، وصدورها ، ومجتمعها ، ومغايضاها

فمنها وادى بطحان - روى ابن شبة والبخاري عن عائشة رضی الله تعالى عنها وادى بطحان قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن بطحان على ترعة من ترع الجنة » قال ابن شبة : وأما سيل بطحان - وهو الوادى المتوسط بيوت المدينة ، أى في زمنه - فإنه يأخذ من ذى الحدر ، والحدر قرارة في الحرة يمانية من حلبات الحرة العليا حرة معصم ، وهو سيل يفتش في الحرة حتى يصب على شرقى ابن الزبير وعلى جفاف ومرفية والحساة حتى يُفَضَّى إلى فضاء بنى خطمة والأعرس ، ثم يستنُّ حتى يرد الجسر ، ثم يستبطن وادى بطحان حتى يصب في زغابة .

وسياتى في مذيئب من رواية ابن زباله أن بطحان يأتي من الحلابين حلابى مصعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، وفي رواية له أن بطحان يأتي من صدر جفاف .

فيتلخص أنه يأتي من الحلابين فيصل أولا إلى وادى جفاف ، ثم إلى

بطحان ، ولهذا استغنى ابن زباله وغيره ببطحان عن أفراد جفاف بالذكر ، وجعل المطرى ومن تبعه الترجمة لجفاف ، قالوا : ووادي جفاف على موضع في العوالي شرق مسجد قباء ، اه .

ويفهم من أطراف كلام ابن شبة أن ابتداء وادي بطحان من جسر بطحان ، وذلك بقرب الماشونية وآخره في غربي مساجد الفتح ، ويشاركه رانونا في الجري من الموضع الذي في غربي المصلى وما والاه من القبلة ، لأنها تصب فيه كما سيأتي ، والذي يقتضيه كلام غيره أن الماشونية وتربة صعيب من بطحان .

وادي رانونا ومنها : رانونا ، ويقال رانون - قال ابن شبة : وأما سئل رانون فإنه يأتي من مقعة في جبل في يمانى غير ومن حرس شرق الحرة ، ثم يصب على قرين صريحه ثم سد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يفترق في الصفاصف في أرض إسماعيل ومحمد ابني الوليد بالقصبة ، ثم يستبطن القصبة حتى يعترض قباء يمينا ، ثم يدخل غوسا ثم بطن ذى خصب ، ثم يجتمع ما جاء من الحرة وما جاء من ذى خصب ، ثم يقترن بذى صلب ، ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قعر البركة ثم يفترق فرقتين ؛ فتمر فرقة على بئر جسم تصب على سكة الخليج حتى تفرغ في وادي بطحان ، وتصب الأخرى في وادي بطحان ، اه .

وفي رواية لابن زباله عن عبد الله بن السائب قال : رانونا تأتي من بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان وبين الحرة وتلتقى هي ووادي آخر عند الجبل الذي يقال له مقمن أو مكن .

وقال ابن زباله : وأما ذو صلب فيأتي من السد ، وأما ذو ريش فيأتي من جوف الحرة ، ثم قال في رواية أخرى : إن صدر سيل ذى صلب من رانونا ، وصدر رانونا يأتي من التجنيب ، ثم يسكب ذو صلب ورانونا في سد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم في ساخطة وأموال العصبة ، ثم في غوسا ، ثم في بطحان ،

ثم يلتقى هو وبطحان عند دار الشوآرة ، وهى فى عداد بنى زريق ، ويزعمون أنهم من عاملة ، اه .

والسد موجود فى تلك الجهة ، ولكنه لا يُضَاف اليوم لعبد الله المذكور ، قال المراغى : والسد لا يعرف اليوم بهذا الاسم ، ولعله المعروف بسد عنتر ؛ لانطباق الوصف عليه ، وساخطة لا تعرف ، ولعلمها مزرعة السد ، وغوسا غير معروفة ، ولعله أراد حوسا - بالحاء المهملة - وهى معروفة بقباء ، ويشرب من رانونا ، ووقع فى الاسم تغيير ، اه . وقال نصر : عوسا قريب قباء .

قلت : وقرين صريحه ينطبق وصفه على القرين المعروف اليوم بقرين الصرطة ، وقال الطرى : إن رانونا ينتهى إلى مسجد الجمعة ببني سالم ، ثم يصب فى بطحان . قال المراغى : الذى رواه ابن زباله أنه صلى الله عليه وسلم صلى ببني سالم فى ذى صلب ، لا رانونا ، وأن كلام ابن زباله السابق يدل على المغايرة بينهما .

قلت : هما وإن اختلفا فى بعض الأماكن فيتهيان إلى مجتمع واحد ، ولذا قال ابن شبة : ثم يقترن بذى صلب ، كما سبق ، فيسمى برانونا مرورها عليه ، ولذا قال ابن إسحاق فى أمر الجمعة : فأدركنه فى بنى سالم بن عوف فصلاهما فى المسجد الذى فى بطن الوادى وادى رانونا ، فعبر به عن ذى صلب ، بل فيما تقدم عن ابن زباله أنه يأتى من جوف الحرة ، فلعله المعنى بقول ابن شبة : ثم مجتمع ما جاء من الحرة - ويعنى بالحرة حرة بنى بياضة لما تقدم فى منازلهم من أن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم ابنتى الأطم الذى فى أدنى بيوت بنى بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش .

وأما السرارة المذكورة فى كلام ابن شبة فتقدم ذكرها أيضا فى منازل بنى بياضة ، فليست هى الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة .

وأما بئر جشم فغير معروفة اليوم ، ولعلمها مضافة إلى جشم بن الخزرج الأكبر ،

كما حدثني مالك بن عصب ، وهم بنى بياضة ، وسياتي ما يرجحُه ، ويحتمل أن تكون مضافة إلى جشم بن الحارث ، ومنازلهم بالسنع ، وهو بعيد .

وادي قناة

ومنها : وادي قناة - سمي بذلك لأن تبعاً لما غزا المدينة نزل به ، فلما شخص عن منزله قال : هذه قنأة الأرض ، فسميت قنأة ، وتسمى الشظاة ، وفي القاموس أن هذا الوادي عند المدينة ، أي ما حاذها منه تسمى قنأة . ومن أعلى منها عند السد أي الذي أحدثته نار الحرة تسمى بالشظاة .

وقال ابن شبة : وادي قنأة يأتي من وَّجَّ أي وج الطائف .

وعن شريح بن هاني الشيباني أنه قدم على عمر بن الخطاب ومعه امرأته أم الغمر فأسلمت ، ففرق بينهما عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ارُدُّ علي زوجتي ، فقال : إنها لا تحل لك إلا أن تسلم ، فنزل شريح بقناة وقال :

ألا يا صاحبي ببطن وَّجَّ رَوادِفٍ لا أرى لكم مقاماً
ألا ترين أم الغمر أمست قريباً لا أطيق لها كلاماً
فجعل بطن قنأة بطن وَّجَّ لأن السيل يأتي منه .

وقال اللدائي : قنأة وادي يأتي من الطائف ، ويصب في الأرخضية وقرقرة السكر ، ثم يأتي بئر معاوية ، ثم يمر على طرق القدوم في أصل قبور الشهداء بأحد وقال ابن زبالة : إن سيول قنأة إذا استجمعت تأتي من الطائف ، قالوا : ومحول أودية العرب قنأة وإضم ، أي اللاتي في مجتمع السيول ووادي نخلة ، وإنما سميت محولاً لبعدها صدورها وكثرة دوافعها ، ويأتي وادي قنأة من المشرق حتى يصل السد الذي أحدثته نار الحجاز المتقدم ذكرها آخر الشباب الثاني ، وتقدم هناك أن هذا الوادي كان قد انقطع بسبب ذلك ، وانحبس السيل حتى صار محولاً مد البصر عرضاً وطولاً ، كأنه نيل مصر عند زيادته ، قال المطري : شاهدته كذلك سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وتقدم أنه انخرق من تحته سنة تسعين وستمائة ، فيجرى الوادي سنة ، فلما بين الجانبين ، وسنة أخرى دون ذلك ،

ثم انخرق بعد السبعائة فجرى سنة أو أزيد ، ثم انخرق سنة أربع وثلاثين وسبعائة
بعد تواتر الأمطار فكثرت الماء وجاء سيل لا يُوصف كثرة ، ومجراه على مشهد
سيدنا حمزة ، وحفر واديا آخر قبلي الوادي والمشهد . وقبلي جبل عينين في وسط
السييل ، ومكثنا نحو أربعة أشهر لا يقدر أحد على الوصول إليهما إلا بمشقة ،
ولوزاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل إلى المدينة ، ثم استقر في الوادين القبلي
والشمالي قريبا من سنة ، وكشف عن عين قديمة قبلي الوادي جدّها الأمير ودي ،
وهذا الوادي هو المراد بقوله في حديث الاستنشق من رواية الصحيح « وسال
وادي قناة شهرا » ويتهى سيل قناة إلى مجتمع السيول ترعا أيضا .

ومنها : وادي مذيذب ، ويقال : مذيذب - قال ابن زبالة عن غير واحد من وادي مذيذب
الأنصار : مذيذب شعبة من سيل بطحان ، يأتي مذيذب إلى الروضة روضة بني
أمية ، ثم ينشعب من الروضة نحواً من خمسة عشر جزءاً في أموال بني أمية ، ثم
يخرج من أموالهم حتى يدخل بطحان وصدير ، مذيذب و بطحان يأتیان من
الخلايين حلابي صعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، ومصهما في
زغابة حيث تلتقى السيول ، ه .

وقوله « من سيل بطحان » يعنى من أصله من الخلايين كما بينه أخيراً ،
وسبق بيان منازل بني أمية وأن من أموالهم بئر العون .
وسياتى عن ابن شبة ما ظاهره المخالفة لهذا ، حيث قال في مهزور : حتى
حلاة بني قريظة ، ثم يملك منه شعيب فيأخذ على بني أمية بن زيد بين البيوت
في وادي يقال له مذيذب ، ثم يلتقى هو وسيل بني قريظة بالمشارف فضاء بني خطمة ،
ثم يجتمع الواديان مهزور ومذيذب ، فمقتضاه أن مذيذب من أصل مهزور ، ولهذا
قال المجد : قال أحمد بن جابر : ومن مهزور إلى مذيذب شعبة تصب فيه .
قلت : لكن أعلى صدر سيل بطحان ومذيذب ومهزور من حرة واحدة ،
فيصح تشعب مذيذب من كل منهما .

ولهذا نقل المجد عن أبي عبيدة أن اليهود لما نزلوا المدينة نزلوا بالسافلة ،
قاستو بؤها ، فبعثوا رائداً إلى العالية ، فرأى بطحان ومهزورا يهبطان من حرة
ينصبُّ منهما مياه عذبة ، فرجع فقال : وجدت بلداً طيباً وأودية تنصب إلى حرة
عذبة ، فتحولوا ؛ فنزل بنو النضير على بطحان ، وقرية على مهزور ، اه . مع أن
الذي تقدم في المنازل أن بنى النضير نزلوا بمذنب ، ومنازلهم النواعم ، فمن أطلق
نزلهم على بطحان راعى اتحاد الأصل وأن مذنب يصب في بطحان أيضاً ، كان
في زماننا يشق في الحرة الشرقية قبلي بني قرية ، ويمر في وسط قرية قديمة كانت
شرقي العهن والنواعم ، ويتشعب في تلك الأموال ، ويخرج ما فضل منه من
الموضع المعروف بنقيع الرديدي ومن الناصرية ، فيصب في الوادي الذي يأتي من
ضفاف شرقي مسجد الفضيخ ، حتى يأتي الفضاء الذي عند بؤر النورة خلف
اللاجشونية فتلقاه هناك شعبة من مهزور ، ثم يصبان جميعاً في بطحان .

وقال المطري : مذنب شرقي جفاف ، يلتقي هو وجفاف فوق مسجد
الشمس ، ثم يصبان في بطحان ، ويلتقيان مع رانونا ببطحان ، فيمران بالمدينة
غربي المصلي ، اه . ومراده جفاف أصل مسيل بطحان .

ومنها : مهزور - نقل ابن زباله أنه يأتي من بني قرية ، ثم قال في هذه
الرواية ما لفظه : وأما معجب فيأتي سيله ، وكان يمر في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم ، وقالت الأنصار : إنما الذي يمر في المسجد مهزور ، ولم يبين أصل سيل معجب ،
وكذا ابن شبة ، فقال : وأما بطن مهزور فهو الذي يتخوف منه الفرق على أهل
المدينة فيما حدثنا به بعض أهل العلم ، ثم ذكر رواية ابن زباله السابقة .

وقال ابن زباله عقب ما تقدم عنه في مذنب ، ما لفظه : وسيل مهزور وصدره
من حرة سوران ، وهو يصب في أموال بني قرية ، ثم يأتي بالمدينة فيسقيها ،
وهو السيل الذي يمر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يسكب في
زغابة ، ويلتقي هو وبطحان بزغابة حيث تلتقي السيول ، اه .

واجتماعه في بطحان بزغابة من مجرى قناة ، ولهذا قال ابن شبة : وسيل مهزور يأخذ من الحرة من شريقها ومن هكر ، وحررة صفة ، حتى يأتي أعلى حلاة بنى قريظة ، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت في وادٍ يقال له مذيذب ، ثم يلتقى وسيل بنى قريظة بفضاء بنى خطمة ، ثم يجتمع الواديان جميعا مهزور ومذيذب فيتفرقان في الأموال ويدخلان في صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها إلا مشربة أم إبراهيم ، ثم يُفَضَّى إلى السورين على قصر مروان بن الحكم ، ثم يأخذ بطن الوادى على قصر بنى يوسف ، ثم يأخذ في البقيع حتى يخرج على بنى حديلة ، والمسجد ببطن مهزور ، وآخره كومة أبى الحرة ، ثم يمضى فيصب في وادى قناة ، انتهى .

ومقتضاه أن الشعبة التي تجتمع من مهزور بمذيذب بالفضاء المذكور تسقى بعد ذلك ، فكانها صرفت عن جهة الصدقات إلى بطحان ، أو أن كلامه مؤوَّل ؛ لأن المعروف اليوم أن الشعبة التي تلتقى مذيذب من مهزور تصبُّ بعد اجتماعهما في بطحان كما سبق ، والذي يسقى ما ذكر من الصدقات ويمر بالبقيع إنما هو شعبة أخرى من مهزور ، ولا تجتمع بمذيذب ، بل تمر على الصافية وما يليها من الصدقات ، ثم تغشى بقيع العرقد والنخيل التي حوله خصوصا الجزع المعروف بالحضارى ، فاتخذ لذلك شيخ الحرم الزينى مرجان التقوى حفظه الله تعالى طريقاً إلى بطحان ، وحفر له مجرى من ناحية الصدقات ، فصارت الشعبة المذكورة تصب أيضاً في بطحان ، ولا تمر بالبقيع ، ولم يتعرض ابن شبة للشعبة التي تسقى من مهزور إلى العريض وهو معظمه بسبب السد المبني هناك ، وقد اقتصر عليها المطرى فقال : مهزور شرقى العوالى ، شمالى مذيذب ، ويشق في الحرة الشرقية إلى العريض ، ثم يصب في وادى الشظاة .

قال الزين المرغى عقب نقله : وكان حَرَّة شوران أى المذكورة في كلام ابن زباله هي الحرة الشرقية .

وقال ابن شبة : وكان مهزور سال في ولاية عثمان رضى الله تعالى عنه سيلا عظيما على المدينة خيف على المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد وعن المدينة .

وذكره ابن زباله فقال : وأما الدلال والصابية فيشربان من سرح عثمان ابن عفان الذى يقال له مدرى الذى يشق من مهزور في أمواله ويأتى على أريس وأسفل منه حتى يتبطن الصورين ، فصرفه مخافة على المسجد في بئر أريس ، ثم في عقد أريم ثم في بلحارث بن الخزرج ، ثم صرفه إلى بطحان ، انتهى .

وقال ابن شبة عقب ما تقدم : ثم سال وعبد الصمد بن على وال على المدينة في خلافة المنصور سنة ست وخمسين ومائة ، فخيف منه على المسجد فبعث إليه عبد الصمد عميد الله بن أبى سلمة العمري ، وهو على قضائه ، ونذّب الناس فخرجوا إليه بعد العصر - وقد طفي وملاً صدقات النبي صلى الله عليه وسلم - فدلوا على مصرفه ، فحفروا في برقة صدقة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأبدوا عن حجارة منقوشة ففتحوها فانصرف الماء فيها وغاض إلى بطحان . دلم على ذلك عجوز مسنة من أهل العالية ، قالت : إني كنت أسمع الناس يقولون : إذا خيف على القبر من سيل مهزور فاهدوا من هذه الناحية ، وأشارت إلى القبلة ، فهدمها الناس فأبدوا عن تلك الحجارة ، انتهى .

وذكره ابن زباله مع مخالفة في التاريخ فقال : وفي ليلة الأربعاء هلال الحرم سنة ثمان وخمسين ومائة في إمارة عبد الصمد لما أصيب المسجد بتلك العرقعة استغاث الناس على سيل مهزور مخافة على القبر ، فعمل الناس بالمساحي والمسكاتل والماء في برقة إلى أنصاف النخل ، فطلعت عجوز من أهل العالية فقالت : أدركت الناس يقولون : إذا خيف على القبر فاهدوا من هذه الناحية ، يعنى القبلة ، فدار الناس إليها فهدموا وأبدوا عن حجارة منقوشة ، فعدل الماء إلى هذا الموضع اليوم وأمنوا ، وهى الليلة التى هدمت فيها بيوت بطحان وبنى جشم ، انتهى .

ونقله المراغى إلا أنه قال كما رأيته بخطه : وأبدوا حجارة منقوشة ، وضبط

الباء بالتشديد ، والذي في كلام ابن زبالة وابن شبة ما قدمته ، قال المراغي عقبه :
و بنو جشم لا تعرف ، وإنما المعروف دشم - بالدال - بستان شامى مسجد الفعلة
على نحو رميتى سهم منه ، فلعلها منازلهم ، ووقع في الأسم تغيير .
قلت : والظاهر أن المراد منازل بنى جشم بن الحارث بالسنج لقربها من
بطحان ، فظغى الماء إليها لما صرّفوه .

قضاؤه
بين رجل
من الأنصار
والزبير

تتمّة

فيما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأودية
روينا في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من الأنصار
خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل ، فقال الأنصارى : سرح
الماء يمر ، فأبى عليه ، فاحتصما عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للزبير : اسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الأنصارى ،
فقال : أن كان ابن عمك ؟ فتلّون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :
اسق يازبير ثم اخبس الماء حتى يرجع إلى الجدر .

وفي رواية للبخارى : حتى يرجع الماء إلى الجدر ، فكان ذلك إلى
الكعبين ، وفي أخرى له : كان النبي صلى الله عليه وسلم أشار على الزبير برأى فيه
سعة ، فلما أحفظ الأنصارى النبي صلى الله عليه وسلم - أى أغضبه - استوفى
للزبير حقه في صريح الحكم .

والجدر قيل : أصل الشجرة ، وقيل : جدور المشارب التي يجتمع فيها الماء
في أصول النخل ، وقيل : المسحاء وهو ما وقع حول المزرعة كالجدار ، وقال ابن
شهاب : قدرت الأنصار والناس ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك
إلى الكعبين .

قضاؤه
وفي سنن أبي داود عن ثعلبة بن أبي مالك أنه سمع كبراءهم يذكرون أن
رجلا من قر يش كان له سهم من بنى قريظة ، فخاصم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سيل مهزور

وسلم في مهزور السيل الذي يقسمون ماءه ، فقضى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الماء إلى الكعبين لا يجس الأعلى على الأسفل .

وفي رواية له : قضى في السيل المهزور أن يمسك حتى يبلغ الكعبين ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، كذا قال في « السيل المهزور » والمشهور لما قال السبكي « في سيل المهزور » .

وفي الموطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في سيل مهزور ومذنب : يمسك حتى الكعبين ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل .

وروى ابن شبة : قضى في سيل مهزور أن يمسك الأعلى على الأسفل حتى يبلغ الكعبين والجدر ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، وكان يسقى الحوائط .
وعن جعفر قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيل مهزور أن لأهل النخيل إلى العقيق ، ولأهل الزرع إلى الشراكين ، ثم يرسلون الماء إلى مَنْ هو أسفل منهم .

وهو صريح فيما قاله المتولى والماوردي من أن التقدير بالكعبين ليس على عموم الأزمان والبلدان والزرع والشجر ؛ لأن الحاجة تختلف ، ولم يقف السبكي على هذه الرواية فقال : وهو قوى ، والحديث واقعة حال ، ولولا هَيْبَةُ الحديث لكنت أختاره .

خاتمة

في مجتمع الأودية ومآنها

قال الزبير : ثم يلتقى سيل العقيق ورانونا بوادٍ آخر وذى صلب وذى ريش و بطحان ومعجف ومهزور وقناة بزغابة ، وسيول القو إلى هذه يلتقى بعضها ببعض قبل أن يلتقى العقيق ثم يجتمع ، فيلتقى العقيق بزغابة .

قلت : والحاصل أن سيول العالية ترجع إلى بطحان وقناة ، ثم تجتمع مع العقيق بزغابة عند أرض سعد بن أبي وقاص كما صرح ابن زبالة .

مجتمع
سيول العالية

قال الزبير : وذلك أعلى وادى إضم ، وفيه يقول إسحاق الأعرج :
عَشَيْتُ دياراً بأعلى إضمَّ محآها البلي واختلافُ الدَّيَمِ
قال الهجرى : سمي إضم لانضمام السيول به واجتماعها فيه ، وقال ابن شبة :
تجتمع هذه الأودية بزغابة ، وهو بطرف وادى إضم ، سمي بإضم لانضمام
السيول به .

قلت : ويسمى اليوم بالضيقة ، ويسمى زغابة بمجتمع السيول ، ولهذا أورد
الزبير هنا حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم « رَكِبَ إِلَى مَجْتَمَعِ السِّيُولِ فَقَالَ :
أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَنْزِلِ الدَّجَالِ مِنَ الْمَدِينَةِ - الْحَدِيثِ » .

قال الزبير : ثم تمضى هذه السيول إذا اجتمعت فتتحد على عين أبي زياد
والصورين فى أدنى الغابة ، ثم تلتقى هذه السيول فى وادى نقى ووادى نعان أسفل
من عين زياد ، ثم تتحد هذه السيول فتلقاها سيول الشعاب من كنفها ، ثم
يلقاها وادى ملك بذى خشب وظلم والجنيئة ، ثم يلقاها وادى ذى أوان ودوافعه
من الشرق ، ويلقاها من الغرب وادٍ يقال له بواط والحزار ، ويلقاها من الشرق
وادى الأثمة ، ثم تمضى فى وادى إضم حتى يلقاها وادى برمة الذى يقال له ذوالبيضة
من الشام ، ويلقاها وادى ترعة من القبلة ، ثم يلتقى هو ووادى العيص من القبلة ،
ثم يلقيه دوافع وادٍ يقال له حجر ووادى الجزل الذى به السقيا والرحبة فى نجيل
ذى المروة مغربا ، ثم يلقيه وادى عمودان فى أسفل ذى المروة ، ثم يلقيه وادٍ يقال
له سفیان حين يُفْضَى إلى البحر عند جبل يقال له أراك ، ثم يدفع فى البحر من
ثلاثة أودية يقال لها اليعسوب والنتيجة وحقيب ، وذكر ابن شبة نحوه ، وكذا
الهجرى .

وقال المطرى : إن السيول تجتمع بدومة سبيل بطحان والعقيق والزغابة
والنقى وسيل غراب من جهة الغابة فيصير سيلا واحدا ويأخذ فى وادى الضيقة
إلى إضم جبل معروف ، ثم إلى كرى من طريق مصر ويصب فى البحر ، انتهى .
(٢ - وفاة الوفا ٣)

وفيه أمور : الأول : جعله مجتمع السيول برومة ، وإنما مجتمعا بزغابة كما سبق ، وذلك أسفل من رومة غربى مشهد سيدنا حمزة كما قاله المجرى ، وهو أعلى وادى إضم ، وماخذ المطرى قول ابن إسحاق فى غزوة الخندق : أقبلت قرىش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف وزغابة ، وهو مخالف لما سبق .
الثانى : جعله لزغابة سيلا ينصب لرومة ، ورومة هى التى تنصب إلى زغابة .
الثالث : جعله النقى مما يجتمع مع السيول برومة ، مع أنه المعبر عنه فيما سبق بنقى ، وإنه يجتمع مع السيول بالغابة .

الرابع : جعله لغراب سيلا يجتمع برومة ، ولم أقف له على مستند ، وغراب جبل فى تلك الجهة على طريق الشام .

الخامس : جعله إضم اسم جبل ، ومغايرته بينه وبين وادى الضيقة ، خلاف ما تقدم ، واختلف اللغويون فى أن إضم اسم لموضع أو جبل هناك ، والظاهر أنه اسم للجبل وواديه .

الفصل السادس

فما سمي من الأحماء ، ومن حماها ، وشرح حال حمى النبي صلى الله عليه وسلم
والحمى ، لغة : الموضع الذى فيه كلاً يُحمى من يراه ، وشرعاً : موضع من
الموت يمنع من التعرض له ليتوفر فيه الكلاً فترعاه مواشٍ مخصوصة . وهو
بالقصر ، وقد يمد ، ويكتب المقصور بالألف والياء ، قال الأصمعى : الحمى حميان :
حمى ضريية ، وحمى الربذة ، وكأنه أراد المشهور من الحمى بنجد ، قال صاحب
المعجم : ووجدت أنا حمى فيد ، وحمى النير ، وحمى ذى الشرى ، وحمى
النقيع .

معنى الحمى

قلت : وهى عدا النقيع بنجد ، وهى متقاربة ، بل سيأتى ما يؤخذ منه دخول
النير فى حمى ضرية . والنقيع بالنون المفتوحة والقاف المكسورة والياء التحتية

حمى النقيع

الساكنة والعين المهملة على الصحيح المشهور ، وهو كل موضع يستنقع فيه الماء ،
و به سمي هذا الوادي . وحكى عياض عن أبي عبيد البكري أنه بالباء كقبيع الغرقاد ،
قال : ومتى ذكر دون إضافة فهو هذا .

قلت : الذي نقله السهيلي عن أبي عبيد أنه بالنون ، قال عياض : وأما الحمى
الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الأربعة فهو الذي يضاف إليه غور
النقيع ، وفي حديث آخر « أتى بقدح لبن من النقيع » . وحكى النقيع على عشرين
فرسخاً من المدينة ، وهو صدْرُ وادي العقيق ، وهو أخصب موضع هناك ، وهو
ميل في بريد ، فيه شجر ، ويستأجم حتى يغيب فيه الراكب ، فاختلَف الرواة
وأهل المعرفة في ضبطه : فوقع عند أكثر رواة البخاري بالنون ، وذكر نحو ماتقدم ،
وهو موافق في ذكر المسافة لأبي على الهجري ، وقد تقدم عنه أنه ينتهي إلى
حضير ، وأن العقيق يبتدىء من حضير ، ولعل المراد من رواية ابن شعبة
في أن النقيع على أربعة بُرْدٍ من المدينة طرفه الأقرب إليها ، ومراد الهجري
طرفه الأقصى .

وقال نصر : النقيع قرب المدينة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، سماه ،
وهو من ديار مزينة ، وهو غير نقيع الخضات ، وكلاهما بالنون ، وأما الباء فيهما
فخطأ صراح .

وقال الهجري : الطريق إلى الفرع وسيارة وسنانة والصابرة والقرنين جند
والأكحل وأموال تهامة ؛ تعترض النقيع يساراً للخارج من المدينة ، وبعض
الناس يجعلها إلى مكة ، وهي طريق التهمة .

ونقل أيضاً أن أول الأحماء وأفضلها وأشرفها ما أحى النبي صلى الله عليه وسلم
من النقيع ، أحماء نخيل المسلمين وركابهم ، فلما صلى الصبح أمر رجلاً صميماً فأوفى
على عسيب وصاح بأعلى صوته ، فكان مَدَى صوته بريداً ، ثم جعل ذلك حمى

طوله بريد وعرضه الميل في بعض ذلك وأقل ، وذلك في قاع مدر طيب ينبت
أحرار البقل والطرائف ويستأجم - أى يستأصل أصله ويغلظ نبتة حتى يعود
كالأجمة - يغيب فيه الراكب إذا أحميا ، وفيه مع ذلك كثير من العضاء والفرقة
والسندر والسيال والسلم والطلح والسمر والعوسج ، ويحف ذلك القاع الحرة حرة
بنى سليم شرقاً ، وفيها رياض وقيعان ، ويحف ذلك القاع من غربيه الصخرة ،
وفي غربيه أيضاً أعلام مشهورة مذكورة : منها برام ، والوايدة ، وضاف ،
والشقراء ، وبيطن قاع النقيع في صير الجبل غدُر تضيف ، فأعلاها يراجم ، ثم
الآبن ، وبعضهم يقول : يذبن ، وهو أعظمهما وأذكرهما .

وفي سنن أبي داود بسند حسن عن الصَّعب بن جثامة أن النبي صلى الله
عليه وسلم حمى النقيع وقال « لا حمى إلا لله » .

وفي رواية له : « لا حمى إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم » من غير ذكر
حمى النقيع كما في الصحيح ، ورواه الزبير بلفظ الرواية الأولى ، وزاد « ولرسوله »
وسنده حسن .

وروى أحمد بسند فيه عبد الله العمري - وهو ثقة ، وإن ضعفه جماعة ، وقال
الذهبي : إنه حسن الحديث - عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى
النقيع للخيل ، فقلت له : نخيله ؟ قال : نخيل المسلمين .

وفي رواية لابن شبة عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى قاع النقيع لخيل
المسلمين .

وفي رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخيل ، وحمى
الربذة للصدقة ، وفي الكبير للطبراني ، رجال الصحيح عن ابن عمر قال : حمى
النبي صلى الله عليه وسلم الربذة لإبل الصدقة .

وروى ابن شبة في ترجمة ما جاء في النقيع بسند جيد عن رجاء بن جميل أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حمى وادى نخيل للخيل المضمرة ، وهي تقضى أن

النقيع تسمى بذلك ، ولم أر من صرح به ، نعم تقدم في الفصل الثالث قول ذؤيب الأسلمي في عرصة العقيق :

* طاف من وادي دجيل *

الأبيات وهو بالدال في عدة نسخ ، والذي في نسخة ابن شبة بالباء بدل الدال ، ولعله تصحيف ، فيكون ذلك اسماً للنقيع ، ويؤيده قول مصعب الزبيري يتشوق إلى رومة من العقيق في أبيات :

أَعْرَبِي نَظْرَةً بَقْرِي دَجِيلٍ نَخَائِلَهَا ظِلَامًا أَوْ نَهَارًا

فَقَالَ: أَرَى بَرُومَةَ أَوْ بَسْلَعٍ مَنَازِلَهَا مُعْطَلَةٌ قَفَارًا

وروى الزبير بن بكار عن مراوح المزني قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع على مقل وصليب ، وقال في حمى النقيع : « نَعَمَ مَرَّتَعُ الْأَفْرَاسِ ، يُجْحَى لَهْنٌ ، وَيَجَاهَدُ بَيْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وَحَمَاهُ ، وَاسْتَعْمَلَنِي عَلَيْهِ .

وعن غير واحد من الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه « صَلَّى عَلَى مَقْمَلٍ ، وَحَمَاهُ وَمَا حَوْلَهُ مِنْ قَاعِ النَّقِيعِ لِحَيُولِ الْمُسْلِمِينَ » ثُمَّ زَادَتْ بَنُو أُمِيَّةَ بَعْدَ وَالْأَمْرَاءِ أَضْعَافَ مَا حَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّقِيعِ .

وعن محمد بن هيصم المزني عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَشْرَفَ عَلَى مَقْمَلِ طَرَفِ وَسْطِ النَّقِيعِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ، فَسَجَدَهُ هُنَاكَ » .

قال ابن هيصم عن أبيه : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي ، وقال : إني مُسْتَعْمَلُكَ فِي هَذَا الْوَادِي ، فَمَا جَاءَ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا - يَشِيرُ نَحْوَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَمَغْرِبِهَا - فَامْتَنَعُهُ ، فَقَالَ : إني رجل ليس لي إلا بنات ، وليس معي أحد يعاونني ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَيَرْزُقُكَ وَلَدًا ، وَيَجْعَلُ لَكَ وَلِيًّا » قَالَ : فَعَمِلَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَدٌ ، فَلَمْ تَزَلِ الْوَلَاةُ يُولُونَ عَلَيْهِ وَالْيَا مِنْذُ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِسْتَعْمَلِهِ وَالِي الْمَدِينَةِ ، حَتَّى كَانَ دَاوُدُ بْنُ عَيْسَى فَنَزَلَهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً ، وَإِنَّمَا تَرَكَهُ دَاوُدُ

لأن الناس جَآؤا عنه للخوف ذلك الزمان ، فلم يبق فيه أحد يستعمله عليه ، قال الزبير : وربما كتب إلى عبد الله بن القاسم وهو في ماله بنعف النقيع يقول لي : إن ناساً عندنا بالنقيع قد عاثوا في حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلم الأمير يكتب في التشديد فيه .

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم « صلى في موضع مسجده على موضع مقمل ثم بعده إلى ما بينه وبين يلبن من قاع النقيع » .

وقال : لحمى لأفراس تغدو وتروح في سبيل الله ، ومد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وقارب بينهما ، ولم يضمهما ، وحماه ، واستعمل عليه جد أبي الخليس ، فقال : يا رسول الله ، أولادى النساء ، وليس معى غناء ، قال : قم بهن معك فاردد ما جاء من الحرة في الحرة ، واردد ما جاء من الصحرة في الصحرة ، قال يعقوب المزني : ثم تزايد الناس بعد في الحمى ، فحموا ما بين تراجم إلى يلبن ، واتخذوا المرابد يحبسون فيها مارعى الحمى من الإبل ، حتى رأيت بعضها يأكل دبر بعض ، قال الزبير : وقال لي : لقد رأيت لأبيك أ أكثر من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع ، وهو إذ ذاك أمير المدينة ، ما يرعى رعاؤه منها شيئاً في الحمى ، حتى يكتمل العشب ويبلغ نهايته ، فيرسل عامل الحمى صائحاً يصيح في الناس يؤذنههم باليوم الذى يأذن لهم يرعون الحمى ، فيسرع فيه رعاء أبيك والناس يداً واحدة كفرسى رهان .

حكم الحمى

قلت : مقتضاه جواز رعى الحمى للناس إذا استتروا فيه ، وهو مخالف لمذهبتنا ؛ إذ لا يدخله سوى العاجز عن التجمعة من الناس .

قال الشافعى : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا حمى إلا لله ورسوله »
يحتمل معنيين :

أحدهما : ليس لأحد أن يحمى للمسلمين غير ما حمى صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يكون لوال أن يحمى .

والثاني : أنه لا يحمي إلا على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا خليفة أن يحمي على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والثاني هو أظهر القولين ، وهو قول الأزهرى ، وقال : يعنى للخيل التى
تُرْكَبُ فى سبيل الله ، وقيل : معناه ليس لأحد أن يحمي لنفسه إلا النبي صلى الله
عليه وسلم ، فإن ذلك من خصائصه ، وإن لم يقع منه ، ولو وقع لكان من
مصالح المسلمين ؛ لأن مصلحته مصلحتهم .

وقال فى الأم : كان الرجل العزيز من العرب إذا استنجع بلداً مُخَصَّباً
أوفى بكلب على جبل إن كان أو نَشَرَ إن لم يكن جبل ، ثم استعواه ووقف له
من يسمع منتهى صوته ، فحيث بلغ صوته حَمَاهُ من كل ناحية ، ويرعى مع العامة
فما سواه ، ويمنع هذا من غيره لضعف سَأَمَتِهِ ، وما أراد قربه منها ؛ فيرى أن
قوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم « لا حمى إلا لله ورسوله » لا حمى على هذا
المعنى الخاص ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان يحمي إن شاء لمصالح
عامة المسلمين ، لا لما حمى له غيره من خاصة نفسه ، وذلك أنه لم يملك إلا
ما لا غنى به وبعياله عنه ، وصير ما ملكه الله من خمس الخمس مردوداً فى مصلحتهم ،
وماله ونفسه كان مفرغاً فى طاعة الله .

حمى أبى
بكر وعمر

قال : وقد حمى بعده عمر رضى الله تعالى عنه أرضاً لم يعلم أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم حماها ، وقال غيره : حمى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، وحمى عمر
الشرف ، قيل : والرَبْذَةُ ، وقيل : حماها أبو بكر ، وقيل : النبي صلى الله عليه
وسلم ، ولعله حمى بعضها ثم زاد كل منهما بعده فيها شيئاً .
وسياتى عن الهجرى أن عمر أول ما حمى بضرية ، وأن عثمان
زاد فيه .

وما حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز تغييره بحال ، بل ينسحب
عليه حكم الحمى وإن زالت معاملة على الأصح ، بخلاف حمى سائر الأئمة ، قال

الشافعي : ويكره أن يقطع الشجر بالمدينة ، وكذا بوج من الطائف ، وكذا بكل موضع حمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والموضع الذي حمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك فيه بالنقيع ، وأما الصيد فلا يكره فيه ، انتهى .

والمراد بالكره هنا كراهة التحريم .

وروى ابن عبد البر أن عمر رضى الله تعالى عنه بلغه عن يعلى بن أمية - ويقال : أمينة ، وكان عاملا على اليمن - أنه حمى لنفسه ، فأمره أن يمشى على رجله إلى المدينة ، فمشى أياماً إلى صعّدة ، فبلغه موت عمر ، فركب .

وروى الشافعي وغيره أن عمر استعمل مولاة هنيا على الحمى ، فقال له : يا هني ضم جناحك للناس ، واتقى دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة ، وإياك ونعم ابن عفان وابن عوف ، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع ، وإن رب الغنيمة يأتيني بعياله فيقول : يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين ، أفتاركهم أنا لا أبالك ؟ فالماء والكلاء أهون على من الدنانير والدرهم ، ألا وإيم الله لعلى ذلك ، إنهم ليرون أنى قد ظلمتهم ، إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسأوا عليها في الإسلام ، ولولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حمت على المسامين من بلادهم شبرا .

قال الشافعي : وإنما نسب الحمى إلى المال الذى يحمل عليه فى سبيل الله لأنه كان أكثر ما عنده مما يحتاج إلى الحمى .

وعن مولى لعثمان بن عفان أنه كان معه فى ماله بالعالية فى يوم صائف ، إذ رأى رجلا يسوق بكرين ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح ، انظروا من هذا ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقلت : هذا أمير المؤمنين ، فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب ، فإذا لفتح السموم ، فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : بكران

من إبل الصّدّقه تخلفا فأردت ألحقهما بالحمى ، وخشيت أن يضيعا فيسألني الله
عنهما ، فقال عثمان : هَلُمُّ إِلَى الْمَاءِ وَالظِّلِّ وَنَكْفِيكَ ، فقال : عُدُّ إِلَى ظِلِّكَ ،
وَمَضَى ، فقال عثمان : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقَوَى الْأَمِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا ،
فَعَادَ إِلَيْنَا فَأَلْقَى نَفْسَهُ .

وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يحمل في العام
الواحد على أر بعين ألف بعير ، يحمل الرجل إلى الشام على بعير ، ويحمل الرجلين إلى
العراق على بعير .

وعن مالك قال : بلغنا أن الخليل التي أعدّها عمر رضي الله تعالى عنه ليحمل
عليها في الجهاد ومَنْ لَا مَرْكُوبَ لَهُ عَدَّتْهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا .

وروى بعضهم أن عمر رضي الله تعالى عنه رأى في رَوْثِ فَرَسِهِ شَعِيرًا فِي
عَامِ الرَّمَادَةِ ، فقال : لِأَجْعَلَن لَه مِنْ عَرْرِ النَّقِيعِ مَا يَكْفِيهِ .

وفي رواية « المسامون لا يشبعون والشعير في رَوْثِكَ ، لتعالجن عرر النقيع »
قال الخطابي : العرر نبت ينبتة الثمام .

وقال عبد الرحمن بن حسان في قاع النقيع :

أرقتُ لبرقٍ مستطير كأنه مصابيح تخبو ساعة ثم تلمحُ
يضىء سنأه لى سروراً وودقهُ بقاع النقيع أو سنأ البرق أبرحُ
وقال كثير بن عبد الرحمن :

فهلْ أَرَيْنَ كَمَا قَد رَأَيْتُ لِعِزَّةٍ بِالنَّعْفِ يَوْمًا حُؤَلَا

بقاع النقيع بصحن الحمى يُبَاهِينَ بِالرَّقْمِ غِيَا نَحِيلَا

وقال عبد العزيز بن وداعة المزني :

ولنا بقدرس فالنقيع إلى اللوى رَجَع إِذَا لَهْتَ السَّبِيَّ الْوَاقِعِ

وإِدِ قَرَارَةُ مَاؤُهُ وَنَبَاتُهُ يَرَعِي الْمَخَاضَ بِهِ وَوَادٍ فَارِعُ

سعد يحرر أهلنا بفروعه فِيهِ لَنَا حِرْزٌ وَعَيْشٌ رَافِعُ

وقال أبو سلمى :

لنا منزلان مؤلف الماء موق كريمة ، ووادٍ يجدر الماء قارع
وداران دار يرعد الرعد تحتها ودار بها ذات السلم فراع
وهذا وما قبله يشير إلى ما سبق في العقيق من أن صدره مادفع في النقيع
من قدس وما قبل من الحرة وما دبر ، فهو يصب في الفرع .

وقال أبو قطيفة :

ليت شعري وأين منى لَيْتُ أَعْلَى المهدِ يَلْبِنُ فَبَرَامُ^(١)
أم كعدي النقيعُ أم غَيْرَتَه بعدنا المَعصِرَات والأيام
وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

أزجرت الفؤاد منك الطروبا أم تصابيت إذ رأيت المشيبا
أم تذكرت آل سلمة إذ حلُّوا رياضاً من النقيع ولوبا
ثم لم يتركوا على ماء عمق للرجال الوراد منهم قلوبا

الفصل السابع

في شرح حال بقية الأحماء ، وأخبارها .

حمى الشرف منها : الشرف ، حماء عمر رضى الله تعالى عنه ، وليس هو شرف الروحاء ، بل موضع بكبد نجد .

قال نصر : الشرف كبد نجد ، وقيل : وادٍ عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية والظاهر أنه مراد من غير بينه وبين حمى ضرية والرَبْذة .

قال الأصمعي : الشرف كبد نجد ، وكانت منازل بني آكل المرار ، وفيها

(١) يلبن - بفتح الياء المثناة تحت وسكون اللام ثم باء موحدة مفتوحة ثم نون - غدير بنقيع الحمى ، وبرام بفتح الباء الموحدة أوله ، وقد تكسر - جبل من أعلام النقيع هـ .

اليوم حمى ضرية ، وفي أول الشرف الربذة ، وهي الحمى الأيمن ، والشريف إلى جنبه يفصل بينهما السرير ، فما كان مُشْرِقًا فهو الشريف ، وما كان مغربًا فهو الشرف ، انتهى .

ويحتمل أن المراد بقولهم « حمى الشرف والربذة » حمى ضرية والربذة لما سيأتي في حمى ضرية أنه كان يقال لعامله عامل الشرف ، ولم يفرد الهجرى في أحاء نجد الشرف ، ولم يبين له محلا ، وإنما ذكر الربذة وضرية مع ماسيأتي فيهما . وقال الأصمعي : كان يُقال : من تصيف الشرف ، وتربع الحزم ، وشتى الصمان ؛ فقد أصاب المرعى .

ومنها : حمى الربذة - قرية بنجد من عمل المدينة ، على ثلاثة أيام منها ، قاله حمى الربذة المجد ، وفي كلام الأسدى ما يقتضى أنها على أربعة أيام ، قال المجد : وكان أبو ذر الغفارى خرج إليها مغاضباً لعثمان رضى الله تعالى عنهما ، فأقام بها إلى أن مات ، وتقدم قول الأصمعي إنها في الشرف وإنها الحمى الأيمن ، وقال نصر : هى من منازل الحاج بين السليمة والعقيق ، أى الذى بذات عرق .
وفي تاريخ عبيد الله الأهوازي أنها خربت في سنة تسع عشرة وثلثمائة ؛ لاتصال الحروب بين أهلها وأهل ضرية ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامة ، فاستنجدوهم عليهم ، فارتحل أهل الربذة عنها فخربت ، وكانت أحسن منزل بطريق مكة .

وقال الأسدى : الربذة لقوم من ولد الزبير ، وكانت لسعد بن بكر من فزارة ، ووصف ما بها من البرك والآبار ، وقال : إن بها بئرا تعرف ببئر المسجد بئر أبي ذر الغفارى .

وتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى الربذة لإبل الصدقة ، وقيل : أبو بكر ، وقيل : عمر ، وهو المشهور .

وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن عمر حمى الربذة لنعم الصدقة ، ولهذا نقل الهجرى عن جماعة أن أول من أحمى الحمى

بالرَبْذَة عمر بن الخطاب لقصاص الصدقة ، وأن سَعَة حمّاه الذي أحس بريد في
بريد ، وأن سُرّة حمى الرَبْذَة كانت الحرّة ، ثم زاد الوَلَاة بعدُ في الحمى ، وآخر
من أحماه أبو بكر الزبيرى لَنَعَمِهِ ، وكان يرعى فيه أهلُ المدينة ، وكان جعفر بن
سليمان في عمله الأخير على المدينة أحماه لظهوره بعد ما أبيحت الأحماء في ولاية
المهدى ، ثم لم يَحْمِهِ أحد منذ عزل بكار الزبيرى .

وأول أعلامه رحرحان جبل غربى الرَبْذَة على أربعة وعشرين ميلا منها في
أرض بنى ثعلبة بن سعد كثير القنّان ، وأقرب المياه منه ماء يقال له الكديد
حفائر عادية عذاب ، ثم أروم جبل عن يسار المُصعد ، ويدعى الجندورة في أرض
بنى سُليم ، وأقرب المياه منه ماء لبنى سليم يدعى ذنوب داخل في الحمى على اثني
عشر ميلا من الرَبْذَة ، ثم اليعملة ، وبها مياه كثيرة ، بينها وبين الرَبْذَة ثلاثة
عشر ميلا ، ثم عن يسار المصعد هضبات حُمر يدعى فوفاني بأرض بنى سُليم ،
على اثني عشر ميلا من الرَبْذَة ، ثم عمود الحدث ، وهو عمود أحمر في أرض
محارب ، بأصله مياه تدعى الأقعسية ، على أربعة عشر ميلا من الرَبْذَة ، وهو
بلد واسع .

حمى ضرية ومنها : حمى ضرية - قرية سميت باسم بئر يقال لها ضرية ، وقال ابن الكلبي :
سميت ضرية بصرية بنت نزار ، وهى أم حلوان بن عمران بن إلخاف بن قضاة ،
وقال الأصمعي : ويقال ضرية بنت ربيعة بن نزار ، وقال نصر : ضرية صقع واسع
بنجد ، ينسب إليه حمى ضرية ، يليه أميرُ المدينة ، وينزل به حاج البصرة ، قال
أبو عبيد البكرى : ضرية إلى عامل المدينة ، وقال غيره : هى قرية عامرة قديمة
في طريق مكة من البصرة ، وهى إلى مكة أقرب ، غير أنها من أعمال المدينة
يحكم عليها واليها .

وذكر الأسدي في وصف طريق البصرة ما يقتضى أن ضرية على نحو عشرة

أيام من مكة ، وأخبرني أهل المعرفة بها أنها من المدينة على نحو سبع مراحل ،
وأنها إلى المدينة أقرب .

وقال ابن سعد : سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء بطن من أبي بكر كانوا
ينزلون البكرات بناحية ضرية ، وبين ضرية والمدينة سبع ليال ، انتهى .
وتقدم قول الأصمى في الشرف إن به حمى ضرية ، قال : وضرية : بئر ماؤها
عذب طيب ، قال الشاعر :

ألا يا حبيذا لَبِنُ الْخَلَايَا بَمَاءِ ضَرِيَّةِ الْعَذْبِ الزَّلَالِ

ونقل المجد أن أشهر الأحماء وأسيرها ذكراً حمى ضرية ، وكان حمى كليب
ابن وائل فيما يزعم بعض بادية طيء ، قال : وذلك مشهور عندنا بالبادية يرويه
كابر عن كابر ، وفي ناحية منه قبر كليب معروف إلى الآن .

قلت : وأخبرني بذلك رئيس أهل نجد ورأسها سلطان البحرين والعطيف
فريد الوصف والنعمة في جنسه صلاحاً وإفضالاً وحسن عقيدة أبو الجود أجود
ابن جبر أيده الله تعالى وسدده ، وقال : إن قبر كليب هناك معروف عند العرب
يقصدونه ، قال : ودلني عليه بعضهم لأفصده ، فقلت : هو واحد من الجاهلية .

ونقل المهجري أن أول من أحمى الحمى بضرية عمر بن الخطاب ، أحماء لإبل
الصدقة وظهران الغزاة ، وأن سُروحا الغنم العادية من ضرية ترعى على وجوهها
ثم تؤوب بضرية ، وذلك ستة أميال من كل ناحية ، وضرية في وسط الحمى ؛
فكان على ذلك حياة عمر وصدرًا من ولاية عثمان ، ثم كثر النعم حتى بلغ أربعين
أذ بعير ، فضاقت عنه الحمى ، فأمر عثمان أن يزداد ما يسع إنل الصدقة وظهران الغزاة ، فزداد
زيادة لم يحددوها ، إلا أن عثمان رضى الله تعالى عنه اشترى ماء من مياه بني ضبيعة^(١)

كان أدنى مياه غنى إلى ضرية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات
على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون أن البكرة دخلت في حمى عثمان ، ثم
لم تنزل الولاة تزيد فيه ، واتخذوه مأكلة ، ومن أشدهم فيه انبساطا ومنعاً إبراهيم

(١) في الخلاصة « بني ضبيعة » .

ابن هشام المخزومي ، زاد فيه وضيق على أهله ، واتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير ، ولم تزل حواط الحمى يقاتلون عليه أشد القتال ، ويكون فيه الدماء ، وقاتل مرة حواط ابن هشام ورُعَيان أهل المدينة وهم أكثر من مائتي رجل ناسا من غنى على ماء لغنى يقال له الساه قتلا شديداً ، فظفر الغنويون ، فقتلوا منهم اثني عشر رجلاً ، ثم صالحوهم على العقل ، لكل واحد مائة من الإبل ، فقال بعض الغنويين :

يال غنى إنه عقل النعم وليس بالنوم وترجيل اللعم

وكان ناس من الضباب قدموا على ولد عثمان ، فاستسقوهم بالبكرة فأسقوهم ، فلم تزل بأيديهم .

وحفر عثمان عيماً في ناحية أرض غنى خارجة عن الحمى بناحية الماء الذي يقال له نفي على نحو خمسة عشر ميلاً من أضاح ، وفقرت لها بها فقر كبيرة ، وابنتي عماله عندها قصراً أثره بين قرب واردات مقبل ، ولم تجر ، فتركها العمال ، فلم يحرك ذلك السبع إلى اليوم .

ودفنت غنى في فتنة ابن الزبير عنصر العين وتلك الفقر ، فنسبت عيونته وكل ما سلف من أضاح في شرقها تميمي .

وأدى مياه بني تميم إلى أضاح ماء يقال له أضح لبني الهجيم ، وقد دفن منذ دهر ، فقال ناس من بني عبد الله بن عامر لأصهار لهم من بني الهجيم : نحن نستسقى لكم آل عثمان فنسقى ، فرغبوا في ذلك ، فأجابهم آل عثمان ، فاستظعن الهجيميون قومهم إليه ، فلقبهم رعاء غنى ، فسألوهم ، فقالوا : إن بني عثمان ولو نأ أمره ، وبلغ الخبر من بينهم من غنى ، فتواعدوا أن ينزلوا أدنى منازلهم من بقي ، فاجتمع منهم جمع كثير ، وعلم بنو الهجيم أنهم إن ثبتوا يعظم البلاء ، فضعفوا ليل إلى بلادهم ، وخاف بعضهم أن يدرك فتركوا به الرحال وما ثقل وبهما في أرقه يعني الجرسى التي يشد بها البهائم ، فغضب أصهار الهجيميين ، واستغضبوا آل عثمان ، فلما قدم

الحسن بن زيد المدينة ومعه بعض أصهار الهجيميين فقالوا لآل عثمان : نجيء
لكم بخيار تميم ومشايخ أضاح يشهدون لكم ، فاستعدى آل عثمان الحسن بن
زيد على غنى ، وسأله الحماكة بأضاح لقربها من بني تميم ، وكلم آل عثمان
عبد الله بن عمرو بن عبسة العثماني ، فاجتمعوا عند أبي مطرف عامل الجيش بأضاح ،
وولى الخوصومة من غنى الحصين بن ثعلبة أحد بني عمرو الذين امتدحهم ابن عرندس
بالأبيات الآتية ، فصار كلما جاء العثماني بشاهد من تميم جاءه الغنوي بشاهدين
يخرجه من قيس ، فلحق العثماني بأهله ، فلم يزل بقي مواتاً . وهذه الخوصومة في
سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة .

واحتقر عبد الله بن مطيع حفيرةً هي في أيدي الضباب على بريد من ضرية
على طريق أضاح للمدينة في ناحية شعبي ، وكان الكنديون يستقون ، وماؤهم
يسمى الثريا ، ومنهم العباس بن يزيد الذي هجاه جرير بقوله :

أَعْبُدًا حَلَّ فِي شُعْبِي غَرِيبًا أَلْوَمًا لَا أَبَالِكَ وَاغْتَرَابًا
إِذَا حَلَّ الْحَجِيجُ عَلَى قَنِيعٍ بَيْتِ اللَّيْلِ يَسْتَرِقُ الْعَتَابًا

وقنيع : ماء للعباس الكندي على ظهر محجة أهل البصرة في دارة من
دارات الحمى يقال لها دارة عسعس ، فلما أجلى الكنديون عن قنيع تنازعت
بنو أبي بكر بن كلاب وبنو جعفر ، فقالت أبو بكر : نحن أحق بماء حلقائنا ،
وقال الجعفريون : هو عند بيوتنا فنحن أحق به ، فجمع بعضهم لبعض بملتنقى
قنيع ، وكان سيد بني جعفر عبود بن خالد ، ورأس أبي بكر معروف بن عبد الكريم
وأخته زوجة عبود أم ولده طفيل ، وكان طفيل من أشد بني جعفر على أخواله ،
فخرجت أمه ليلاً لقومها ، فقالت : أشد بني جعفر لكم عداوة ابن أختكم ، فإنه
معلم بحبه حر مر ، فليكن أول قتييل ، ثم تداعى القوم للصالح على تحكيم سلمة
ابن عمرو العريقى ، وكتبوا بذلك وأشهدوا وتواعدوا أن يتوافقوا عنده بأربعين
من كل بطن ، ثم نزلوا بسلمة عند الأجل ، فأقام أياما ينحصر لهم كل يوم جزورا ،

ويعطف بعضهم على بعض، ويزهدهم في قنيع، فقالوا: إنالم نجى لنتنحر لنا إبلك،
فقال: حياكم الله يا بني كلاب، أتيتموني في أمر عار ذكره وأهجن، ولست
بماكم حتى أعقد لِنَفْسِي أَنْ لَا تَرُدُّوْا أَنْتُمْ وَلَا مَنْ وَّرَاءَ كُمْ حَكْمِي، فأخذ عليهم
الطلاق والعتاق والموائيق، ثم قال: أراكم يا بني كلاب كلكم ظالم، تقطعون
أرحامكم في غير مائكم، لأرى لأحد منكم فيه حقا، فرَضُوا جميعاً، فامتدحه
شعراؤهم، وكان شريفا حسن العلم بالسنن.

قال عقيل بن عرنس الكلابي يمدحه وأهل بيته بنى عمرو بقصيدة منها:

يا أيها الرجل المعنى شبيته تبكى على ذات خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ
خيرتنا وبنى عمرو فإنهم ذوو فضول وأحلام وأنظار
هينون لينون أيسار بنو يسر سُوَّاسُ مَكْرَمَةِ أبنَاءِ أَيْسَارِ
من تلق منهم فقد لا قيت سيدهم مثل النجوم سرى في ضوءها السارى

وقال فيه وفي أخيه جامع أحد بنى بكر:

إذا ماغنى فأخرتها قبيلة فإن غنياً في ذرى المجد أُنْخِرُ
وكم فيهم من سيد وابن سيد ومن فارس يوم الكريهة مسعرُ
هم رتقوا الفتق الذي كان بادياً وقاموا بأفق الحق، والحق أنورُ
فرحنا جميعاً طائعين لحكمه وهل يدفع الحكم الجليل المنور

واحتفر بعض بنى حسن بن على بالحمى، واتخذ إلى جنب حفرة عيننا
ساحت ثم خرجت في غربى طخفة بشاطيء الريان على ثلاثة عشر ميلا من
ضرية، وهى بيد ناس من بنى جعفر ثم من بنى ملاعب الأسنه من جهة بنى
أختهم الحسينين.

وكان لبنى الأردم - وهم من بنى تميم بن لؤى - ماء قديم على طريق أهل
ضرية إلى المدينة على ثمانية عشر ميلا من ضرية يسمى الجفر، ومعهم نفر من
بنى عامر بن لؤى، فاحتفر سعيد بن سليمان الساحقى العارى عيننا وأساحها وغرس

عليها نخلا كثيرا على ميل أو نحوه من حفر بنى الأدرم بدارة الأسود جبل عظيم
أسود ، وهي عامرة كثيرة النخل .

ولسا ولي إبراهيم بن هشام المدينة احتفر بالحصى حفيرة [بالهضب اليمنى على
سنة أميال من ضرية على طريق البكرة إلى ضرية ، سماها النامية ، وأخرى
بفاحية شمعي بين ضرية وحفر بنى الأدرم على سبعة أميال من ضرية بواد يقال له
فاضحة لأنه انفضاح أى انفراج واتساع بين جبال .

ولسا هلك ابن هشام احتفر جعفر بن مصعب بن الزبير حفيرة إلى جنب
حفيرة ابن هشام بفاضحة ، ونزلها بولده حتى مات ، فأقام ابنه محمد بمنزلة أبيه حتى
خرج محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن فخرج مع محمد ، فلما قتل هرب إلى
البصرة ، ثم رجع إلى فاضحة ، وتزوج من بنى جعفر ثم بنى الطفيل فأولد عبد الله
فزوجاه ابنة القاسم بن جندب الفزارى ، وكان عالما من أعلام العرب ينزل باللواء ،
وكان القاسم لا يسير أبدا ، ولم يكن حج قط ، ولا يكاد يقدم ضرية ، وأولاد
عبد الله من ابنته فى بقية من أموالهم بفاضحة .

واحتفر عبد الله حفيرة إلى جنب حفيرة جده ، ودفن حفيرة ابن هشام ،
وأخفى مكانها .

واحتفر جرش مولى ابن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من حفر بنى
الأدرم وحفرة المساحق سماها الجرشية ، ثم اشتراها ناس من ولد رافع بن خديج
من الأنصار ، وأحدثوا بقربها حفيرة بقطيعة السلطان ، فنازعهم محمد بن جعفر
ابن مصعب بحق بنى الأدرم ، وكان من أشد الرجال ، فقاتلهم وحده ، فاجتمعوا
فأصابه رجلان منهم بفرعين خفيفين فى رأسه ، فأخذها أسرى حتى أقدمهما
ضرية ، واستعدى عليهما الحسن بن زيد بالمدينة ، فضربهما بالسياط ، ثم عفا
عنهما ، واختصموا فى الجرشية والحفيرة حتى قضى لبنى الأدرم والمساحق ، فكلمهم
الناس فبقوهم بهما ، وكان الأنصار يرون أهل عمود وماشية ، فلما كانت الفتنة
(٢١ — وفاء الوفا ٢)

أكلتهم لصوص قيس من كلاب وفزارة ، فلحقوا بطي^١ وناسبوه^٢ ، فأمنوا مدة ، ثم غارت عليهم لصوص طي^٣ فتفرقوا وتركوا البادية ، وكانت بنو الأدرم وبنو بجير القرشيون قد كثروا بالحفر ، ثم وقع بينهم شر ، وكان جيرانهم من قيس يكرمونهم ، فلما تفسدوا جعل بعضهم يهيج اللصوص على بعض ، فنهبهم بنو كلاب وفزارة ، وقتلوا بعض رجالهم ، فلحقوا بالمدينة ، وتفرقوا ، وقال عبد الجبار المساحق لبني فزارة فيما فعلوا بالقرشيين :

مهلاً فزارة مهلاً لا أبالسكم مهلاً فقد طال إعداري وإنداري
في أبيات

وكانت ضرية من مياه الضباب في الجاهلية لدى الجوشن الضبابي والد شمر قاتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ، وكانت مسلمة الضباب يروون أن ذا الجوشن قال في الجاهلية :

دَعَوْتُ اللَّهَ إِذْ سَعَيْتُ عِيَالِي لِيَجْعَلَ لِي لَدَى وَسْطِ طَعَامَا
فَاعْطَانِي ضَرِيَّةً خَيْرَ بَسْتَرٍ تَمَجُّجُ الْمَاءِ وَالْحَبِ التَّوَامَا
ووسط : جبل على ستة أميال من ضرية يطأ الحاج المُصْعِدُ خيشومه ، و بناحيته اليسرى دائرة سعتها ثلاثة أميال أو أربعة ، وقنيع في أعلاها ، وهي بين وسط وعَسْعَسَ ويقال لها أيضا : دائرة عَسْعَسَ ، وعَسْعَسَ : جبل أحمر مجتمع في السماء بهيئة رجل جالس له رأس ومنكبان .

وأما عين ضرية وسِيحُهَا فيقال : إنه كان لعثمان بن عنبسة بن أبي سفيان ، وهو الذي حفرها واغترس النخل وضمف بها ضفيرة بالصخر لينحبس الماء ، وهو سد يعترض الوادي فيقطع ماءه وينحبس زمانا ليكون أغزر للعين ، فلم أقام أبو العباس كان ذلك فيما قَبَضُوا ، ففي آخر ولاية أبي العباس وكانت تحتها أم سلمة الخزومية من بني جعفر بن كلاب وقد أحالها معروف بن عبد الله عليه فأكرمه فسأله أن يقطعه عين ضرية فأقطعه ، وكان بدويا ذا زرع ، فلما أرطَبَ نخلها

نزها بأهله ، وكانت نعمه تَرِدُ عليه ، وسأله ناسٌ من ضَرِيَّةِ أن يعريهم من نخله ، فأعرهم ، وصار يجني للضيغان من الرطب ، ويحلب لهم من إبله ، فمكث نحو شهرين ، فأناه ضيفان بعد ماولى الرطب ، فأرسل فلم يئوت إلا بقليل ، وقال له الرسول : ذَهَبَ الرطب إلا ما ترى ، فقال : يسوءنى أن أعود على ضيفانى من نخلكم ، وكان قيمه على العين زَرَعِ قثاء و بطيخا ، فأناه بشىء منه ، فقال : قبح الله ما جئت به ، أخطر أن يراه عيالى ، وكره النخل ، وأراد بيعه ، فاشتراه منه عبدُ الله الهاشمى عاملُ اليمامة بالنى دينار ، ثم ولاه جعفر بن سليمان إذ سأله إياه ، فأحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين داخلين فى سماطى ضرية الأولين فيهما نيف وثمانون حانوتا ، فربما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزرع ثمانية آلاف درهم فى السنة ، وكان شأن الحمى عند ولاة المدينة عظيما ، كانوا يستعملون عاملا وحده ، وكانت إصابته فيه عظيمة ، وكان لحواطه سلطان عظيم ، وحواط كل ناحية : سادةُ القوم وأشرفهم ، وكان يقال لعامل الحمى : عامل الشرف .

وأقرب أجبل الحمى للمصعد - أى أقرب ما ترى من جباله - جبل الستار على طريق البصرة ، أحرر مستطيل فيه ثنانيا تسلك ، ومنه طريق البصرة ، بينه وبين أمرة خمسة أميال ، وهو فى دار غنى فى ناحية هضبة الأشق ، وبالأشق مياه : منها الريان فى أصل جبل أحرر طويل ، ومن هضبة الأشق هضبة فى ناحية عرفج يقال لها الشياء ، وفى غربى الأشق سواج الطريق تطأ خيشومه .

ومتالع : جبل أحرر عظيم عن يمين أمرة ، على ثلاثة أميال منها البشاء بينها من أكرم أعلام العرب موضعا .

ولما ولى أبو خليل العيسى خال الوليد عمل ضرية نزها وحفر فى جوف النشاء فى حق غنى فقيره ، فلما ولى بنو العباس هدمت غنى تلك الحفرة وسوّوا بها بالأرض .

ولبنى عبس ماء فى شعب يقال له الأسودة ، ولهم بالحمى ماء يقال له ضحح [؟]

في إبط رميلة الحسى حسى بنى حصبة ، ولهم الحاء بها نخل كثير ، ولهم مياه
أخرى ، ثم الأقمس ، ثم تليه هضبات تدعى قطبيات في إقبال البئر ، ثم
يليهما هضبات يقال لها العرائس في بلد كريم من الوضح في إقبال البئر أيضا ،
وبين العرائس جبل يقال له عمود الكور .

شعر : جبل عظيم في ناحية الوضح ، وعنده ماء يقال له الشطون ، أكثر
الشعراء من ذكره ، قال الخضرى :

سقى الله الشطون شطون شعر وما بين الكواكب والعدير
وعن يسار العرائس بالوضح جبال بينن آبار صغار سود علاهن الرمل
مشرفات على مهزول ، وهو وادٍ في إقبال البئر ، وهن تسمين العناث ، ذكرهن
ابن شاذب في شعر مدح به السرى ، فقال من أبيات :

ربا العناث حيث واجهت الربا سند العروس وقابلت مهزولا
ثم بلى العناث ذو عثم وادٍ يصب في التسير ، ويصب فيه وادى مرعى
وهو بناحية الحمى ، ثم يليه نضاد ، وهو بطرف البئر الشرقى في حقوق غى ،
وبلى البئر جبال كثيرة سود بعضها إلى بعض ، ومنها تخرج سيول التسير ،
وبنضاد وذى عثم تلتقى سيولها ، والحمث والبقر بأقبال نضاد ، وهما المعنيان
بالحمى ، ثم بلى الأقمس عن يسار المصعد هضب اليليين ، وأقرب المياه إليه ماء
يقال له اليليين ، وبين هضب اليليين والربذة نيف وعشرون ميلا ، ثم بلى هضب
اليليين عن يسار المصعد الجارة قنان سود بينها وبين الربذة خمسة عشر ميلا ، في
مهب الشمال عن الربذة ، وبينهما هضب يقال لها سنام ، ثم بلى الجارة جبال
سود تدعى الهاربية ، بينها وبين الربذة أربعة عشر ميلا ، ثم هضب المنجر ،
ثم رحرحان .

انتهى ما لخصته مما نقله المهجرى ، وقد أكثر الشعراء وغيرهم من ذكر هذا
الحمى وأعلامه وأخباره .

وحكى ابن جنى فى النوادر الممتعة عن المفضل بن إسحاق قال هو أو قال بعض
المشيخة : لقيت أعرابيا فقلت : بمن الرجل ؟ فقال : من بنى أسد ، فقلت : فمن أين
أقبلت ؟ قال : من هذه البادية ، قلت : فأين مسكنك منها ؟ قال : مساقط الحمى
حمى ضرية بأرضها لعمر الله ما يزيد بها بدلا ولا عنها حولا ، قد نصحتنا
الغدوات ، وحفتها الفلوات ، فلا يمدلوح ترابها ، ولا يمعر جناها ، ليس فيها أذى
ولا قذى ، ولا وعك ، ولا موم ، ولا حمى ، فنحن فيها بأرفق عيش وأرغد معيشة .
قلت : وما طعامكم ؟ قال : بخر بخر ، عيشنا والله عيش يعلى حاديه ، وطعامنا
أطيب طعام وأمرؤه وأهناه : الفث والمبيد والقطس والصليب والعنكبث والعلهز
والذآنين والطرائث والحسلة والضباب ، وربما والله أكلنا القد ، واشتوينا
الجلد ، فما نرى أن أحدا أحسن منا حالا ، ولا أخصب جنا ، ولا أرخى
بالا ، فالحمد لله على ما بسط علينا من النعمة ، ورزق من حسن الدعة ، أو ما سمعت
قائلنا يقول :

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة وخمس تيمرات صغار كوايز
فنحن ملوك الناس شرقا ومغربا ونحن أسود الناس عند المزهز
وكم متهن عيشنا لا يناله ولو ناله أضحى به جدا فائز

قلت : فما أقدمك هذه البلدة ؟ قال : بغية ليه ، قلت : وما بغيتك ؟ قال :
بكرات أضللتهم ، قلت : وما بكراتك ؟ قال : أبقات عرصات هبصات أرناات
أواب ، عيط عوائط ، كوم فواسج ، أعز بتهن قفا الرحبة رحبة الخرجا ، ضجعن
منى فحمة العشاء الأولى ، فما شعرت بهن إلى أن ترجل الضحى ، فقفتهن شهرا
ما أحسهن أترا ، فهل عندك جالبة عين أو جابية خبر ؟ لتيمت المرآشد
وكفيت المفاسد .

الموم - بالضم - البرسان . والفث - بالفاء ثم المثناة - حب يعالج ويطحن
ويؤكل فى الجذب .

والهبيد : حب الحنظل ينقع في الماء ويعالج حتى يخلو . والفطس - بالاسكون -
حب الآس . والصليب - آخره موحدة - الودك . والعنكث - بالثلثة - نبت
خشن شائك يعالجه الضب بذنبه حتى يتحات ويلين ثم يأكله . والعلهز : دم
وور يلبك ليؤكل في الجذب . والذآنين - بالمعجمة - جمع ذؤنون ، نبت معروف ،
والطرائث - بالطاء المهملة ومثلثتين بينهما مثناة تحتية - جمع طرثوث نبت أحمر .
والحسلة - كقردة - جمع حسل ، وهو ولد الضب ، والعرض والمهص والأرن :
النشاط ، أواب : جمع آبية ، وهي التي ضربت فلم تلقح ، عيط عوائط : بمعناه .
وكوم فواسج : سمان . وأعز بهن : بيت بهن عازبا عن الحى . قفا الرحبة : خلفها
الخرجا : موضع به حجارة فيها سواد وبياض . وضجعن : عدلان وملن : وجابية
خبر : أى طريق خارقة .

ومنها : حمى فيد - بالفاء ثم المثناة التحتية - منزل بنجد في طريق الحاج
العراقى ، فيه سوق وبرك ونخيل وعيون ، قيل : سميت بفيد بن حام ؛ لأنه أول
من سكنها .

وقال ابن جبير : إنه خرج من المدينة النبوية يوم السبت صحبة الركب العراقى
فوصلوا فيدا صبيحة الأحد التاسع من خروجهم ، وقال الأسدى : فيد بطيء
لبنى نهبان ، وبه أخلاط من أسد وهمدان وغيرهم ، وبه ثلاث عيون : عين النخل
احتقرها عثمان بن عفان ، والأخرى تعرف بالحارة في وسط الحصن والسوق
احتقرها المنصور ، والثالثة تعرف بالباردة على الطريق خارج المنزل حفرها المهدي ،
وفيد آبار كثيرة قصيرة الرشا ، انتهى .

وقال الهجرى : وأما حمى فيد وصفته فلم أجد أحداً عنده علم ممن كان أول
من أحماه ، ولا كم كانت منعته أول ما أحى ، إلا أن فيدا كان موضعه الذى
هو به اليوم فلاة من الأرض بين بنى أسد وطية ، وكانت إلى جبل طية أقرب ،
فذكر أهل العلم ممن لقيت من أهله أنه التقطت به ركبتان كانتا جاهليتين ، التقطهما

حمى فيد

أناس من بنى أبي سلام ومعهم نفر من طيء وهم يرعون هناك في ولاية بنى مروان ،
وأن أول من حفر به حفرأ في الإسلام أبو الديلم مولى لفرارة ، فاحترق العين التي
هى اليوم قائمة وأساحها وغرس عليها ، وكانت في يده حتى قام بنو العباس
فقبضوها ، فهى اليوم في أيديهم .

قلت : وكأنه لم يقف على ما ذكره الأسدى من عين عثمان رضى الله تعالى
عنه ، ولعله أول من أحماه .

قال الهجرى : وأما أجبل حمى فيد فأولها على طريق الكوفة بين فيد والأجفر
جبل يقال له الجبيل أحر عظيم ، على ستة عشر ميلا من فيد في أرض بنى أسد ،
ليس بين فيد والكوفة جبل غيره ، ثم يليه الغمر جبل أحر طويل على عشرين
ميلا من فيد ، عن يسار المصعد لمسكة ، وإلى جنبه ماء يقال له الرخيمة ، وماء
يقال له الثعلبية ، وكل ذلك فى الحمى ، ثم عن يسار المصعد قبة سوداء تدعى أذنة ،
على ستة عشر ميلا من فيد ، فى أرض بنى أسد ، وفى ناحيتها فى الحمى مياه يقال
لها الوراق . ثم عن يسار المصعد هضبة الوراق لبنى أسد ، وفى ناحيتها مياه يقال لها
أفهى ، ومياه يقال لها الوراق ، ثم جبلان أسودان يُدْعَيَانِ القرنين فى أرض
بنى أسد ، على ستة عشر ميلا من فيد ، والطريق إلى مكة تتوسطهما ، ثم عن
يمين الطريق للمصعد جبل أسود يقال له الأحول فى أرض طيء ، على ستة عشر
ميلا من فيد ، وأقرب مياهه أبضة فى حرة سوداء ، ثم عن يمين المصعد جبل
يقال له دخنان بأرض طيء ، على اثنى عشر ميلا من فيد ، ثم جبل يقال له الغبر ،
ثم جبلان يقال لهما جاش وجلذية لطيء ، على أكثر من ثلاثين ميلا
من فيد ، وهننا اتسع الحمى وكرم ، ثم الصدر على سبعة أميال
وثلاثين ميلا من فيد ، ثم صحراء ليس بها جبل يقال لها صحراء الخلة ،
عن يمين الأجفر ، على ستة وثلاثين ميلا من فيد وأقرب مياهها الجثجائة .
ثم يليها على المحجة أكمة مشرفة على الأجفر . ثم سوقة هضبة حمراء طويلة

في السماء ، وهي في الحمى في أرض الضباب ، على ثلاثين ميلاً أو أكثر من ضرية ، وهي التي عنت جمل بنت الأسود الضبابية ، وذلك أنها جارت بنتي الهدر في أعلى بلاد الضباب ، وهي متعالية لهم واد رغاث يقال له كراء في علياء دار بني هلال على ليلتين من الطائف ، وكانت بنو هلال ينهضون على أهله ، حتى جمعت لهم الضباب جمعاً وقتلوا منهم وسبوا ، وجاؤا ببعضهم إلى الحمى فهاجهم .

وللضباب ملك آخر يقال له العرسى بناحية بيشة قرب تبالة ، فجارت جمل بنتي الهدر في تلك الناحية ، وأغارت لصوصهم على عكرة لها يوم الأضحى ، واغتموا تشاغل الناس بالعيد ، فقالت جمل وكانت بليغة :

بني الهدر ماذا تأمرون بعكرة قَلَانِدْ لَمْ تُخَلِّطْ بِحَبِثِ نَصَابِهَا
تظل لأبناء السبيل مُنَاخَةً على الماء يُعْطَى دَرَّهَا وَرَقَابِهَا
أقول وقد وَلَّوْا بهيت كأنه مَنَاكِبُ حَوْضِي رَمَلُهَا وَهَضَابِهَا
أهْفَ على يوم كيوم سُؤْيَقَةٍ شَفَى غَلُّ أ كِبَادِ فِسَاغِ شِرَابِهَا
بني الهدر لو كنتم كراما وَفَيْتُمْ لَجَارَتِكُمْ حَتَّى يَحِينَ انْقِلَابِهَا
ولكنما أتم حمير حساءة مُجَدَّعَةُ الْأَذْنَابِ غَلْبُ رِقَابِهَا

فأشارت بقولها « كيوم سويقة » إلى وقعة كانت للضباب مع عامل ضرية مهروب الهمداني من قبل زياد بن عبيد الله الحارثي ، وذلك أن عاملاً له مع حواط الحمى وجدوا نعا للضباب في الحمى بناحية سويقة فطردوها أقبح الطرد ، فركبوا في أثره ، فأصابوه بضرب ، وعقرُوا راحلته ، فأتى عامل ضرية ، فخرج بجنده وسخر رجالاً معه من أهل ضرية كرها حتى لقي نعا للضباب فيها بعضهم ، فأمر نفرا منهم ، فبلغ الضباب ، فأدركوه بسويقة ، ففكر عليهم ، فنادوا : يا أهل ضرية ، أنتم مُكْرَهُونَ فاعترضوا ، ونادوه أن خل سبيل أصحابنا وما أصيب منا بالذي أصبنا منك ، فتراموا بالنبل حتى ففيت ، ثم اقتتلوا فانهزم ، وأدركوه فقطعوه بالسيوف ، وقتلوا نفرا من أصحابه ، ورجعوا بالأسرى .

ثم يلي سويقة جبل ذوقنان كثيرة ، ليس بالحجى أكبر منه إلا أن يكون شعبي ، وهو جبل أسود ، في أرض الضباب ، كثير المعادن من التبر ، كان به معدن يقال له النجادي ، كان لابن أبي نَجَّاد^(١) ، لم يعلم في الأرض مثله ؛ فعن شيخ من موالي خزاعة أنه خرج منه مالم يسمع بمثله ، ورخص الذهب بالعراق والحجاز لما أن كثر حتى قل نيله لغلبة الماء عليه . وقر به قرية عظيمة ، وكان له عامل مفرد يخرج من المدينة .

ثم كبد منى : قنة عظيمة مفردة شرقي منى ، وهو جبل يشرف على ما حوله كبد منى ينظر إليه الحجاج حين يصدرون عن أمرة ، وبين حليت ومنى جبل يقال له قادم ، وإلى جنبه قويدم ، وبهما مياه يقال لها القادمة من أطيب ماء بالحجى وأرقه ، يضرب بها المثل في العذوبة ، بينها وبين منى دارة الفهيدة التي عقرت لها ناقة المنسرح وعقر لها ما عقر ، وذلك أنه كان تمثالا لا يكاد يبين ، وله صريمة يلعب عقيلتها لأمه ، فكانت حياتها لأن الناس أشتموا ، فبينما هو بدارة الفهيدة في ولاية ابن هشام إذ دخلت الحجى فتركها فباتت فرآها بعض الحواط من الموالي ، فطرد الصريمة أقيح الطرد ، فعرض له المنسرح ليكفه ، ولا سلاح معه ، فطعن الناقة التي يلعبها المنسرح لأمه في ضرعها فاخترط لبها بدمها ، فحلف لا يسكن الحجى ولا يمس رأسه دهن حتى يعقر إبل من عقر ناقته ، فتوجه إلى قومه ، فأخبرهم خبره ، وطلب سيفا قاطعا لا يقع في شئ إلا خرج منه ، فأعطوه إياه ، فأتى إبلا للمولى مهاري ، فقال الراعى : أنا رسول مولاكم وهو بضرية يأمركم أن تعقلوا خيار إبلكم فإنه نصيحكم لأمر حدث ، وأخرج لهم عقلا ، فصدقوه وحلبوا له ناقة ، فوضع الإناء ، فقالوا : ألا تعتبq ، قال : دعوه حتى يبرد ، قال : وإنما كرهت أن أشرب اللبن وأعقر إبله .

فلما عقلوا عنه أهراقه ، وعقلوا من خيار الإبل نحو ثلاثين ، فلما ناموا استل سيفه وضرب ناقة على حقيبتها فمضى حتى فلق ضرعها ، وتوالت الإبل ، فظفق

(١) في معجم البكري « لرجل من ولد سعد بن أبي وقاص يقال له نجاد بن موسى »

في المَعْتَلَةِ عَقْرًا حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا ، وَقَطَعَ بَعْضَهَا الْعُقْلَ فَتَبِعَهَا فَمَا أُدْرِكُ بَعِيرًا إِلَّا عَقَرَهُ ،
وَفَطَنَ الرَّعَاءَ فَرَأَوْا مَا يَعْمَلُ السَّيْفُ ، فَوَلَوْا هَرَبًا ، ثُمَّ دَفَنَ سَيْفَهُ بِالْحِجْمِيِّ ، وَكَانَ
أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَرْسَلَ يَخْبِرُ أَهْلَهُ ، وَرَكِبَ صَاحِبُ الْإِبِلِ فِي النَّاسِ حَتَّى
نَظَرُوا إِلَيْهَا ، وَقَالَ الرَّعَاءُ : لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا أَنَّهُ بِمَقَامٍ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ الْمُنْسَرَحُ ، فَأَمَرَ
ابْنَ هِشَامٍ بِطَلْبِهِ ، وَأَخَذَ إِخْوَتَهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ فُجِسُوا ، فَسَمِعَ ، فَجَاءَ إِلَى الْعَامِلِ
فَقَالَ : حُلِّ هَؤُلَاءِ فَأَنَا بِعَيْتِكَ ، فَجَسَّهُ وَخَلَّاهُمْ ، وَرَفَعَهُ فِي وَثَاقٍ إِلَى ابْنِ هِشَامٍ ،
وَخَرَجَ مَعَهُ بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِهِ ، قَالُوا : فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ جَعَلَ يَأْتِينَا الرَّجُلُ الشَّرِيفُ
فَيَسْأَلُنَا عَنِ السَّيْفِ ، وَيَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ خَلَّصْتُ صَاحِبَكُمْ وَضَمَنْتُ عَنْهُ تَأْتُونِي
بِالسَّيْفِ ، فَتَنْسَكِرُونَ وَلَا تَقْرَبُونَ شَيْءًا مِنْ أَمْرِ السَّيْفِ ، فَتَوَعَّدَهُ ابْنُ هِشَامٍ وَسَأَلَهُ أَنْ
يَقْرَ ، فَأَبَى ، وَكَلَّمَ أَصْحَابَهُ نَفَرَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فِي أَنْ يَتَّخِذَ صَاحِبِهِمْ بِالْبَيْتَةِ
أَوْ يَحْلِفَ ، فَسَأَلَ ابْنَ هِشَامٍ خَصَمَهُ الْبَيْتَةَ ، فَلَمْ يَقْمَعْهَا ، فَأَمَرَ بِمَيْمِنِهِ عِنْدَ الْمَنْبَرِ الشَّرِيفِ .
فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَنْبَرِ وَذَكَرَ لَهُ مَا يَحْلِفُ عَلَيْهِ ، وَانْدَفَعَ يَحْلِفُ ، شَرَحَ اللَّهُ لِسَانَهُ
فَقَالَ : أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَأَنَا عَقَرْتُ إِبِلَ فُلَانٍ بِيَدِي ، وَتَقَدَّرَ بَرِيءٌ مِنْهَا غَيْرِي ، فَزَادَهُ
إِلَى ابْنِ هِشَامٍ ، وَابْتَدَرْتَهُ قَرِيشٌ كُلُّ يَقُولٍ : عَلَى الْإِبِلِ ، طَمَعًا فِي السَّيْفِ ، ثُمَّ
اِخْتَلَفَ عُلَمَاءُ غَنِيٍّ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : احْتَمَلَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ ، وَخَلَى سَبِيلَهُ ،
وَخَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ السَّيْفِ ، فَطَلَبَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَانْطَلَقَ لِسَانَهُ مِنْ يَوْمٍ ذُنُوبُ الْمُنْسَرَحِ .
ثُمَّ بَلَى كَبِدَ مَنِي هَضْبِ الْأَشَقِّ . هَذَا آخِرُ مَا لَخِصْتَهُ مِنْ كِتَابِ الْهَجْرِيِّ .

قد تم - بحول الله تعالى ، وقوته ، ومَعُونَتِهِ - الجزء الثالث من كتاب «وفاء
الوفا ، بأخبار دار المصطفى » للعلامة السمهودي ، وويليه - إن شاء الله سبحانه -
الجزء الرابع ، وهو نهاية الكتاب ، ومطلعه « الفصل الثامن ، في بقاع المدينة ،
وأعراضها ، وأعمالها ، ومضافاتها ، وأنديتها ، وجبالها ، وتلاعها » نسأل الذي
لا يعين على الخير سواه أن يمن علينا بأكملها ، ويوفقنا بفضلته إلى إتمامه ؛ إنه ولي
ذلك كله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فهرست الجزء الثالث

من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى »
 لنور الدين علي بن أحمد ، المصري ، السهمودي ، تزيل المدينة المنورة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٧٧٩	الباب الخامس في مصلي النبي في الأعياد	٨٠٠	ما جاء في فضل الصلاة في مسجد
	وغير ذلك من المساجد التي صلي		قباة
	فيها ، وفيه سبعة فصول	٨٠٢	إتيان الرسول مسجد قباة
—	الفصل الأول في الأماكن التي	٨٠٥	موضع صلاة الرسول في مسجد قباة
	صلي فيها	٨٠٩	تجد يد مسجد قباة
—	أول عيد صلاه النبي في المصلي	٨١٢	ما ينبغي أن يزار من آثار قباة
٧٨٠	مكان مصلي العيد	—	دار سعد بن خيشمة
—	تعدد موضع صلاة العيد	٨١٣	دار كلثوم بن الهدم
٧٨١	المسافة بين مصلي العيد و باب السلام	—	بئر أريس
٧٨٢	المواضع التي صلي فيها العيد	—	ما جاء في طريق ذهاب النبي إلى قباة
٧٨٤	مصلي العيد بالصحراء		وعودته منه
٧٨٧	كيف صلي الرسول العيد ؟	٨١٤	زرع الطريق
٧٨٨	ذكر من أحدث المنبر في مصلي العيد	—	مسجد الضرار
٧٨٩	أول من خطب قبل صلاة العيد	٨١٦	أسماء بنتة مسجد الضرار
٧٩١	ما جاء في فضل المصلي الشريف	٨١٨	الخلاف في موضع مسجد الضرار
٧٩٢	بيان طريق النبي في ذهابه إلى مصلي	٨١٩	الفصل الثالث ، في بعية المساجد
	العيد وعودته منه		المعلومة العين
٧٩٧	الفصل الثاني ، مسجد قباة ، وفضله	—	مسجد الجمعة
	وخبر مسجد الضرار	٨٢١	مسجد الفيضيه
—	تأسيس مسجد قباة	٨٢٣	مسجد بني قريظة
٧٩٨	الخلاف في بيان المسجد الذي أسس	٨٢٥	مشربة أم إبراهيم
	على التقوى	٨٢٧	مسجد بني ظفر
		٨٢٨	مسجد الإجابة

الموضوع	ص	الموضوع	ص
مسجد بني دينار	٨٦٦	مسجد الفتح	٨٣٠
» » عدى، ومسجد دار النابغة	٨٦٧	المساجد التي حول مسجد الفتح	٨٣٦
» » مازن	٨٦٨	مسجد بني حرام الكبير	٨٣٨
» » عمرو بن مبدول	--	كهف بني حرام	٨٣٩
» » بقميع الزبير	٨٦٩	مسجد التملتين	٨٤٠
» » صدقة الزبير	--	مسجد السقيا	٨٤٣
» » بني خدره	٨٧٠	مسجد ذباب (الراية)	٨٤٥
» » الحارث بن الخزرج	٨٧١	مسجد النسيح اللاصق بجبل أحد	٨٤٨
ومسجد السنح		مسجد في ركن جبل عيينين	--
مسجد بنى الحبل	--	مسجد العسكر	٨٤٩
» » بياضة	٨٧٢	مسجد أبي ذر الغفاري	٨٥١
» » خطمة	--	مسجد أبي بن كعب (بني جديلة =	٨٥٢
» » أمية الأوسيين	٨٧٣	البقميع)	
» » وائل	٨٧٤	مساجد المصلى	٨٥٤
» » واقف	--	مسجد ذى الخليفة	--
» » أنيف	٨٧٥	الفصل الرابع ، في المساجد التي	٨٥٤
» » دار سعد بن خيشمة	--	علمت جهتها ولم تعلم عينها	
» » التوبة	٨٧٦	مسجد أبي بن كعب	٨٥٤
» » النور	٨٧٧	مسجد بني حرام	--
» » عتبان بن مالك	--	مسجد الخربة	--
» » ميثب (صدقة النبي)	٨٧٨	مسجد جهينة وبلي	٨٥٥
» » المنارتين	--	مسجد بني غفار	٨٥٦
مسجد فيفاء الخبار	٨٧٩	مسجد بني زريق	٨٥٧
» » بين الجنجائة وبئر شداد	٨٨٠	مسجدان لبني ساعدة	٨٥٨
الدور التي صلى بها الرسول	--	سقيفة بني ساعدة	٨٥٩
دار الشفاء	--	مسجد بني خدره	٨٦٠
دار الضمري	٨٨١	مسجد راتج	٨٦١
دار بسرة	--	مسجد واقم	٨٦١
دار أم سليم	--	مسجد القرصة	٨٦٤
دار أم حرام	٨٨٢	مسجد بني حارثة بن الأوس	٨٦٥
		» الشيخين (البدائع)	--

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٩١٥	قبر أبي سعيد الخدرى	٨٨٣	الفصل الخامس ، فى فضل مقابرها
٩٢٠	مشهد مالك بن أنس الإمام	—	خروج النبي ليلا إلى البقيع
—	مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق	٨٨٦	فضل البقيع
٩٢١	مشهد حمزة بن عبد المطلب	٨٩١	الفصل السادس ، فى تعيين قبور
٩٢٣	مشهد مالك بن سنان الخدرى	—	بعض من دفن بالبقيع
—	مشهد النفس الزكية	—	قبر إبراهيم ابن رسول الله
٩٢٥	الفصل السابع ، فى فضل أحد	٨٩٣	قبر عثمان بن مظعون
—	الأحاديث الواردة فى فضل أحد	٨٩٤	قبر رقية بنت رسول الله
٩٢٧	موقع أحد من المدينة المنورة	٨٩٥	قبر فاطمة بنت أسد
٩٢٨	وجه تسمية أحد ووجه	٨٩٧	القبور التى نزلها رسول الله خمسة
٩٣٠	زعموا أن هارون عليه السلام مدفون بأحد	٨٩٩	قبر عبد الرحمن بن عوف
—	مزاعم فى مواضع من جبل أحد	—	قبر سعد بن أبي وقاص
٩٣١	شهادة الرسول لشهداء أحد	٩٠٠	قبر عبد الله بن مسعود
٩٣٢	زيارة الرسول وخلفائه قبور الشهداء	—	قبر خنيس بن حذافة
—	بأحد على رأس كل عام	—	قبر أسعد بن زرارة
٩٣٣	تسمية شهداء أحد	٩٠١	قبر فاطمة بنت الرسول
٩٣٥	سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب	٩٠٥	قبر بعض أبناء علي بن أبي طالب
٩٣٦	قبر عمرو بن الجوح وعبد الله بن حرام	٩٠٦	المتوكل العباسى يأمر بهدم قبر الحسين بن علي
٩٤٠	من دفن بالمدينة من قتلى أحد	٩٠٨	قبر الحسن بن علي
٩٤١	الباب السادس فى آبارها	٩٠٩	تسمية من دفن مع الحسن بن علي
—	المباركات ، وفيه خمسة فصول	—	دفن علي بن أبي طالب بالبقيع
٩٤٢	الفصل الأول فى الآبار	—	دفن رأس الحسين بن علي
—	بئر أريس	٩١٠	قبر العباس بن عبد المطلب
٩٤٦	من فضل بئر أريس	—	قبر صفية بنت عبد المطلب
٩٤٨	ذرع بئر أريس	—	قبر أبي سفيان بن عبد المطلب
٩٤٩	بئر الأعواف	٩١١	قبر عبد الله بن جعفر الطيار
٩٥٠	بئر أنا	—	قبور أمهات المؤمنين
—	بئر أنس	٩١٣	قبر عثمان بن عفان
٩٥٢	بئر إهاب	٩١٥	قبر سعد بن معاذ

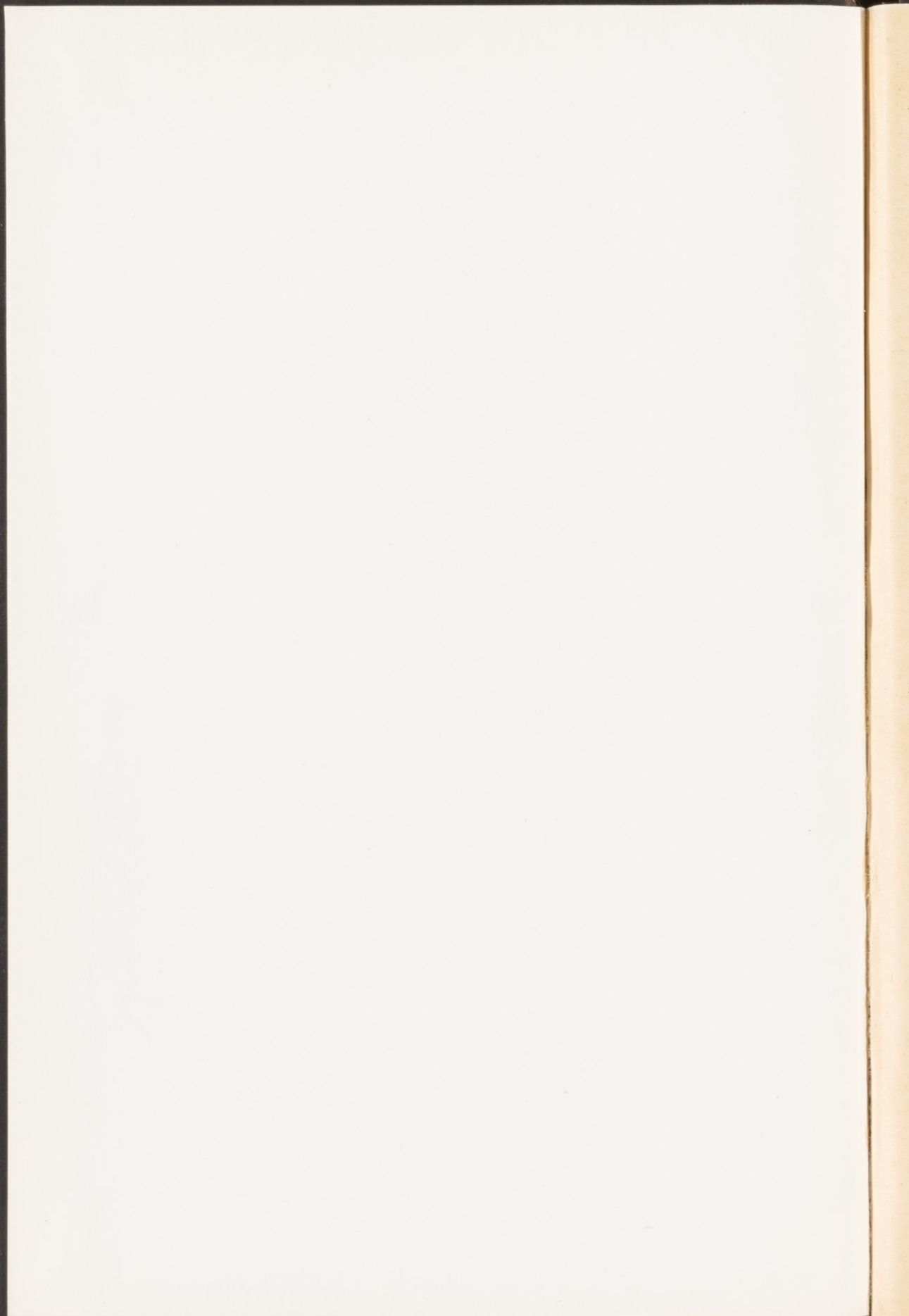
الموضوع	ص	الموضوع	ص
مسجد آخر بذى الحليفة	١٠٠٥	بشر البصة	٩٥٤
» المعرس	--	بشر بضاعة	٩٥٦
» آخر بالروحاء	١٠٠٧	بشر جاسوم	٩٥٩
» عرق الظبية	١٠٠٨	بشر جمل	٩٦٠
» شرف الروحاء	١٠١٠	» حاء	٩٦١
» المنصرف (الغزاة)	١٠١٠	ضبط بشر حاء	٩٦٥
» الرويشة	١٠١٢	» حلوة	٩٦٦
» ثنية ركوبة	--	» ذرع	--
» الأثاية	--	» رومة	٩٦٧
» العرج	١٠١٣	» السقيا	٩٧١
» المنبجس	١٠١٤	» العمبة	٩٧٦
» لحى جمل	--	» أبي عنبة	٩٧٧
» السقيا	١٠١٥	» العين	--
» مدلجة تعين	١٠١٦	» غرس	٩٧٨
» الرمادة	--	» التمراصة	٩٨١
» الأبواء	--	» التمريضة	٩٨٢
» البيضة	١٠١٧	» اليسرة	--
» عقبة هرشى	--	» تتمه ، فى العين المنسوبة للنبى	٩٨٤
» الجحفة	--	عين كهف بنى حرام	--
مسجد غدير خم	١٠١٨	الفصل الثانى ، فى صدقات الرسول	٩٨٨
مسجد طرف قديد	--	وما غرسه بيده الشريفة	--
مسجد عند حرة خليص	--	أصل هذه الصدقات	--
مسجد خليص	١٠١٩	أسماء صدقات الرسول ، ومواقعها	٩٨٨
مسجد بطن مر الظهران	--	وقف الرسول لأمواله	٩٨٩
مسجد سرف	١٠٢٠	تحديدا ، مواقع الصدقات والمعروف	٩٩٣
مسجد التنعيم	--	منها	--
» الخلاف فى مسجد عائشة	--	طلب فاطمة من أبى بكر صدقات أبىها	٩٩٥
» عميرات الرسول	١٠٢١	الفصل الثالث فيما ينسب إلى الرسول	١٠٠١
مسجد ذى طوى	--	من المساجد التى بين مكة والمدينة	--
		مسجد الشجرة (ذى الحليفة)	١٠٠٢

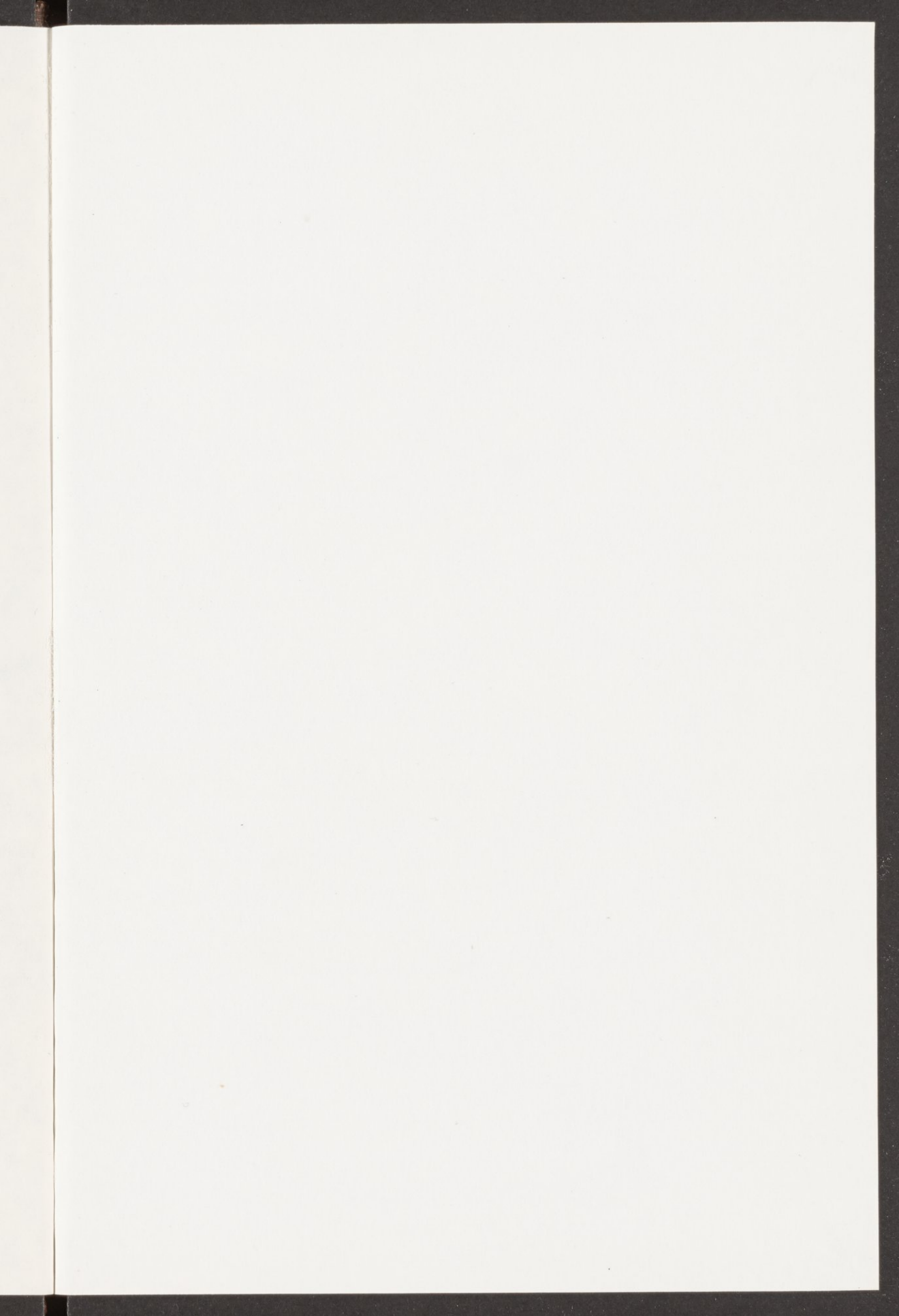
ص	الموضوع	ص	الموضوع
—	وقصورها	١٠٢٢	الفصل الرابع ، في بقية المساجد
—	ما ورد في فضل وادي العميق	—	التي بين مكة والمدينة
١٠٣٩	حد العميق	—	دبة المستعجلة
١٠٤٢	الفصل الثاني ، في أقطاعه	١٠٢٣	شعب سير
—	رسول الله يقطع بلال بن الحارث	—	ذكر عدة مساجد
—	العميق	١٠٢٤	مسجد ذفران
١٠٤٣	قصر عروة بن الزبير وبثره	١٠٢٥	مسجد الصفر
١٠٤٨	قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان	—	مسجد ثنية تبوك
—	ابن عفان	١٠٢٦	مسجد بدر
١٠٥٠	قصر المغيرة بن أبي العاص وبثره	—	مسجد العشيرة
—	قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان	—	مساجد الفرع
—	ابن عفان	١٠٢٧	مسجد الضيقة
١٠٥١	قصر عنبسة بن سعيد بن العاص	—	مسجد مقل
١٠٥٢	قصر أبي بكر بن عبد الله بن مصعب بن الزبير	١٠٢٧	الفصل الخامس ، في بقية المساجد
—	قصر عبد الله بن أبي بكر بن عمرو	—	والمواضع المتعلقة بالرسول
—	ابن عثمان	١٠٢٧	مسجد العصر
١٠٥٣	جملة من القصور والآبار	١٠٢٨	مسجد الصهباء
١٠٥٤	الفصل الثالث ، في العرصة	—	مسجدان قرب خيبر
—	قصر خارجة	—	مسجد بين شق والنظاة
—	قصر عبد الله بن عامر	—	مسجد شمران
—	قصر مروان بن الحكم	١٠٢٩	مساجد تبوك
—	قصر سعيد بن العاص	١٠٣٢	مسجد الكديد
١٠٦٣	الفصل الرابع ، في جماعات العميق	—	مسجد الشجرة بالحديبية
—	جماء تضارع	١٠٣٣	مسجد ذات عرق
١٠٦٤	جماء أم خالد	—	مسجد الجعراثة
١٠٦٥	جماء العاقر (العاقل)	١٠٣٤	مسجد لبية
١٠٦٦	ثنية الشريد السلي	—	مسجد الطائف
		١٠٣٧	الباب السابع ، في أوديتها وبقاعها

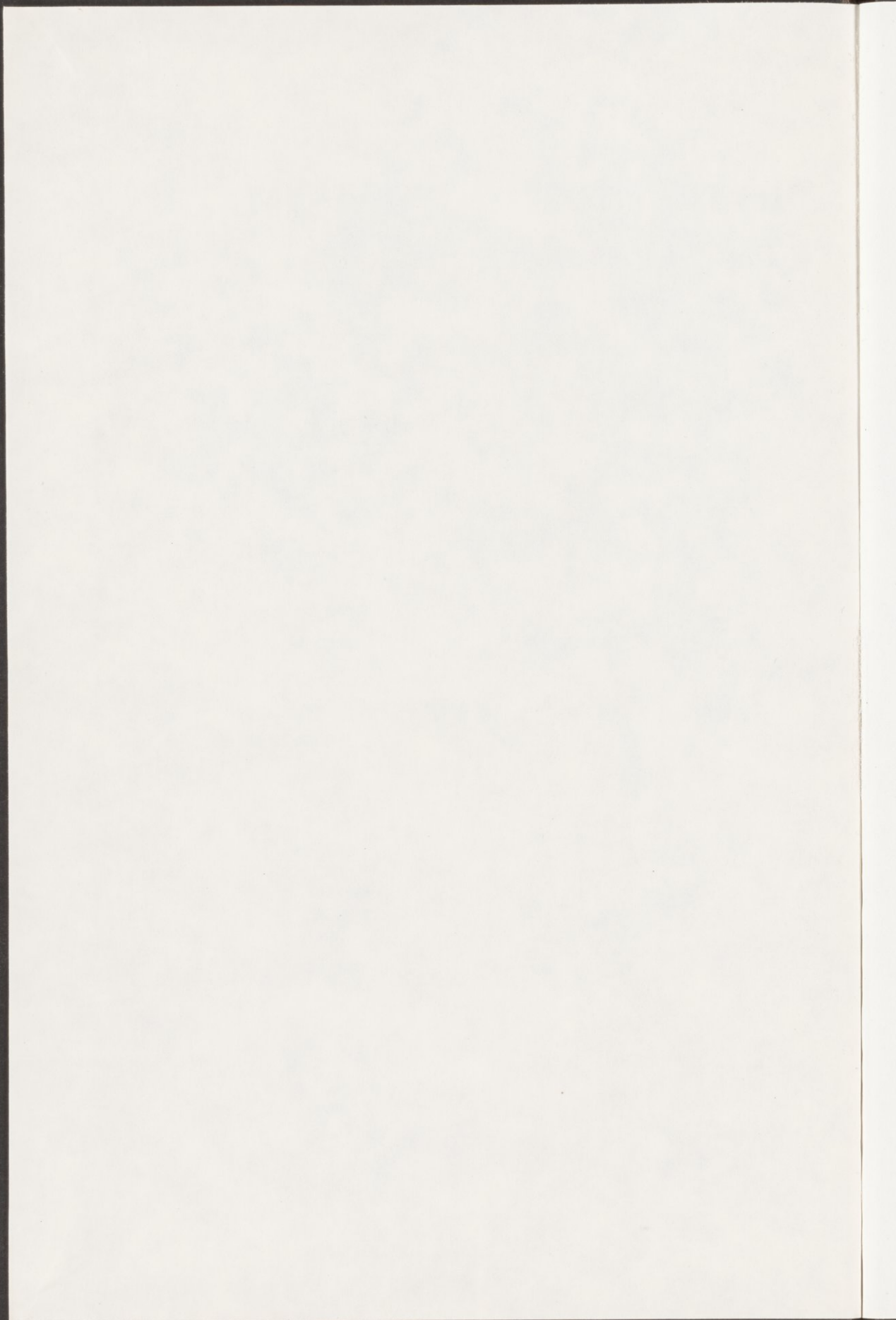
ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٦٨	خاتمة ، في سرد ما يدفع في العقيق	١٠٨٠	خاتمة ، في مجتمع الأودية ومغائضها
١٠٧١	من الأودية ، وما به من الغدران	١٠٨٢	الفصل السادس ، فيما سمي من الأحياء
١٠٧٢	الفصل الخامس ، في بقية أودية المدينة .	—	معنى الحمى
١٠٧٤	— وادى بطحان	١٠٨٢	حمى النقيع
١٠٧٥	١٠٧٢ وادى رانونا	١٠٨٦	حكم الحمى
١٠٧٦	١٠٧٤ وادى قناة	١٠٨٧	حمى أبى بكر وعمر
١٠٧٩	١٠٧٥ وادى مذنيب	١٠٩٠	الفصل السابع ، في شرح حال بقية الأحياء
—	١٠٧٦ وادى مهزور	—	حمى الشرف
—	١٠٧٩ تتمه ، فيما قضى به الرسول في هذه الأودية	١٠٩١	حمى الربذة
—	— قضاؤه بين الزبير ورجل من الأنصار	١٠٩٢	حمى ضرية
—	— قضاؤه في سيل مهزور	١١٠٢	حمى فيد

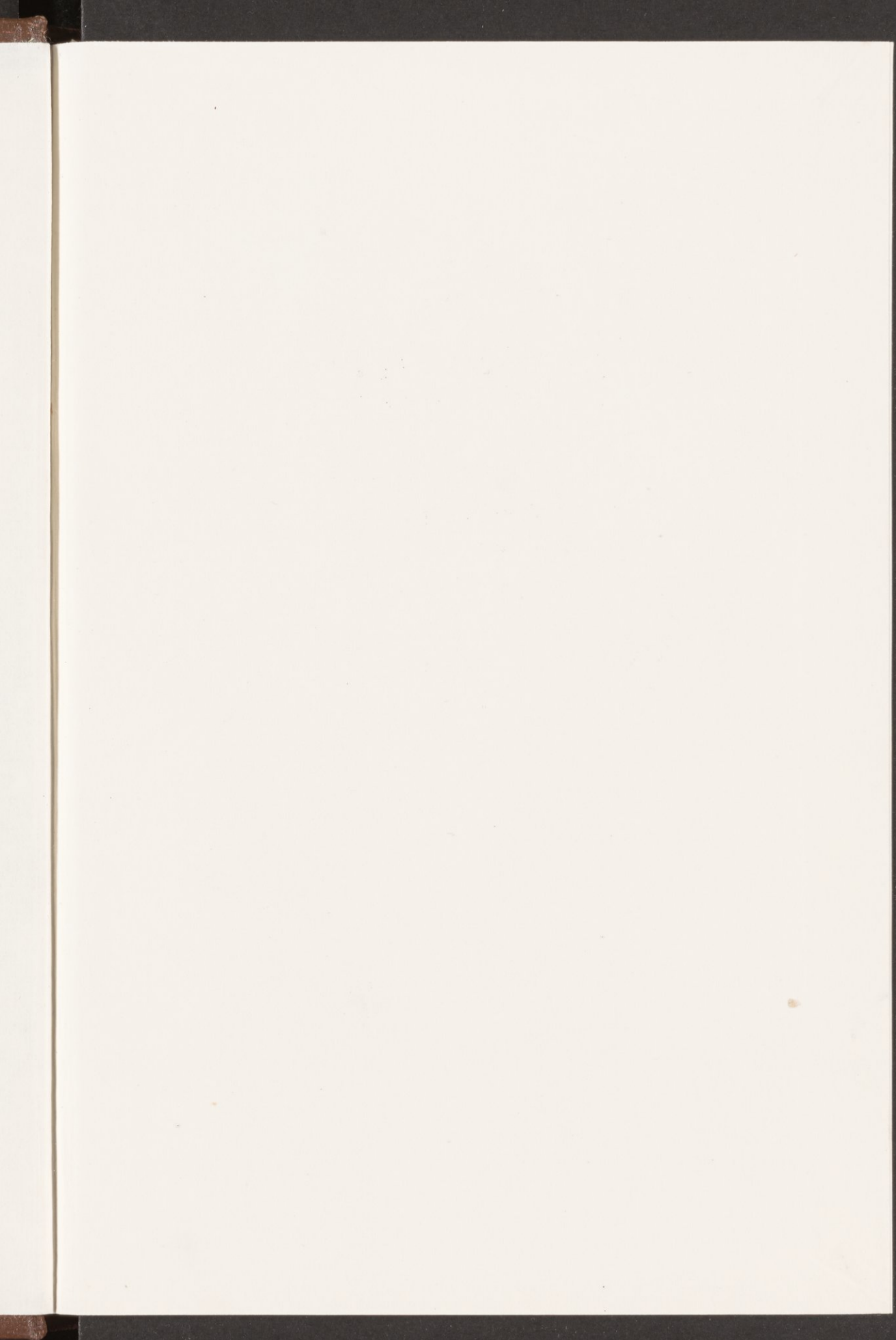
تمت - بحمد الله تعالى وتوفيقه - فهرس الجزء الثالث من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه











**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

